السلسلة الثقافية

١٤

بغداديات

تأليف
عزيز جاسم الحجية

بغداد
١٩٦٧

تصدرها وزارة الثقافة والأرشاد في الجمهورية العراقية

- من أجل أن تورق شجرة المعرفة في بلادنا وتزدهر ٠
- ولكيما تشاع الثقافة الاصيلة الهادفة

تصدر وزارة الثقافة والارشاد كتبها الثقافية هذه لتعني :

- بالتراث العربي الاسلامي الاصيل
- بالفكر الخير والادب الانساني الهادف

فاقرأ فيها :
الحرف الجواد والكلمة الصالحة
وتزود :
بالثقافة الهادية والتراث الرفيع

السلسلة الثقافية

١٤



تصوير للحياة الاجتماعية والعادات البغدادية
خلال مائة عام

تأليف

عزيز جاسم الحجية

اصدرته : مديرية الفنون والثقافة الشعبية
في وزارة الثقافة والارشاد
بغداد
١٩٦٧

الأهداء

الى من أحب التراث الشعبي واعتنى به ، فصنف كتابا في أحدجوانبه، ونشره(*) قبل واحد وثلاثين عاما ·

الى من تعلم في « كتاتيب بغداد » وعلّم في المدارس الرسمية ردحاً من الزمن حاملا بيده رسالة التربية المثلى ·

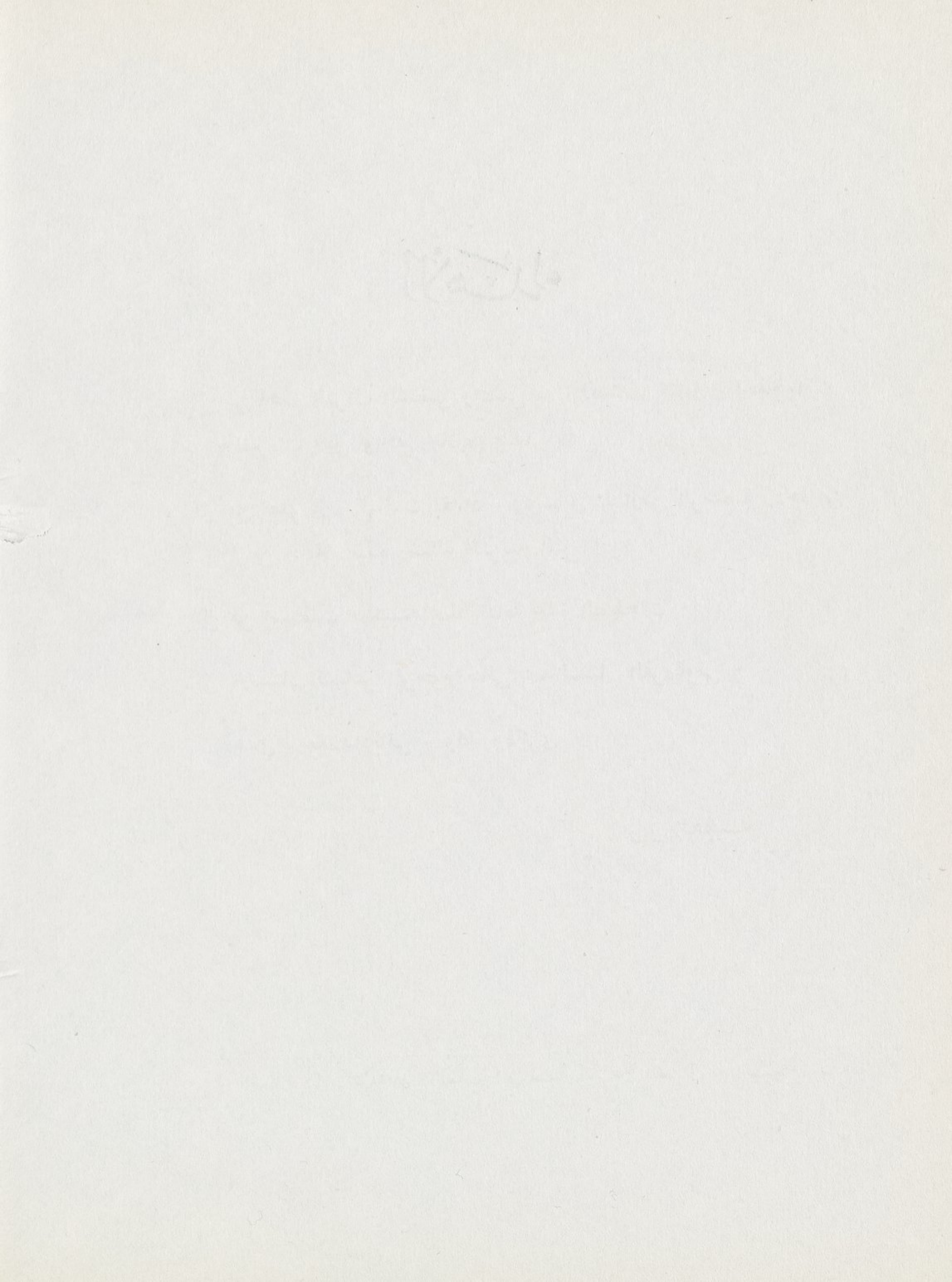
الى من استعنت بمكتبته عند كتابة هذه الصفحات ·

الى الاستاذ الشاعر المرحوم خالي عبدالستار القره‌غولي ·

أهدي « بغـداداياتي » وفاء وذكرى ·

عزيز الحجيـة
٢٠ تشرين الثاني ١٩٦٦

(*) اشارة الى كتابه (الالعاب الشعبية لفتيان العراق) المطبوع سنة ١٩٣٥ ·



المقدّمة

عادت بي الذكرى الى أيام صباي وأنا اراقب ابنتيّ تلعبان (التوكي) فتذكرت « دربونتنا » وتذكرت الالعاب التي كنت ألعبها مع أقراني حينذاك تذكرت تلك الايام وكأنني أشاهد تمثيلية مسلسلة لا تمل ، فقررت ان اكتب شيئا عن التراث الشعبي فسودت دفتراً فاذا به الهيكل الاساسي للكتاب الذي بين يديك قارئي العزيز ٠

لقد رحت أسعى لتحقيق ما جمعته من معلومات من أقاربي الشيوخ والعجائز ومن ابناء الطرف والاصدقاء والمعارف أمد الله في أعمارهم جميعاً حيث تراني تارة في سوق الغزل اسأل عن (شؤون المطيرچيّة) وتارة في الدهانة أسأل العطارين عن (الجويفة والسفوف والكپلي وغيرها) وأخرى تراني مجالساً (الازعرتي) في دكانه اسأله عن أدوات الختان وعن الدواء الذي كان مستعملا في مداواة الجرح أو تراني قابعاً في ظـل الملة عطيـه أسألها عن (الچاينه والعدودات) وغيرها ٠ هذا علاوة على مراجعة مكتبة المرحوم خالي عبدالستار القرهغولي مستعيراً منها كتباً عديدة كما راجعت المكتبة الوطنية ومكتبة المتحف العراقي فقرأت كل ما نشر عن بغداد وعن التراث الشعبي كما استأنست برأي الاخ الاستاذ عبدالحميد العلوچي عن بعض المصادر في الدول العربية التي تبحث في مثل موضوعي فارشدني مشكورا ٠

والذي دفعني الى ان انكب على تسجيل تلك الصور الحية من مجتمعنا البغدادي هو خوفي من اندراسها حيث بدأت بواكير ذلك جلية واضحة بهجر المحلات الاصلية والانتقال الى مناطق الاسكان الحديثة وبهذا فقدنا ركنا أساسيا وهو (رابطة المحلة) التي تربط ابناءها ببعضهم ٠

كما ان غزو الادوات الكهربائية البيوت كالثلاجة والمبردة والغسالة أبعدت عن اذهان الكثيرين من ابناء بغداد (سلة حفظ العشاء) و (التنگة)

بغطاء فمها المطرز بالنمنم الملون وجعلتهم يتناسون (الحب والبواگة ومي الناگوط) والسرداب (ببادگيراته) البديعة ٠

والتراث الشعبي في بغداد بل في العراق هو ما يلفت انظار السياح الاجانب فمنتجات الصابئة في شارع النهر ومنتجات سوق الصفافير لها صفقة رابحة لدى الاجانب كما تجلب للعراق عملة نادرة نحن في حاجة اليها بالوقت الحاضر لبناء عراقنا الحبيب ٠

يقول الاستاذ عثمان الكعاك في ص ٣٥ من كتابه (المدخل الى علم الفولكلور) ما أنقله نصاً لانه يعبر عما يجيش به صدري « واذا كان بعض الناس يتصور الفولكلور طريقة لاظهار الشعب في أقبح صوره فان ذلك من رواسب الاستعمار الذي جعل الشعب يتنكر لنفسه ٠ أما وقد زال الاستعمار فلابد من اعادة تسعير القيم الشعبية وتصحيح الاوضاع واحلال كل شيء في المحل اللائق به ، وما نهضت شعوب اوربا في القرن الماضي الا على أساس احياء الفولكلور وما تنهض به شعوب افريقيا السوداء وآسيا الصفراء وامريكا الحمراء الا عن بعث حضارتها الفولكلورية وقيمها الشعبية ، ففولكلورها هو ذخيرتها السنية التي تستمد منها أدبها والقاموس المحيط الذي تحيي به لغتها والكنز الثمين الذي تقتبس منه فنونها والمنهل العذب الذي تستقى منه حكمتها والوتر الحساس الذي يرجع رنات احاسيسها » ٠

اعتقد أخي القاريء ، بأن ما نقلته لك مما كتبه الاستاذ الكعاك هو ما يكفي لاظهار مدى اهتمامي بهذا النوع من الادب وانني قد كتبت محتويات هذا الكتاب بأسلوب بغدادي كي أحافظ على بغدادية المواضيع بعد أن أوفيتها حقها من التبسيط ٠

هذا والله أسأل ان يوفقني لطرق باب آخر من أبواب تراثنا الشعبي الموصدة وارجو القاريء الكريم ان يعذرني ان لم يجد ما طرقته كاملا فالكمال لله وحده وبه نستعين ؟

عزيز جاسم الحجية

العقيد المتقاعد

الـزوْاج

مراسيم العرس :

من عادات أبناء بغداد واحترامهم الشديد لآبائهم ، أن لا يجرؤ أحد منهم أن يقول لأبيه مثلاً (أريد أتزوج) بل ان ذلك من واجبات الاب وقد قيل قديماً « من حق الاب التسمية والتربية والزواج » لذا فقد قرر الأب تزويج ابنه الذي (صار رجال) والرجل في تعريف أهل بغداد هو من أكمل العشرين من عمره (وشواربه بيـده) ومارس شغل أبيه ، وباستطاعته أن يحل محل والده عند غيـابه ، وأن يستضيف (الخطار) ويقوم (بالواجب على أربعة وعشرين حبايه) لذا فقد كلف زوجته بايجاد (بنت الحلال) التي تليق بمقام العائلة وتصلح أن تكون زوجة للمحروس •

* * *

مشاورات : تقوم ام الولد بمشاورة (الحـبْـبَـيـات °) وغالباً ما يكن من الاقارب أو من الجيران القدماء أو من الصديقات الوفيات ويقع قرارهن على فاطمة بنت جارهم العزيز والذي انتقل في السنة الماضيـة الى دارهم الجديدة ، ويضربن موعداً لزيارة ذلك الجار (بيت أم فاطمة) فيرتدين أحسن الملابس كالصاية والهاشـمي مـع الملوي في ذراع الام والبابوج

الأسود الروغان أو السرايلي وعلى رأسها البويمه[١] أو الفوطه[٢] والكيش مع عباتين صوف[٣] أو عباية مبرد مع البوشي كل وفق ذوقها وما يناسب عمرها ويذهبن مشياً على الاقدام أو بواسطة (الربل[٤] أو اللاندون) بعد أن يرسلن خبراً بأنهن قادمات وقد يذهبن على (غفله) بدون ارسال أي علم بقدومهن وتكون ام فاطمه قد استعدت لاستقبال صديقـاتها وجيران العمـر فغسلت الحـوش الى أن طلـع الطـابوگ[٥] أصفر مثل الذهب وفرشت الليوان بالدواشك ومخاديد التجي[٦] وغطت الدواشك بحرامات الصوف المحققـة وحضّرت المنقـلة بعـد أن جلفتهـا بتراب السُكري[٧] وحضرت أدوات الشاي[٨] والسماور الجبير والقوري الفخفوري والبيز[٩]

---

(١) عصابة سوداء تتعصب بها المرأة ٠

(٢) قماش حريري أسـود يلف حـول الرأس ويغطـى الصـدر ويلبس معها الكيش الذي يشد رأس المرأة كله ولا زال مستعملا حتى الآن من قبل معظم البغداديات اللواتي هن فوق سن الاربعين ٠

(٣) تراني قارئي العزيز قد انحدرت من العباءتين الصوف الى العباءة المبرد والى الربل واللاندون لان كتـابي يبحث عن البغـداديات بأوقات مختلفة ٠

(٤) الربل أو اللاندون ــ عربة الركوب يجرها حصانان وسائقها يسمى عربنچي وسميت بالربل نسبة الى المطــاط المشدود على عجلاتهـا الحديدية الأربع والمسمى بالربل ٠

(٥) كانت تفرش ارضية الدار بالطابوق الماطلي ٠

(٦) توضع خلف الظهر للاتكاء ٠

(٧) تراب السُكري ــ هو التراب الناعم المتساقط عند قص الطابوق بالمنشار لاستعماله في البناء والمسمى ببناء چف قيم والعـامل الذي يقص الطابوق يسمى گاصوص ٠

(٨) شاع استعمال الشاي في بغداد بعد الحرب العالمية الاولى ٠

(٩) قطعة قماش مبطنة يحمل بها القـوري أو دلة الگهوة لابعاد الحرارة عن اليد ٠

الوردي كما حضرت الكعك والبقصم(١٠) شغل السيد مع خبز العروك وجبن كرد مع النعناع وبعد أن تتم الزيارة ويتبادلن الاحاديث وأغلبها حول أخبار الصديقات والجوارين مثلاً فلانه انخطبت لابن الحجي وصدَيقه ماشاء الله بچرها ولد وهاي البطن الثانية هم ولد ، وأبو فلان خطيّه هالايام شغله واگف ، والله وداعتچ البارحه سويت فد كُبَّه لايگه الهل حلكك ، والى آخره من أحاديث النساء • وعندالعودة الى البيت تصف الام خطيبة ابنها لوالده واليكم مثلاً على ذلك •

ـ أبو جاسم •• تدري المن لگيت عروسه لابنك ؟ فاطمه بنت الحجي ، حجي فلان •• ماشاء الله صايره مره ، طولها مثل طول أمها ، شَطبَه نازوكيّه ، شعرها أصفر مثل الكهرب عيونها عبالك ساعه ، اسنونها ليلو ، رُگبتهَا كُلبُدان • اومن بوّستها(١١) ريحتها عبالك مسچ ريحة حلگها ورد لا بيها صنان ولا كل ريحه ، بس يبچيلها على علچة لحم • إي آني هم أگول من تتزوج تسمن •

بعد أن يوافق الأب تضرب ام جاسم موعداً جديداً مع ام الخطيبه (ويفكن الحچي) وطبعاً ام فاطمه تبارك الزواج لانها تعرف عائلة الخطيب جيداً وتقول لام جاسم :

ـ داده گبعيها(١٢) وأخذيها ـ هاي خادمتچ بس الحچي يم الحجي

---

(١٠) نوع من المعجنات •

(١١) من أسباب فشل الزواج وجود رائحة غير مستحبة في فم أو في جسم الزوجة ولذلك تتعمد الخاطبة تقبيل المخطوبة من فمها وتشم رائحة جسمها لتتأكد من سلامتها من تلك الروائح ، مسچ أي مسك ، الصنان : رائحة كريهة في الجسم •

(١٢) ألبسيها عباءتها •

أخاف منطيها لحد ، آني أكُلـه اليوم وأدزلج[١٣] خبر انشاء الله باچر وبعد أن يكون لابي فاطمه علم بالموضوع يبـارك الخطبه قائلاً الحجي أبو جاسم مثل أخويه[١٤] مابيناتنا اِلا ما حرم الله ، وما شا الله أمورهم زينه الحجي بالع[١٥] ريگه وابنه جاسم رجال من صُدُك[١٦] محد ياخذ غُلبَهْ ابن أبوه .

الخطبة :

حين يضرب موعد للخطبـة يذهب والـد الخطيب مع نخبـة من وجهاء الطرف ومن أصدقاء الأبوين الى دار والد الخطيبة وبعد تنـاول شتى الأحاديث يتكلم أكبر القادمين سناً وأكثرهم وجاهة فيطلب (البنيّه) الى ابن صديقه الحاج ابراهيم وبعـد أن يوافق الأب طبعاً تدار كؤوس الشربت ثم يقرأ الحاضرون سورة الفاتحة ويتمنون الخير للطرفين .

وأثناء تقديم الشربت تطلق النساء الهلاهل من داخل البيت .

تقديم الحك (الصداق) :ـ بعد اتفاق العائلتين تعين احدى الامسيات لتقديم الحك ، فتكون ام جاسم قد حضّرت قطعة[١٧] ذهب مع قطعـة قماش من النوع الجيد ، وهدايا اخرى مع عدد من كلال شكر قند او

---

(١٣) ارسل لك .

(١٤) من الصفات المشروطة في هذا الصدد أن يكون الزوج من عائلة جيدة تناسب عائلتهم .

(١٥) حالته المعاشية جيدة .

(١٦) انه رجل مقتدر ماسك بزمام اموره .

(١٧) تتوقف الهدايا ونوعيتها على الحالة المالية طبعاً وربما زادت عما ذكرته او نقصت .

علبة لقم وقد عگدت الحک بمنديل أبيض حرير ولبست أحسن ملابسها هي وحْبَيِّبَاتِها وذهبن الى بيت الخطيبـة حيث تتعالى هلاهلهـن من باب الحوش وبعد الترحيب من قبل الطرفين تقوم ام العريس او اخته الكبرى بتقديم قطعة الذهب وتلبسها للعروس وتقدم بقية الهدايا مع صرة الحک لام العروس بين الهلاهل وعبارات التهنئة مبارك ، بالخير ، بالتمام ...

مراسيم عقد القران :

غالباً ما تتم مراسيم عقد القران في بيت الزوجة أو أحد أقربائها ان لم تكن دارها مناسبة ، حيث يتم تبليغ المدعوين وجاهاً أو بارسال رسـول اذ لم تكن طباعة رقاع الدعوة منتشرة . ثم شرع بطبع رقاع الدعوة التي توزع على أصدقاء ومعارف العائلتين وفيها تحدد ساعة ويوم العقد وغالبـا ما يكون يوم الجمعة . وهذه هي صيغة الدعوة :

يتشرف فلان بدعوتكم لحضور حفلة عقد قران ولده فلان على كريمة فلان بن فلان في الدار المرقمة ــــــ محلة ــــــ وذلك في الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة المصادف ــــــ وبحضوركم يتم الفرح والسرور .

يرسل أهل العريس الشكرات والظروف مع المنـاديل مع شمعة العسل وقناني الشربت ، وشكر القند (كلال) مع عدد من بطاقات الدعوة لارسالها الى خاصيتهم (أقاربهم) .

تحضر صديقات العروس وأقرباؤها في احدى الامسيات قبيل موعد (المهر) للمعاونة في لف ظـروف الشكر بالمناديل وتشكيلها بالدنابيس وتهيئتها في سلال .

وفي ليلة الجمعة المقررة تُفرش دار والد العروس وتهيأ المقاعد على عدد المدعوين وفي صباح يوم الجمعة يقف والد العريس وأخوته لاستقبال المدعوين ولا يحضر والد العروس وأخوتها لانه (عيب) وبعد أن يتوافد المدعوون ويحضر المختار والقاضي ووكيلا الزوج والزوجة وشاهدان من وجوه المحلة تبدأ مراسيم عقد القران بترتيل بعض آيات القرآن الكريم ثم يجلس وكيلا الزوجين أمام القاضي متصافحين (ابهاماً على ابهام) ثم يغطي القاضي يديهما بمنديل أبيض كبير نسبياً يكون من نصيب القاضي بعدئذ ومثله للمختار •

يبدأ القاضي باجراء مراسيم العقد ثم يوقع الوكيلان مع الشاهدين في سجل المحكمة وتعطى نسخة من العقد وتسمى « زنامة » الى أهل العروس وهي تحمل موافقة الزوجة على الزواج من فلان على مهر مقدم (كذا) ومهر مؤجل (كذا) وتحمل تواقيع القاضي والمختار والوكيلين والشهود وتوقيع الزوج والزوجة •

ثم يذهب القاضي ومعه معاونه يحمل الدفتر والمختار ووالد الزوج الى قرب باب الغرفة التي تجلس فيها العروس ليأخذ من لسانها (يستحصل) موافقتها فيسألها عن قبض المهر والقبول بفلان زوجاً • ومن عادة بنات بغداد ألا يقلن نعم الا بعد أن يكرر القاضي سؤاله عدة مرات •

وفي هذه الاثناء تكون العروس مرتدية بدلة بيضاء جالسة على رخت[18] وبيدها العنان ثم تطور ذلك فأصبحت العروس بعدئذ تجلس

---

(١٨) سرج الحصان ويكون مرصعا بالفضة • وفي بغداد طائفة من العوائل لا توافق على جلوس العروس على الرخت اعتقاداً بأنها تكون ملجومة ولا تطالب بحقها اذا أصابها غبن من العيال •

على كرسي وأمامها صينية تحتوي على :ـ

× القرآن الكريم مفتوحاً على سورة (انا فتحنا لك فتحاً مبينا) تضرعاً اليه عز وجل أن يجعل الزواج فاتحة خير على العائلة وأن يكون مقدم البنت على بيت الزوجية مقدم خير ٠

× البياض (لبن أو قيمر أو حليب) لان البغادة يتفاءلون باللون الابيض ومن أقوالهم في الدعاء لشخص بالخير يقولون (ان شاء الله بيضة بوجهك حشه عيونك) ٠

× الخضرة مع الخبز وتكون الخضرة (ياس أو كراث ورشاد أو خس ٠٠٠) لان الخضرة ، وهي نبات الارض ، دليل الخير والبركة ٠

× الشكرات ـ وتكون حلوة المذاق لأنهم يتفاءلون بالحلاوة حتى تكون العروس (حلوة بعيون الرجّال) كما يضعون في الصينية قليلاً من الحنة ويوقدون الشموع ٠ وعندئذ تضع العروس قدميها في لگن ماء تأخذه بعدئذ احدى المحبوسات وتسبح به عسى أن تحمل ، وبعض العوائل يضعون قدمي العروس في لگن ماء فيه ياس وورد ٠ وتمسك العروس بيدها شيشه[١٩] صغيرة تحتوي على الزئبق تخضها بين حين وآخر على أساس (بطله ـ أي إبطال السحر) وفي فمها فص نبات ٠

تقف على رأس العروس امرأتان من المسعدات وغالباً تكونان من خالاتها أو عماتها أو من الاقارب أو الاصدقاء وبيد كل منهما كلّتان شكر قد تحركانهما فوق بعضهما حتى تتساقط ذرات السكر على رأسها

---

(١٩) قنينة ٠

المغطى[٢٠] بقماش أبيض ثم تجمع تلك الذرات المتساقطة مع ما تبقى من كلات القند ويحتفظ به حتى مصباح الصبحية حيث يعمل حلاوة تقدم للعريس والعروس .

كما تحمل احدى قريبات العروس (قفل ومفتاح) وبعد أن تلفظ العروس كلمة (نعم) اجابة على أسئلة القاضي التي كررها عدة مرات يقفل القفل ويحتفظ بالمفتاح الى ليلة الدخلة حيث يفتح مرة ثانية واذا لم يفتح القفل في هذه الليلة فانهم يعتقدون بأن العريس لم يتمكن من (أخذ المره) أي لم يستطع افتضاض بكارتها ، كما تحتفظ العروس بفص النبات الذي وضع في فمها عند عقد القران لوضعه في فم العريس ليلة الدخلة أيضا .

وبعد انتهاء مراسيم القاضي توقع العروس في الدفتر الرسمي الذي يحفظ في المحكمة ، وتتعالى الهلاهل وتمنح أقارب العريس (وگعة المهر) للعروس وغالباً ما تكون أساور ذهبية أو أقراطاً أو نقوداً الى آخره ، وقد قيل قديماً (الهدايا على قدر مهديها) .

وبعد عودة القاضي ومن معه الى محلهم يبدأ (الوگافه) وهم عادة من أولاد الطرف ومن أقران العريس وأصدقائه بتقديم الشربت على الحاضرين ثم توزع المناديل الملفوفة على ظروف[٢١] الشكرات وأخيرا ينفض المجتمعون بعد تقديم التهاني لوالد العريس الذي يكون واقفاً في باب الدار

---

(٢٠) وعند بعض العوائل تمسك احدى النساء ماعون فخفوري أبيض فوق رأس العروس لجمع السكر المتساقط نتيجة الاحتكاك .

(٢١) واخيراً تطورت عادة توزيع المناديل (الچفافي) الى كاسات بلور أو قواطي فضية أو معدنية ومنهم من بقي ولا زال يقدم المناديل مع اكياس الحلوى الشفافة .

لتوديع المدعوين وقبول تهانيهم فمنهم من يقول : (بالخير انشاء الله يوم زواج الصغيّر) وآخر يقول : (بسلامتك حجي انشالله اتشوف ولد ولدهم) والى آخره ووالد العريس يرد على عبارات التهاني بالشكر •

ويرسل أهل العريس بعدئذ « دولكات » الشربت الى بيوت الجوارين والاصدقاء مع (چفية أبو فلان) الذي لم يحضر حفلة عقد القران لظروف قاهرة •

الحفّافة : وهي امرأة تدخل البيوت مهنتها ازالة الشعر من وجوه النساء وأذرعهن وسيقانهن وذلك باستعمال الخيط[٢٢] والسبداج وهي عادة تتولى تجميل العرايس وبعض الحفافات يكن وسيطات زواج يعرضن جمال وحسن فلانة على أم فلان التي رامت تزويج ابنها • كما ان هناك نساء يمتهن (دلالة الزواج) وتزويج البنات (البايرات) أو اللواتي فاتهن قطار الزوجية •

تدعى الحفافة الى دار أهل العروس قبيل موعد عقد القران وتدعو أم الزوجة أقارب العائلتين حيث تحف الراغبات منهن بعد اكمال حفافة العروس •

تجلس العروس وتجلس قبالتها الحفافة على الأرض المفروشة وتقوم بواجبها بين هلاهل الحاضرات اللواتي يرمين قطع النقود في طاسة الحفافة حسب الاستطاعة •

---

(٢٢) تمسك الحفافة بطرف الخيط بين أسنانها بعد ان تلفه لفة خاصة ثم تمسك بطرفيه كل طرف بيد وتبدأ بسحب وارخاء الخيط بعد ان تقربه من المنطقة المراد ازالة الشعر منها •

وبعد الانتهاء من الحفافة يتناول الجميع طعام الغذاء عند أهل العروس في جو يسوده الحبور ٠

عقد القران للنساء :

تجري حفلة عقد القران للنساء عصر نفس اليوم حيث تتوافد المدعوات بالموعد المقرر وتكون العروس جالسة على كرسي عال نسبياً وهي بملابسها البيضاء المؤلفة من :

البدلة من قطعتين وتسمى پُلگه[٢٣] وتنوره ، مع تـَپـَّه[٢٤] وزلوف والدواغ چيناوي[٢٥] أبيض والحذاء يسمى كُذلة رحلو[٢٦] ٠

ثم تطورت ملابس العروس مع الزمن وأصبحت كما يلي محتفظة باللون الابيض : بدلة كاملة (نفنوف) وبيدها اِلدُوّانات[٢٧] وعلى رأسها الدواغ مع طاق قداح اصطناعي وبيدها شدة ورد اصطناعي أيضا أو مهفة اصطناعية وتسمى (آل فرنگه) أي أجنبية الصنع ٠ وتكون العروس مطرقة خجلة وبيدها منديل أبيض وضعته على فمها ولا تكلم أحداً ٠

---

(٢٣) وهي تشبه اليلك الى حد كبير والتنورة هي نفس تنورة نساء اليوم وتحمل نفس الاسم الا ان التنورة المقصودة كانت عريضة ليست كتنورات اليوم الملتصقة على الجسم ٠

(٢٤) تشبه العرقچين الى حد كبير الا انه مزين من جميع اطرافه بپرپارات فضية ومنهم من يصوغها من الذهب ويزركشها بألوان بديعة ، أما الزلوف (جمع زلف) فتكون اصطناعية من التيل تثبت في التپه لتتدلى يمين ويسار وجه العروس ٠

(٢٥) قماش لماع ٠

(٢٦) حذاء أبيض مزوّك بالورود ومنقوش بالنمنم ٠

(٢٧) الكفوف ٠

أمام العروس شمعة[٢٨] العسل مثبتة في قمقم[٢٩] صفر لانها ثقيلة نسبياً وحولها عيدان الياس الأخضر • ومن حب الاستطلاع أو في طلب الانس يحضرن عدداً من النساء غير (المعزومات)[٣٠] وهن مخمرات بالعباءة لايظهر منهن سوى عيونهن وبعضهن تُظهر عيناً واحدة ويسمى هـذا (بالتبديل) أي حضرت فلانة بتبديل هيئتها • ويقدم للمدعوات الشربت وظروف الحلوى بدون مناديل ثم تطورت حفلات عقد القران وأخـذت بعض العوائل تقدم الكرزات أو الكليچه[٣١] والكعك مع الشاي وأخيراً السندويجات والكيك •

وتستقدم بعض العوائل (ملايه)[٣٢] مع جماعتها من (الدگاگات أو الردادات) لاحياء حفلة غنائية خلال تلك الامسية وبعضها يحضر راقصة أو أكثر أو كاوليه (الغجر) وهذا يتوقف على حالة العائلة المالية •

وعندما تذوب الشمعة وتطول فتيلتها تقوم ام العروس أو احـدى قريباتها بقص الفتيلة واطفائها بطاسة ماء احضرت خصيصاً لهذه العملية •

وبين العـوائل من يختتم الحفلة هذه بمد سـفرة العشـاء المشتملة على أنواع المأكولات الشهية والفواكه والحلويات • وبعد انصراف المدعوين تطفأ الشمعة لاستعمالها ثانية في ليلة الدخلة •

---

(٢٨) تعمل من الشحم المصبوغ باللون الاصفر تقليـداً للون شمع العسل ولذلك سميت باسمه وقد يبلغ طولها مترا •

(٢٩) مشربة تستعمل لنقل المـاء وهـي من الصـفر المبيض • يملأونه بالتمن غير المطبوخ ويوزع ذلك التمن بعدئذ على الفقراء •

(٣٠) غير المدعوّات •

(٣١) نوع من المعجنات قوامها طحين الحنطة والدهن ثم تخبز بالتنور•

(٣٢) امرأة تترنم بالشعر في الافراح أو في المآتم •

الجهاز : تبدأ العروس ومعها أمها أو أختها الكبرى أو احدى قريباتها باعداد الجهاز وربما تخرج عدة نساء معاً لشراء هذا الجهاز ، فتشتري قماش بدلة العرس تمهيداً لارساله للخيّاطة حتى يكون جاهزاً في الوقت المطلوب ثم تشتري بقية الحاجيات الجاهزة ، وتوصي على عمل المواد الاخرى ٠

أما أثاث الدار فهو حسب قدمه : صندوق[٣٣] الهند ذو المسامير الصفراء أو الكنتور ذو المرآة الواحدة الظاهرة أو كنتور ذو مرآتين ظاهرتين ثم الكنتور ذو عدة أبواب والمرآة مخفية ٠ كرويت[٣٤] أبو الرمانة المجروخة اثنتان ثم تطورت الى القنفات ٠ مرآة كبيرة مع ميز ثم تطور الى ميز تواليت ، أورطة ويانات ايرانية ، عدد من الدواشك واللحف والوسائد وتكون عادة صرة لحاف العروسين من الچيناوي اللمّاع وكذلك رؤوس المخاديد ، لگن وابريك ، صينية صفر كبيرة والكرسي الخاص بها ، عدد من الطشوت (جمع طشت) وهي من الصفر المبيَّض، منقله حديد ثم أصبحت منقلة برنج مع مقعد خاص لها يسمى صينية المنقلة ، لفات حصران[٣٥] خيزران ، سلال الملابس[٣٦] ، چرپايه[٣٧] أم الرمانات ثم تطورت الى

---

(٣٣) يستعمل لحفظ الملابس ويقوم مقام الكنتور يومئذ ٠

(٣٤) تعمل الكرويتات زوجية ليتكامل الاثنان ويصبحا قطعة واحدة بها متكأان واحد في اليمين والآخر في اليسار وفي كل متكأ كرة مجروخة لذا سميّت كرويت أبو الرمانة يفرش بالدواشك ومخاديد التچي التي تكون وجوهها من القديفة المطرزة بالتيل طبعا ان كان العريس غنيا ٠

(٣٥) تشتهر مدينة مندلي ومحلة العوينة في بغداد بصناعة حصران الخيزران ٠

(٣٦) تصنع من عيدان الرمان وتشتهر في صناعتها مدينة كربلاء وبعقوبة ومندلي وبغداد وتستعمل لحفظ الملابس ٠

(٣٧) قبل شيوع الچرپاية كان العريس وزوجته ينامان على منصة مؤلفة من عدة دواشك بعضها فوق بعض ٠

قريوله سيسم ، ماكنة خياطة يدوية وغيرها مما يستعمل في البيت وكل حسب وقته وحسب امكانيات الطرفين .

كما تشتري ملابس داخلية للعريس ومن معه في البيت من الرجال كأبيه واخوته وتسمى (چماشور) .

الحمَّـــام

يحجز أهل العروس حمام الطرف صباح يوم الاربعاء الذي يسبق ليلة العرس لاغتسال العروس ومن معها من المدعوات حيث تذهب العروس ومعها الادوات التالية وهي لا تقتصر على العرائس فقط وانما تشمل معظم بنات ونساء بغداد وتتوقف نوعية المواد على امكانيات المستحمة ولكني سأذكرها هنا كنموذج للمرأة البغدادية :

مفرش مطرز بكلبدون ـ لفرشه على تخت أو دچة (دكة) الحمام للجلوس عليه بعد الاستحمام . البقچة المطرزة بالكلبدون أيضاً وفيها زوج مناشف شاملية (عمل دمشق) مطرزة بالبريسم الابيض أو بالكلبدون أيضاً .

بشطمال ابريسم (دك الصايغ) أي مثبت عليه طرر فضية ، قبقاب مكسو بالفضة ، ركية[٣٨] فضة وتكون ركيّة متوسطي الحال من الصفر المبيَّض يوضع في داخلها المشط وهو من الخشب وحجر مغطى بالفضة مع كيس وليفه مع عدد من قوالب صابون الركي أبو الهيل (شغل حلب)

---

(٣٨) ركية الحمام ـ كروية الشكل قطرها حوالي قدم تفتح من وسطها بقسمين متساويين يكون في القسم الاعلى منها عروة ماسكة (أو يَدّة) لحملها ولها كلاّب لاحكام سدها عند الحمل ومنقوشة نقشاً بديعاً وتصنع اما من الصفر المبيض أو من الفضة كما ذكرت أعلاه .

مع عدد من الكُرُصْ (جمع كُرُصه) وهي مزيج من النخاع (مخ عظم الكراع) والسبداج العادي مدوّرة الشكل حجمها بقدر حجم الدرهم اليوم يستعمل لازالة الاوساخ والدهن من الوجه • مع كمية من الديرم وهو لحاء شجر الجوز يستعمل لتلوين الشفاه وتنظيف الاسنان ، كمية من طين خاوه[٣٩] ، لگن كبير يستعمل لأخذ الماء ويقوم مقام الحوض ، ولِگنْ آخر يستعمل لنقل الماء ولگن ثالث صغير يستعمل للجلوس بعد وضعه مقلوباً على الارض وكل هذه « اللگونة » مصنوعة من الصفر المبيّض ، بقچه اخرى تحتوي على الملابس النظيفة مع عدد من الچتايات المورّده من (شغل حلب أو الموصل) تستعمل لتعصيب الرأس بعد الاستحمام •

تسلم العروس أو كل مستحمة مخشلاتها « للحممچيّه » زيادة في الأمان وتسلم الملابس والبُقَچ للناطورة التي تتولى عادة حراسة الملابس لقاء (بخشيش) علاوة على أجور الاستحمام •

وبعد أن تخلع العروس ملابسها بين الهلاهل تأخذ الدَلاّكه[٤٠] (اللگون) والرگيّة وتتقدم موكب العروس الى داخل الحمام •

ومن عادات أهل بغداد عامة ـ نساء ورجالا ـ أخذ الفاكهة معهم الى الحمام وخصوصاً الرمان والنومي حلو •

ومعظم النساء يتأخرن في الحمام حيث يدخلن صباحاً ويخرجن مع

---

(٣٩) ترسبات نهرية تستعمل بعد تنقيعها بالماء في دلك شعر الرأس لازالة القشرة وجعل الشعر ناعماً وأحسن أنواع طين خاوة هو ما يجلب من ترسبات بحر النجف أو نهر العظيم أو من الحسا وتسمى طين خاوة حساوية •

(٤٠) امرأة اتخذت غسيل أجسام النساء مهنة لها وأشهرهن (ليلة الدلاكة) في حمام المالح •

أذان العصر ولذلك يحتجن الى طعام يغلب أن يكون كباب السوق وهو من أكلات بغداد المشهورة ولكن طعام العروس يكون خاصاً حيث تأتي صواني الطعام لها وللمدعوات من البيت وأغلبه نواشف أو كباب وهو الأكلة التقليدية في الحمام • ومن النساء من يصبغن شيبهن بالحناء والوسمه في الحمام •

وبعد انتهاء العروس والمدعوات من الاستحمام تدفع ام العروس أجور الحمّام وبخشيشا للدلاكة والناطورة وثمن چاي الدارسين ويخرجن الى بيوتهن •

الحنة (ليلة الحنة) :

تقام عادة في ليلة الاربعاء التي تسبق ليلة العرس (الدخلة) في بيت أهل العروس مراسيم الحنة تحضرها قريبات العائلتين وصديقاتهن •

تنصب صينية كبيرة مزينة بشموع الكافور[٤١] والياس (أوراق نبات الياس) وطاسات الحناء الايرانية المعجونة •

تبدأ الجدة (القابلة) التي ولَّدت أم العروس بوضع الحنة بيد[٤٢] العروس ورجليها بين الهلاهل والغناء وأصوات الدنابك والدفوف ، فاذا لم تكن القابلة موجودة تقوم جدة العروس لامها أو لابيها بواجب وضع الحنة على يدي العروس وأيدى المدعوات تباعاً •

وهنا أيضاً تقدم الحاضرات بعض النقود في طاسة الماء مساهمة منهن

---

(٤١) شموع بيض تستورد من خارج العراق •

(٤٢) منهن من يتفنن بوضع الحناء حيث يستعملن قطعاً من العجين لعمل بعض النقوش • يرسل أهل العروس الى بيت العريس صينية الحنة وحتى المناديل البيض التي تشد بها اليد بعد وضع الحنة عليها •

بالفرح وتكون تلك النقــود من نصيب القــابلة • ثم تذهب الى بيت العريس حتى (إتحني) العريس وسراديجه ، وهنــاك من يقيم سـهرة ممتعة يدعون اليها (ملاية والدگاگات) أو راقصات وهذا يتوقف على الحالة المالية كما أسلفنا ثم يتناول الجميع طعام العشاء وتنصرف بعدئذ الحاضرات وقد أمضين وقتاً سعيداً في حنة العروس •

ندف الفراش وخياطته :

يحدد موعد ندف الفراش ويدعو أهل العروس أصدقاء ومعـارف العائلتين من النساء ويستدعون أحـد الندافين المعـروفين ، فيحضر ومعـه صانعه الذي يحمل (الگوز[٤٣] والچك) والنداف يحمل عصـا يضرب بها الفراش بعد خياطته •

وعند البدء بتفصيل قماش الفراش تتعالى الهلاهل والأدعية (امبارك ، بالعافية ، بالتمام انشالله) وتقدم المدعوات والحاضرات بعض النقود بخشيشاً للنداف • وعند الظهر تنصب صواني الغداء للمدعوات كما يستأنف النداف أعماله بعد أن يتناول طعام الغداء هو وصانعه ثم ينصرف الجميع وكلهم يتمنى الخير والسرور للعروس •

الحملة :

بعد أن يحدد موعد ليلة الزواج ينقل أهل العروس جميع الجهـاز

---

(٤٣) خشـبة قـد يبـلـغ طولهـا متـرا وعليهـا وتـر غليظ يمكسها النداف من وسطها موجهاً الوتر نحـو كمية القطن المراد ندفـه ويضرب بالچك وهو خشبة مجروخة لها مقبض خاص يبـلـغ طولهـا مع المقبض حوالي القدم ونصف القدم يضرب به على وتر الگوز فيتطاير القطن ويعيد العملية مرة أخرى الى أن يطمئن من نفش القطن نفشاً جيداً •

الذي أحضروه الى مسكن الزوجة وغالباً ما يكون في بيت أهل العريس ويحضر عدد من أقارب الطرفين للمعاونة في تنظيم وفرش غرفة العروس.

يحضر أصدقاء وأقارب العريس الى بيت العروس ومعهم المزيقة (الموسيقى) وهي أجواق شعبية خاصة بآلات نفخ مع الطبل والزمّاره والنقاره ومعهم عدد من الحمالين الصغار والكبار ، فيوزع الاثاث على الحمالين ويقفون رتلاً في (الدربونه أو العگد) وبعد اتمام التحميل تسير مجموعة من شباب الطرف أصدقاء العريس وأقربائه وخلفهم (المزيقه) ثم الحماميل وهم يحملون على رؤوسهم أو ظهورهم قطع « الجهاز » واذا طال رتل الحَمْله دل على ان العريس ذو وجاهة ويسر . ويسير في نهاية الحملة عازفو الطبل والزمّاره والنقّاره .

زفة العروس :

تستعد العروس بعد تناول غداء ظهر يوم الخميس للزفة حيث تقوم احدى النساء (المسْعِدَاتْ) السعيدات في حياتها الزوجية بالباس العروس ملابسها البيضاء الخاصة بالعرس وتقوم بعملية (الزواگهْ) تجميلا للعروس ، وأحيانا تقوم الحفافة بوضع الزواگه على وجه العروس وقد تطورت ازواگة العروس سنة بعد أخرى وسأذكر أقدمها متدرجاً نحو الاحدث .

كانت « النونة » تصنع بعد أن تبصق الحفّافة على ظهر الطاوة المسَخَّم وتلوثها باصبعها ثم تضع ذلك المزيج الاسود كنقطة دائرية سوداء بين حاجبي العروس .

كما تضع في عينيها الكُحل وعلى وجهها السبداج وتصبغ شفتيها

بالديرم ثم تضع على جبينها قطعاً لمّاعَةْ تسمى (مي ذهب[٤٤]) وتلصقها بواسطة منقوع السكر أو بقليل من الدبس • وتضع قليلاً من (مي الذهب) على وجنتيها ثم تُلبسها التپّة وزلوف التيل والدواغ من اللاز أو الجيناوي الابيض وتكون عباءتها (ازار[٤٥] مع البيچة) وحذاؤها (كذلة رحلو) أو الچُدُك وهو حذاء طويل يشبه الجزمة لونه أصفر •

ثم تطورت زواگة العروس فاستخدم الخِطاطْ و (الازباد) لرسم النونة وتَطْوَيخ الحاجبين والسبداج القلاي مع صبغ الوجنتين بالقطن الاحمر بعد تبليله بالفم والديرم والكحل كما أسلفنا وسنأتي على اسلوب عمل الكحل مفصلا ثم تطورت مواد التجميل اكثر فظهر الپودر واحمر الشفاه وقلم الحاجب وحُمرة الخد وغير ذلك مما شاع استعماله منذ نهاية الحرب العالمية الاولى حتى الآن • ولا تزال أدوات ومواد تجميل النساء في تطور مستمر •

وبعد تجميل العروس والباسها أغلى خشلها (مصوغاتها الذهبيـه) وحضور كافة المدعوات للزفة ينادى أحد صبيان المحلة ويُطلبُ منه شـد (أي تحزيم) العروس بقطعة قماش أحضروها لهذه الغاية اعتقـادا بان هذه العملية تجعل المولود البكر ولداً لشدة تلهفهم للولد •

ثم تطور الازار والپيچه الى العباة المبرد مع الپوشي وهنا يجب ان

---

(٤٤) هي طبقات خفيفة لونهـا اصفـر كالذهب ، رخيصـة الثمن كانت تستعمل لتجميل العرايس كما ذكرنا •

(٤٥) قماش ملون سميك نسبيا يشبه العبـاءة الى حد كبـير كان مستعملا عند عجائز اليهود في بغداد حتى وقت تسقيط الجنسية عنهم (والپيچة) غطاء للوجه لونه أسود ، سميك نسبيا له حاشية كلبدون أصفر تسمى (زنجاف) •

يكون پوشي العروس من القماش الأبيض .

ويحضر أخوان وأقارب وأصدقاء العريس لمرافقة موكب الزفة فتخرج العروس[46] تحف بها جماعة المدعوات بين الهلاهل وهي مطرقة تبكي وتتعثر بمشيتها من الخجل ويقودها اثنان من الحبَيْبَات واحدة عن يمينها والاخرى عن شمالها .

تمشي امام العروس احدى نساء المحلة حاملة على رأسها بُقچة الچماشور[47] وعلى كتفها ابريق طين مفخور كأباريق الجامع وفيه كمية من الآس وتصيح بأعلى صوتها « نوري پاك محمد صلوات » وعند وصول العروس تعطي تلك المرأة بخشيشا مناسباً ، وهناك امرأة أخرى تحمل مرآة موجهة نحو وجه العروس . وتكون زفة العروس أما مشياً على الاقدام أو بالعرباين الربل وأخيرا عند شيوع استعمال السيارات اصبحت الزفة بالسيارات المزوّكه بالقطن والشرايط الملونة وغيرها .

عند وصول العروس الى باب بيتها الجديد ينحر لها خروف على عتبة الباب كي تطأ دمه بقدمها للبركة .

كما يوضع في مدخل الدار (لگنْ) ماء تضربه العروس بقدمها كي يتدفق الخير على زوجها كتدفق الماء المنسكب من اللِگنْ ثم تجلس العروس في وسط الحوش أو بالليوان وبيدها منديلها وقد وضعته على فمها لا تكلم

(٤٦) ان كان للعروس دايّة (مربية) أو وصيفة فانها تبقى ممسكة بالعروس في باب الدار وهي تبكي ولا توافق على خروجها من البيت فيتقدم والد أو أخ العريس ويعطيها بعض النقود ويأخذ العروس الى موكبها مع الزفافات .

(٤٧) ملابس داخلية للعريس ولابيه وأخوته الذين يسكنون معه في البيت .

احداً ولا تبتسم وعند اذان المغرب تنصب صواني العشة للمعزومات وفي هذه الفترة تعطى العروس قليلاً من دهن الطعام ويطلب منها ان تسكبه في الموقد حتى يزيد رزق صاحب الدار ولا ينصرف النساء الا بعد قدوم العريس كي يتفرجن على الزفة •

أما الكحل فهو نوعان النوع الأول يكون صخرياً لماعاً وتجري عليه العملية التالية :

يُعگدْ بصُرَّهْ وينذَبْ (أي يرمى) بحب (الماي) حيث يبقى مدة أربعين يوماً حتى تزول حرارته ويبرد ثم يُسحَنْ بالهاون سحناً جيداً وقد تطول مدة سحنه عدة أيام ثم ينخل نخلاً جيداً بقماش ناعم المسام • ثم تحرق بعض حبات اللوز حرقاً جيداً حتى يطلع الدهن ثم يخلط الكحل المنخول مع دهن اللوز حتى يطوّخ لونه ويحفظ بعدئذ في المكحلة جاهزاً للاستعمال •

اما النوع الثاني فهو كُحل الهوش ، ومنهم من يسميه كُحل البُگر (البقر) وهذا النوع مرغوب أكثر من النوع الاول لشدة سواد لونه ويستحضر بالطريقة التالية :

توضع كمية من شحم الهوش في اناء ويسخن على النار ثم يوضع بداخل ذلك الشحم فتيلة من القطن المغموس بالشحم نفسه ثم توقد تلك الفتيلة فمن الطبيعي انها ستبعث دخاناً أسود وعندئذ يوضع وعاء آخر فوق ذلك الدخان المتصاعد لكي يتجمع السخام فيه وعندئذ يجمع ويحفظ في المكحلة جاهزاً للاستعمال • أما المكاحل (جمع مكحلة) فهي اما من قماش يخاط كجيب له غطاء أو من نحاس أو فضة والأداة

المستعملة لاخذ الكحل من المكحلة وتكحيل العين تسمى (ميل) ويصنع من الخشب ويكون مصقولاً صقلا جيداً كي لا يؤذي العيون . ورغبة النساء في الكحل لا تقتصر على بنات بغداد أو بنات العراق بل تتعداها الى جميع بنات حواء في أنحاء العالم ، فكل النساء يرغبن أن تكون لهن عيون جآذر محاطة بالسواد كالتي تغزل بها اجدادنا شعراء العرب منذ القدم حيث قال الشاعر علي بن الجهم :

عيون المها بين الرصافة والجسر   جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

يحضر أهل العريس الجوق الموسيقى البغدادي وعددا كبيرا من اللوكسات لانارة الطريق أمام الزفة حيث ينتظرون في باب الجامع الذي يؤدي فيه العريس وجماعته صلاة العشاء . وغالباً ما يكون احد اصدقاء العريس قد اقام حفلة عشاء للعريس واقاربه واصدقائه وبعد الانتهاء من تناول العشاء تجتمع (الزَفّافَةْ) في الجامع لتأدية الصلاة كما ذكرت . ثم يجتمع الموكب في باب الجامع ويقوم احد الاصدقاء بتنظيم اسلوب مسير ذلك الموكب حيث يوزع الاضوية (اللوكسات) ثم الجوق الموسيقي ثم عدداً آخر من الاضوية أمام العريس ثم العريس وهو بملابسه الجديدة وعباءته[٤٨] ذات الياخة الكلبدون يحف به اثنان من اصدقائه يناظرانه في الطول والملابس ، يمشي أحدهم عن يمينه والآخر عن يساره ويسمى كل منهم (سَرْدُوجْ) أي مرافق العريس .

ويمشي خلف العريس والسراديج (جمع سردوج) عدد من الاصدقاء وبقية أعضاء الزفة وفي المؤخرة أبو الطبل وعازف الزمّارة

---

(٤٨) وهي ما تسمى بعباءة چاسبي .

وضارب النقّارة .

وعند خروج العريس من باب الجامع يكسر أولاد المحلة عدة أباريق ماء (من التي تستعمل في الجوامع وهي من الفخار) فيعطي احد السراديج بعض النقود لاولئك الاولاد .

ومعظم الزفات تتقدمها جماعة المهوسين وهم من شباب المحلة اظهاراً لشعورهم بفرح صديقهم ابن الطرف ومنها :

هـاي الرَادهَا وهـاي التمناها بنت الشيخْ لابن الشيخْ جبناهـا

أو ـ شايف خير ومِستاَهِلهَا .

أو ـ زَوَّجناه وخلَصنا منّـــهْ .

ومبالغة في الفرح تطلق ، في كثير من الزفات ، الاطلاقات النارية من مسدسات وبنادق المهوّسين .

يقوم اصدقاء العريس أثناء مسير الزفة « بعملية » موروثة ، وقـد علمت بعد التساؤل ان هناك عادة مشابهة لدى بعض الاقوام ولكنهم بدلاً من استعمال (الاصابع) يستعملون ابراً ينخسون بها العريس في أماكن من جسمه دون تركيز على محل معين والغاية من ذلك هو استجماع افكاره والحيلولة دون تفكيره بالمجهول لان هذا التفكير قتّال كما هو معروف .

واستهدف بعضهم محل الاتيان بتلك العملية بالذات لتهيّج العريس حتى يتمكن ان يقوم بالعملية الجنسية بالسرعة المستطاعة حيث أهله واهل العروس بانتظار (وصلة بياض الوجه) .

ليلة الدخلة ـ (يلفظ لام الدخلة مفخماً) :

بعد وصول العريس الى بيته المفعم بأنـواع الزينة والاضـوية واللوكسات والآويزات والفوانيس واللمپات [وبعد شيوع استعمال القوة الكهربائية في البيوت استخدمت نشرات الاضوية الملونة مع (كلوب أبو الميّة) بالنص أي في فناء الدار] يدخل الى غرفته حيث تقف العروس ومعها امرأة سعيدة في حياتها الزوجية وغالباً ما تكون احـدى قريباتها (فتعطي الايد بالايد) أي يتصافح العريسان ثم يرفع العريس (البر گـع) من على وجه العروس فيقبلها في جبينها • وعند بعض العوائل البغدادية تمسـك العروس بكل يد شمعة كافـور موقـدة تأخذهـا منهـا المرأة التي تعطي (الايد بالايد) وتضعها في الشمعدانات بنفس الغرفة حتى يتصافحا وهي تقول (مِنكْ المال ومِنها البَنين بجاه رب العالمين) •

وهنـاك وصية لأم العروس توصي بها ابنتها وذلك بان تطأ قـدم العريس بقدمها حتى (تِـر ْكَـبَـه) أي تسيطر عليه وتكون كلمتها مسموعة في البيت[٤٩] •

اما وصية ام الزوج لابنهـا فهي العكس أي هـو الذي يجب ان (ايدوس رِجِلْ مَرتَـهْ) لنفس السبب آنف الذكر •

وبعد ان يُقبل العريّس عروسه يخرج من غرفته الى الحوش للتسليم على من كان معه في الزفة من الاخوان والاصدقاء والمعارف فتقدم كؤوس الشربت للحاضرين مع الهـلاهل المتلاحقة وبعـد تقديم التهاني للعريس ووالده ينصرف كافة المدعوين فيقبل العريس يد والده ويدخل مرة ثانية

---

(٤٩) وهناك وصية أخرى توصى بها العروس وهي (حُطِي ايدچ بالغلگْ بلكي اتموت مَرِتْ عمچ وأتْـنفهلچ) والغلگ ـ هو المزلاج •

الى غرفة منامه[50] • ثم تنصرف النساء اللواتي حضرن مع العروس وتبقى احدى قريبات العروس (عمتها أو خالتها أو بيبيتها) في البيت تنتظر (وصلة بياض الوجه) •

يضع أهل العريس طعاماً في غرفة الزوجية (دجاج ـ لحم محموس بقلاوة ـ أو حلويات) حتى يأكل العروسان بعد ان يطمئن كل الى شريك حياته حيث لم يرَ كل منهما الآخر قبل هذه الليلة ، وعاش كلاهما بالتفكير ومن يفكر طبعاً لا يشتهي الطعام ، ومن ناحية أخرى يستطيعان بهذا الطعام أن يعوضا الجهد البدني الذي بذلاه في تلك الليلة علاوة على السهر كما توضع كمية من الشكرات في نفس الغرفة وتسمى (جَوَّهْ الراس) يوزع على الجوارين صباح اليوم التالي •

وساعة يؤدي الزوج رسالته في تلك الليلة يخرج من غرفته الى غرفة أخرى فاسحاً المجال لدخول قريبة الزوجة التي باتت ليلتها عندهم لاخذ قطعة القماش البيضاء المصبوغة بدم البكارة • وعندئذ تطلق الهلاهل فرحاً واعلانا بان ابنتهم شريفة وبنت حلال • وقد يطلق بعض اقربائهم من الشباب عيارات نارية في الفضاء لاشعار سكان المحلة ب (بياض الوجه) •

وقبل الفطور يسبح كل من الزوجين على التوالي الزوج ثم الزوجة (لاغتسال الجَنَبات) وهذه عادة اسلامية صرفة وان معظم أهل بغداد متمسكون بعادات الدين الاسلامي الحنيف •

---

(٥٠) هناك امرأة تسمى الماشطة تكون في غرفة الزوجية مع العروس والعريس وقد احضرت لگن وابريق مملوء بالماء تنتظر أن يخلع الزوج والزوجة احذيتهما ويضع العريس قدمه فوق قدم العروس لتسكب الماء الذي في الابريق على قدميهما ثم تأخذ اللگن والابريق وتخرج تاركة الزوجين وحدهما •

الصبحية :

وفي صباح يوم الدخلة (صباح يوم الجمعة) يرسل اهل العروس فطوراً الى بيت الزوجية قوامه ماعون گيمر كبير مع الخبز وماعون الحلاوة المصنوعة من الشكر الذي تساقط على رأس العروس عندما كان القاضي (ياخذ من اِلسَانها) ثم تطوّر الفطور الى صينية بقلاوة أم الگيمر أو كاهي وغيرها ...

وفي ضحى يوم الصبحية تقاد العروس من قبل حَمَاتِها (أي زوجة أخ العريس) علماً بأن البيوت البغدادية كانت تضم ثلاث أو أربع چِنَايِنْ لان الاولاد المتزوجين يسكنون مع والدهم في دار واحدة ـ كي (تُوگع على اِيد عَمْهَا) ثم عمتها أي تقبل يد والد زوجها الذي يبارك زواجها كما ان العريس يقبل يد أبَوَيه أيضاً . فيبارك والد العريس قائلاً « أُبارك ألف مَرّة أُبارك الله ينطيني العمر حتى أشوف المحروس ابنكُم » ثم يقدم وگعَهْ أي هدية لزوجة ابنه وهذه تتوقف على الحالة المالية طبعاً وعلى سبيل المثال يقدم لها قطعة ذهبية قد تكون سف حصير ، أو اِسوار ، أو تراچي أُم الساعة أو تراچي أُم الدِرِعْ وأخيرا مَنْتَشَهْ لِيلُو أو زَنّادي أو يَاخَهْ ألماز أو فلوس .

وعند المساء يذهب العريس الى بيت عمه (والد العروس) حيث يقبل يد عمه وعمته (أم العروس) وهناك يعطيه عمه (وگعة) أيضا .

ومن عادة الازواج في بغداد الا يبارحوا الدار لمدة ثلاثة أيام متتالية ومنهم من يبقى سبعة أيام .

الزيارات :

في الايام التي تلي الدخلة تكون العروس في أحلى زينتها وأحسن ملابسها وهي لا تقـوم بأي عمـل غير استقبال (الجوارين) والاقارب والاصدقاء الذين يقصدون بيتها لتقديم التهاني والفرجه على جهازها « اللهم الا غسل التمن في صباح يوم الصبحية حتى يكثر الرزق » حيث تفتح لهم (صندوك الهدوم أو الكنتور أو دولاب الملابس) ليشاهدوا ويتفرجوا على الملابس والمصوغات والهدايا وغيرها • وهناك حبل في نهايتيه طاسَه فضية يتدلى منها كراكيش بنفس لون الحبل ، يُشَدّ بالغرفة لتنشر عليه العروس ملابسها حتى تشاهدها الزائرات •

يوم الستّه :

في اليوم السادس من أيام الزواج وغالباً ما يكون صباحاً تزور أم العروس وقريباتها وعددٌ من الصديقات دار العروس وامامهن موكب من الصواني التي تحملها الخادمات أو صبيـان المحلة على رؤوسهم وهـذه الصواني هي هدايا من أصدقاء أهل العروس ردا لفضلهم وتكـون تلك الصواني والتي تحتوي على كلال شكر قند ، شكرلمه ، لوزينة ، لقم ، مغطاة ببُقچ ملونة أو بشطمالات ابريسم ويكون في بعض الاحيان مع تلك الصواني قطع فضية أو قطع قماش وغير ذلك حسب علاقة المُهدي بالمُهدَى اليه وعند وصول تلك الصواني الى بيت العروس تسلم الى احدى قريبات العريس ، وهذه (تَـصُـرْ) بغطاء كل صينية مبلغاً من النقود وذلك يعتبر (بخشيش) لحامل الصينيّةْ • وتجري تلك العملية طبعاً بين عاصفة من الهلاهل •

ثم يتناول الجميع طعام الغداء في بيت العريس •

توزيع الحلويات :

يوزع أهل العريس الحلويات التي وصلتهم في مواعين على الاقرباء والاصدقاء والجوارين الذين شاركوا في الفرح ، ويحتوي كل ماعون على كافة انواع الحلويات (من كل شي اِشويَّه) .

اليوم السابع :

تقوم العروس بغسل ملابس العائلة المستحقة للغسيل (كي ينغسل همها) كما ان العروس لا تكنس البيت حتى اليوم السابع كي لا تكنُس اِعيالَها (أي أهل الزوج) .

دعوة العروس :

لا تخرج العروس لزيارة أحد قبل ان (يَفُك اهلها رِجِلها) (وفكَّة الرجل) هذه تكون بدعوة من أهل العروس ، يدعى اليها العروس والعريس وأفراد عائلته .

ومن عادات أهل بغداد أن العروس لا تواجه أباها أو اخوتها الا بعد ان تلد بكرها فتذهب اليهم مع مولودها بدعوة (فكَّة الرجل) كما تبقى العروس محافظة على خجلها وعدم مواجهة اِحموّاتها أي (اخوان الزوج) اِلا بعد مدة طويلة وتسلم عليهم عند مواجهتها لهم وهي (اِمغشَّايَة بالعَبايَة) أي مغطاة الوجه بالعباءة .

ومن اقوال البغادة في الزوجة (يُمّه المرَه عرگ ثيّل) اي توسّع رقعة الاقارب والنسبان ، وقولهم في مدح الزوجة (اِلمَن أخذ ؟ بنت نُص الدنيه) أي كثيرة الاهل والاقارب . وللذم يقولون (طالعَه مِن زَرُف الحايط) .

الحمل :

من النساء من يحملن في الشهر الأول وهذا ما يبشر به أهل العروس والعريس جميع الاهل والاصدقاء واذا تأخرت الزوجة في الحمل شهرين أو أكثر قالوا (اَلمرَة مچبوسة) ومن أسباب الچبسة في اعتقادهم :

أ ـ دخول عروس عليها (زيارتها) .

ب ـ اذا دخلت عليها نفْسَهْ (وهي المرأة الوالدة قبل بلوغ ابنها الاربعين) . ولاجل فك الچبسة تصاحب الزوجة المجبوسة أمها في الذهاب الى بيت من كان السبب في چَبْسَتِهَا خلسة في الليل حيث (تتبوَل) في عتبة بابهم ثم تطرق الباب (براس بصل يابس) ثم ترمي راس البصل في بيتهم وتنهزم ، فبقدرة الله لا يمضي عليها شهر اِلا وتكون قد حملت . وان لم تحمل فانها تحقق غايتها باحدى هذه الطرق :

١ ـ تذهب بمصاحبة امها طبعاً الى مقبرة[٥١] اليهود وتَطْفُر (تقفز) من فوق سبعة قبور وتأخذ امها من قرب كل قبر قفزته قليلا من التراب وعند العودة الى البيت تضع تلك الكمية من التراب في الماء وتسبح به المچبوسة .

٢ ـ تأخذ قليلا من دم[٥٢] قتيل قتل حديثاً بقطعة قطن أو قماش وتضع تلك القطعة الملوثة بالدم في الماء وتسبح به .

٣ ـ تصعد سلم احدى منائر الجامع وتجمع امها تراباً من كل

---

(٥١) للمصريين ، في هذا الصدد ، عادة مشابهة (راجع : قاموس العادات والتقاليد لأحمد أمين ، ص ٥٨٦) .

(٥٢) للمصريين أيضاً كهذه العادة (المصدر السابق ٣٧٤ .

(بايَه ْ)[٥٣] من (بايات) ذلك السلم ، وعند عودتها الى البيت تسبح بمزيج من الماء وهذا التراب .

٤ ـ تذهب بمصاحبة احدى قريباتها الى مفرق ثلاثة (عگود) ومعهن قدر ماء فتخلع المجبوسة ملابسها ورفيقاتها يعملن ستاراً من العبي ثم تسبح في الماء وهي خائفة مرتجفة خشية ان يراها أحد عارية في ذلك المكان فبقدرة الله ومن جراء تلك الرجفة تحمل في الشهر التالي .

٥ ـ تقوم بمداهمة حاج قادم من بيت الله تواً وهو بملابس السفر (وتـفُك ْ اِحـْزامَه) . وهذه ، لا شك ، عملية صعبة جداً بالنسبة (لِبَنات البيُوت المخَدرات ْ) فأي منهن تخاف وترتجف من شدة الخوف والخجل والرهبة ولكنها مرغمة لتلهفها للطفل ، وهي تحمل من الشهر التالي بأذن الله ، وتقول من روت لي هذه الرواية من عماتنا البغداديات أطال الله في عمرها (تـرَه هاي امجـرَّبه) وذكرت لي أسماء بعض المجبوسات اللواتي حملن بعد قيامهن (بفك حزام الحجي) .

٦ ـ تسبح في ماء يغمر قطعة اللحم المقطوعة من الولد عند ختانه .

٧ ـ تأخذ قليلاً من تراب سبعة مزاريب متجهة نحو القبلة وتضعه في الماء وتسبح به .

واقتحمت الجبسة دائرة الامثال ، في بغداد ، فقيل (يا حـبَسه انفكـَت ْ الجَبسه ْ) (وحبسه اسم امرأة) علماً بأن معظم ما ورد في اعلاه كانت له نتائج حسنة وان كثيراً من المجبوسات انفسهن قد أكـدّن لي ذلك ، والذي اعتقده هو أن الخوف الشديد والخجل وربما البرد الذي يصيب المرأة

---

(٥٣) موضع القدم .

وهي عارية تسبح في الطريق او الخوف من سكون المقبرة او الحياء من الناس عند مداهمة الحاج ... كل ذلك يؤدي الى الـــرجفة وربما الى الحمى ، وقد يكون له تأثير على افرازات بعض الغدد ولعل الصدفة تكمن وراء ذلك ولا أدري رأي الاخصائيين من أخواتنا الاطباء في ذلك .

واذا لم تنفع الاعمال التي ذكرناها فان المچبوسه تُراجعْ (الجدَّهْ) أي القابلة لتصف لها وصفات عطارية تستعملها وقد تفيد في ازالة العقم ، وان لم تنفع العطاريات وقد مضى على الزوجة سنة أو أكثر وهي عاقر فان ام الولد تبدأ بالتفتيش عن زوجة ثانية لابنها قائلة (يُمَّه أريد أشـــوف ابنك گبُل ما موت) أي أريد رؤية ابنك قبل موتي .

اذا طرحت الحامل أي أسقطت جنينها الاول (البكر) فانهم يدفنون (الطُرُح) بعد تسميته في عتبة الباب خشية الچبسة أي عدم الحمل مرة ثانيــة .

ولادة البچر (البكر)

التنساه : في الشهر الأول من الحمل تبدأ الحامل بالزواع (التقيؤ) والكسل وترغب في الاستلقاء (تـتَطرَّحْ) أي تستلقي هنا وهناك حتى انتهاء الشهر الرابع وفي تلك الفترة تُلبـَى كافة طلبات الحامل وعلى سبيل المثال اذا قالت (أشو مشتـَهيهْ تُكـي) ينبري معظم الاقارب وربما حتى الاصدقاء للتفتيش عما اشتهته الحامل ولا بد من توفيره لها ولو لم يكـن موسمه حيث يجلب لها مجففاً وذلك خشية ان (يطلع بالجاهل) ويسمى (الوحام) .

جهاز المولود البكر :

في الشهر السابع من أشهر الحمل يستعد أهل الزوجة لـ (جهاز) الطفل الاول وتهيئة جميع حاجاته على نفقتهم ، ويشتمل جهاز البجر على : دوشك مع مخدة وعدد من الملاحف (والملحف عبارة عن قطعة قماش مبطنة بطبقة خفيفة من القطن ويكون وجهه من القماش اللمّاع وذلك للف جسم الطفل بعد تقميطه) كُـلَّه ، سلة لوضع الملابس ، طاسة وخاشوگة أما من ذهب أو من فضة ، گاوريات ملونة (والگاورية هي لباس رأس الطفل ولها بنود تربط من تحت حنك الطفل) ملابس للطفل تلائم الموسم طبعاً ومعظمها ملابس أولاد لرغبتهم بان تلد الحامل ولداً وليس هناك من يفكر بولادة البنت وتجمع الملابس في بقچه وفي البقچه[٥٤] الثانية تحفظ مجموعة من القماطات والقماط يتألف من ثلاث قطع : قطعة خارجية كبيرة مثلثة الشكل وتسمى بالقماط أيضاً وقطعة مربعة الشكل تطوى على شكل مثلث أيضاً فتصبح قاطين وتسمى حَضينَه وقطعة مستطيلة الشكل ومن القماش الطري الناعم كي لاتؤذي جسم الطفل وتسمى الملگّافَه وتوضع بين فخديه . وعملية لف الطفل بهذه القطع الثلاث تسمى التگميط . كاروك خشبي (مهد) مصبوغ باللون الشذري ومنقوش بصبغ لماع يسمى (مي ذهب) علماً بان الطفل ينوّم في الاسابيع الاولى من عمره بالسلة ونهاراً بالمرجوحة حيث يربط حبل مزدوج بين تكمَتَي الدار وتوضع

---

(٥٤) صرة الملابس وجمعها بقچ وهي كلمة تركية من أصل فرنسي وقيل ان الاصل الفرنسي مأخوذ من اللغة العربية (راجع معجم اللغة العامية البغدادية للشيخ جلال الحنفي ٢ : ١١٨) .

بين منتصف الحبلين قطعة قماش سميكة او جاجيم [٥٥] ثم فراش الطفل .

كما ترسل للحامل عدة دشاديش (جمع دشداشة) مع لبّادَهْ واللباده تشبه الستره الى حد كبير الا انها مصنوعة من قماش لماع مبطنة بطبقة قطنية خفيفة و (امْتَگّلَهْ) مخيطة بالمكينة عدة تگلاتْ ترتديها البغدادية فوق الدشداشة ثم تطوّرت بعدئذ الى لبس (الروب) .

يجمع كل ما ذكرناه ويرسل الى بيت الحامل مرة واحدة بين الهلاهل وكلهن يتمنّين ولادَة سهلة وولداً صالحاً وتتولى العناية بالحامل الجدة (القابلة) الخاصة بالعائلة وتكون قد ولّدت معظم نساء العائلة .

(٥٥) يشبه البطانية ويستعمل للغطاء مع اللحاف وهو صنع محلي يحوكه الحائك من صوف الغنم المغزول من قبل نساء اصحاب الجاجيم انفسهم .

الولادة

في الأيام الأخيرة من الشهر التاسع وعند توقع الولادة بظهور أولى تباشيرها تبات (تبقى) أم الحامل عند ابنتها حتى اليوم السابع وبعضهن يبقين حتى بلوغ الطفل اليوم الاربعين .

وعندما تحس الحامل بقرب الولادة يُرسل في طلب القابلة لتتولى عملية التوليد في غرفة خاصة ومن القابلات القديمات فخرية بنت أم كَنَه° في محلة السيد عبدالله ، وصفية محمد (أم فوزي) في محلة الفضل .

واذا تأخرت الولادة صَعَدَ عدد من الاقارب الى السطح صائحين ـ يا قريب الفرج ـ يا فارج الفرج ـ يا عالي بَلَيَّه° دَرج ـ يا من فرجَهُ قريب وسائله لا يخيب ، كل نفس بِشدّه° من أُمّة محمد ـ فادعو لها بالعافية والشفاء والفرج . (ومنهم من ينادي هذا النداء في البير او في التنور او على السطوح ومناير الجوامع) .

واذا تأخرت الولادة مدة أكثر (عَسَّرت°) فيرسل بطلب (تچة لباس) رجل تقي ورع مشهور بزهده وتعبده في المحلة ليشدوا بها بطن الحامل تسهيلا لولادتها .

فاذا ولدت الحامل مولوداً (ميتاً) فانهم يدفنوه بعد تسميته طبعاً في

طريق مطروق وليس في مقبرة كي يندرس أثره حتى ترزق امه بطفل آخر (ولا تتعطل احبالتها) باذن الله . واذا كان المولود بنتاً ، صـاح الجميع (يَبُوو ابنَيّهْ) فتجيبهم أم النفسة (شكو بيها أصل السلامة وتمام الخلقة والمره التجيب البنَيّة اتجِيبْ الولد) ثم تتغنى قائلة :

(ابنيّه علَهْ ابنيّه ولا الگعدَه بلاش ، وحـده تكنس الحوش أو وحدة تُفرِش فراش) او تقول (البنيَّةْ أخير من الولد هيه البشْارة ساعة) .

اما اذا كان المولود ذكراً فتشق الهلاهل عنان السماء ويذهب احدهم مبشراً والده الذي يعطي من نقل اليه الخبر بعض النقود وتسمى (ابشاره) ورغبة معظم الناس في ولادة الاولاد وكرههم لولادة البنت قديمة حتى ان بعضهم يهجر زوجته أو يطلقها .

وجاء في التاريخ العربي ان امرأة ولدت بنتاً كانت سبباً في هروب زوجها من البيت فأنشدت تقول :

ما لأبي حمـزة لا يأتينـا	يظل في الـدار الذي يلينـا
غضبان الا نلـد البنينـا	تالله مـاذلك في ايدينـا
فنحن كالارض لزارعينـا	ننبت ماقد زرعوه فينا

فلما سمعها عاد اليها معتذراً .

وبعد گص المسر (حبل الصرة) تبدأ الحاضرات باعطاء فلوس للقابلة بين الهلاهل والفرح الطافح على وجوه الجميع وهم يحمدون الله على السلامة وتمام الخِلْقَهْ وينحر في صباح اليوم التالي خروف ويضعون

عَلى جبين المولود (نُونه)[1] من دم الذبيحة ويوزّع اللحم على الفقراء وتأكل النفسَهْ المعلاق وتبقى نائمة في فراشها المفروش في غرفة خاصة مستعملة نفس الاغطية والچراجف (والاورتيات)[2] التي استعملت في العرس •

يسقى الطفل في أيامه الاولى (قُونداغْ) وهو ماء دافيء وسكر بواسطة الطاسة والخاشوكة التي ذكرناها مع جهاز الطفل ومنهم من (ايلطعَهْ) دبس ودهن حتى يتعوّد الرضاعة وكي (لا تبرد افچوچه) استدرارا لحليب الام ويسمى حليب الرضعات الاولى بالصمغ كما يسقى كمون مغلي بالماء لتغذيته في تلك الفترة ولاعانته على التخلص من الغازات وتتولى العناية بالطفل واسقائه الكمون او القونداغ بيبيَّة الطفل أي أم أمه •

وفي اليوم الثالث بعد الولادة تأخذ القابلة الطفل بعد لفه لفاً جيداً خشية البرد وتتجول به في المصبغة حيث تأخذ باصبعها قليلا من النيل وتعمل بعض النقاط على بُرگُعْ الطفل (غطاء وجهه) ثم تعبر به الجسر وتأخذه الى وگفَة الغنم وهدفها أن لا ينچبس الطفل أو لا ايصير لون ـ أي يصاب بأبي صفار •

كما يضعون تحت مخدة الطفل چاقوچة (سكينة صغيرة) كي لا يفز او يجفل كما يضعون سكيناً (جوه راس النفسه) تحت وسادتها حتى يوم الاربعين •

تسمية الطفل : يؤخذ الطفل الى احد العلماء بعد ان يقرر الاب اسم ابنه حيث قالوا قديماً من حق الاب (التسمية والتربية والزواج) وغالباً

---

(١) نقطة في جبين الطفل •

(٢) جمع أورتي وهو غطاء الفراش المطرز •

ما يسمى البكر على أسم جده او يختارون له اسما بعد فتح القرآن الكريم •

ويكبر العالم في اذن الطفل ثلاث تكبيرات : الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، ثم يقول : أسميتك فلاناً ثلاث مرات •

الهدايا : من عادة أهل بغداد تبادل الهدايا بالمناسبات ومنها الزواج ـ الولادة ـ الوفاة ـ قدوم حاج من بيت الله ـ شفاء مريض وغيرها وتكون معظم هدايا الولادة من المصوغات الذهبية أو الفضية أو فلوس وتتوقف نوعية الهدية وثمنها على العلاقة بين المهدي والمهدى اليه كما اسلفنا ومن تلك الهدايا ـ غلاف قرآن وزنجيله ـ جناجل ـ احجول ـ (جمع حجل) ـ تراچي (أقراط) ـ حباسيات ـ معاضد (أساور) ـ ماشاء الله ـ سنگي ستَاره ـ جرص ـ اگلادَه (قلاده) ـ عَفصَه ـ سن الذيب ، وغيرها •

طعام النفسة : تُطعم النفْسَهْ (الوالده حتى يوم الاربعين تسمى نفسه) عَصيدهْ لمدة ثلاثة أيام والعصيدة حساء من الطحين المُسَهَّى أي المحمَّصْ بالدهن والسكر أو يطعمونها دبساً ودهناً أو تمراً ودهناً مع التشريب واللحم المشوي وذلك حتى (يَدرّ حليبَها) •

اغتسال النفسة ومولودها :

بعد بلوغ الطفل اليوم السابع من عمره تذهب النفسه تصاحبها القابلة التي تحتضن الطفل ومعهما المدعوات الى الحمام وعند وصولهن الى بابه الخارجي تكسر النفسة بيضة وفي الباب الثاني بعد خلع الملابس تكسر بيضة ثانية وعند الدخول الى محل الاستحمام لدى الباب الثالث تكسر البيضة الثالثة • وتمشي الدلاكة أمام النفسة تحمل شمعة موقدة ، ثم

تحتضن القابلة الطفل وهي تنادي بأعلى صوتها « نوري پاك محمد صلوات ـ يا عاشقين النبي صلو عليه وسلم •) والهلاهل مضاعفة من الحمام حيث يعيد ترديدها الصدى وتسير خلفها النفسة وأمها وبقية المدعوات ثم تجلس النفسة على كيس الحمام (المستعمل من قبل الدلاكين لازالة أوساخ الجسم) وقد وُضع فوقه (كمون مسحون وبيضة مكسورة) •

الدَلْجَه ـ تُحضّر عائلة النفسة الدَلجَـه وهي مجمـوعة من العطاريات تتألف من الجفت وهو قشور البلوط ، وقشور الرمان وقشور البصل ومسحوق نوه مشمش مع بطنج مع مسمار حديد وتنقع لمدة ثم تبدأ القابلة بدَلج جسم النفسة بتلك المجموعة من العطاريات المنقوعة على أن تبقى النفسة والدلوج على جسمها لمدة ساعة على الاقل ، أما المسمار الذي وضع مع مواد الدلوج فيدفن في الارض (كي لا يموت للنفسة طفل) بعد الخروج من الحمام •

غسل الطفل : في أثناء فترة انتظار النفسة والدلوج على جسمها تقوم القابلة بغسل الطفـل وجدّتـه تسكب المـاء على جسمه معاونـة للقابلة ومشاركة في غسل حفيدها وبعدئذ تمص القابلة اذنيه لاخراج الماء وبعد تنشيفه وتكميطهَ تأخذه الى خارج المغسل حيث ينام على الدچـة (الدكة) التي نزعت عليها أمه ملابسها وفي بعض الحمامات استعيضَ عن الدكّات بالتخوت •

تضع النفسة في فمها (فوفلة) مسحونة سـحناً جيداً وذلك لتقوية لثتها واسنانها • والفـوفلة مادة عطاريـة تشبـه الى حد كبير (حبـة الفندق الكبيرة) •

وبعدئذ تقوم الدلاكة (بترديد عظام النفسة) أي تدليكها وعمل مساج لعضلاتها وعند الانتهاء من الغسيل وعمل كافة مراسيم الاستحمام يشرعن بأكل الفاكهة ، وأحيانا تتناول المدعوات طعام الغداء في الحمام .. ولكن غالبا ما يتناولنه في بيت النفسة بعد الخروج من الحمام .

بعد تنشيف النفسة تنشيفاً تاماً يربط لها (حنّاكي) أي شد فكّيها بچتاية أو لكچـة[٣] يربط طرفاها فوق رأسها ، وبعد أن ترتاح وينشف عرَقها ويخرج معظم المدعوات تعطى أم الزوج أو احدى قريباته أجور الحمام (وير)[٤] عنها وعن المدعوات مع بخشيش الدلاكه والناطورة وقيمة شاي الدارسين الذي تشرب منه كل مستحمة استكان[٥] أو استكانين بعد الخروج من الحمام لاحماء جوفها وحفظه من التعرض للبرد .

تدميغ الطفل : عند بلوغ الطفل اليوم السابع والثلاثين من عمره يُدمَغْ بالنفط الاسود ومجموعة الروائح اذ تضع الجدة قليلا من ذلك الخليط في يافوخَهْ وراحتي يديه واسفل قدميه حتى لا (يشتم ريحة ويَنْضَرْ) أي يصيبه ضرر . ثم يغتسل الطفل وأمه في يوم الاربعين لازالة ما سميناه (بالدُموغ) .

صرة الطفل :

بعد ان تسقط صرة الطفل تلفها الجدة بقطعة قماش او قطن فيأخذها والده ويرميها بالجامع حتى يشب تقياً متديناً أو ترمى بالعلوه أو القصاب

---

(٣) قطعة قماش ابيض مطرزة حافاتها بالنمنم تستعمل لتعصيب الرأس وخصوصا بعد الاستحمام .
(٤) كلمة تركية بمعنى اعط .
(٥) كلمة روسية بمعنى اناء الشاي .

خانه حتى يتعلم تلك الصَنْعَه ْ أو ترمى بالمله حتى يتعلم القراءة والكتابة

اما البنت فترمى صرتها في البيت حتى تكون أم بيت أو في بيت (الاسْتَه ْ)[٦] حتى تتعلم الخياطة •

تنويم الطفل : عندما تريد الام تنويم طفلها بعد ارضاعه الى حد الاشباع تضعه في (الكاروك) وتبدأ بهز المهد أو الكاروك (واتلولِيله ْ) أي تغني له بصوتها الحنون بعض الاقوال منها (بنت الخياط خيطي عيون فلان) مع وَنَّة خفيفة في آخرها ومنها أيضا :

× دلل اللول يا وليدي دلل لول   عَدوَّك عَليل وسَاكن ْ الجُول ْ

× دنام يا وليدي وانا اهدي لك   والعافيه من الله تجيلك

× غريبَه ْ وجاراتي غرايب   وما لي ابهَل ْ دنيه ْ حبَايب ْ

فطام الرضيع – يفطم الرضيع عند بلوغه الشهر الثالث عشر من عمره حيث تأخذ المرضعة ابنها الى الشط (النهر) ومعه بيضة مسلوقة مصبوغة القشرة وبيضة أخرى غير مصبوغة وتطلب منه أن يرمي البيضة ذات القشرة البيضاء في النهر وتقشر له المصبوغة ليأكلها وعند عودتها الى البيت تضع الصبر على حلمة ثديها (والصبر مادة عطارية مُرَّة المذاق صلبة) بعد أن ينقَّع قليل منه في اناء صغير حتى يصبح سائلا تأخذ منه قليلابسبابتها (واتلَغمُط ْ)[٧] حلُم ثدييّها وعندما يهم الطفل بالرضاعة ويتذوق (امرُورَة الصبر) فانه سيكره الثدي حتماً وتكون الام قد حضّرت لطفلها زبيب وشكرات مختلفة كي تشغله بأكلها عند طلبه الرضاعة • ثم تعمل له مسحوق الفندق مع مسحوق النبَات وتضعه في صرة من قماش

---

(٦) الاستاذة وهي معلمة الخياطة •

(٧) تلوث

(الريزَ ه) وهو قماش خفيف وتجعله كحلمة الثدي تضعها في فمه ليلا ليرضَعَها كما يرضع اطفال اليوم الممة المصنوعة من اللاستيك (المطاط) لهـوا ٠

تعويد الطفل على المشي :

يختلف موعد مشي الاطفال ويتوقف ذلك على صحة الطفل فان كانت صحته جيدة فانه يتعـود على الـوقوف لوحـده ثم يعوّد على المشي مستعيناً بمسك الحائط أو شيء آخر أو بدفع « الحَجلة »(٨) وقد يمسك بيد الطفل أحد أقربائه ويمشي معه الهوينا قائلا بنغم لطيف :

تـاتي تُـوّاتي حَبْ المِشـةْ تاتـي

× اذا ألح طفل رضيع بالبكاء فتأخـذه (الجده) القـابلة الى الجـوبة (وگفة الغنم) وترمي (اگـّافته) على قـرن كبش وبقدرة الله يكف بعدئذ عن البكاء ٠

× اذا تأخر أحد الاطفال عن (النطق) فيسقى فُوحْ التمن (ماء سلق الرز) وبعدها ينطق فجأة باذن الله ٠

× تثقَب شحمة اذن الطفل (ولداً كان أم بنتاً) خلال الاسبوع الاول من ولادته ٠ لوضع التراچي (الاقراط) وبعض العـوائل تطوّل شعر رأس الولدليجدل عدة ضفائر كما حدث لأخي الثاني عبدالغني من مواليد (١٩١٠) وقد حُلق شعر رأسه في سـلمان پاك (سـلمان الفارسي) ٠

---

(٨) جهـاز خشـبي ذو ثلاثة دواليب خشـبية صـغيرة ومقبض خاص يمسك به الطفل عند أول تعلمه المشي بين تشجيع أهله وذويه ، والحجلة صناعة محليةرخيصة الثمن ٠

الطهُور

((الختان))

عند بلوغ الطفل سنتين أو أكثر من عمره يستصحبه أبوه الى الحلاق الخاص به لحلاقة شعر رأسه والحلاق عادة لا يتقاضى أجرة عن حلاقة شعر الولد من أول حلاقة حتى يوم (طُهُورَهْ) أي ختانه ٠

ويجري ختان الطفل عادة بين السنة السابعة والعاشرة من عمره واحسن وقت للختان هو فصل الربيع حيث يكون الجو لطيفاً مما يساعد على التئام الجرح ٠

الزيان :

يدعو الوالد اقران ابنه وآباءهم الى حفلة زيان ابنه ، فيحضر المزين[1] ومعه حقيبة أدوات الحلاقة « والطاسة الصفرة » التي يستعملها لغسل رؤوس الزبائن بعد الحلاقة ٠

فيجلس الولد المنوي ختانه على كرسي في منتصف ساحة الدار ويبدأ

---

(١) كلمة عربية قديمة تقابلها كلمة الحلاق اليوم ٠ جاء في ص ١٨ من كتاب البصائر والذخائر لابي حيان التوحيدى ما يؤكد ذلك (قال ابو هفان ــ كان مزين يخدم رئيسا وكان الرئيس قد خالطه بياض فكان يأمر المزين بلقطه ، فلما انتشر البياض وتفشع (انتشر) الشيب قال المزين يا سيدي قد ذهب وقت اللقاط وجاء وقت الصرام ٠ فبكي الرئيس من قوله) ٠

الحلاق بحلاقة شعره بينما تعزف الموسيقى البغدادية انغامها وتتعالى الهلاهل فيتعاقب المدعوون على رمي قطع النقود في الطاسة الصفراء وبعد انتهاء حلاقة شعر المحروس يتوالى الاولاد المدعوون للحلاقة واحداً بعد الآخر والنقود تتزايد في طاسة الحلاق حيث يرمي كل أب بعض النقود عند حلاقة شعر ابنه أو أحد أبناء اصدقائه الآخرين وبعد الانتهاء من الحلاقة تنصب صواني الطعام تمهيدا لتناول الغداء .

زفة الختـان

تختلف الزفّات باختلاف الامكانيات المادية فبعض العوائل تكون زفة ختان أولادهم مشياً على الاقدام تتقدمهم الموسيقى البغدادية ، وقد تكون الزفة خيالة حيث يركب جميع المعزومين والمْطهّر الخيول المزركشة وهم بملابس جديدة وامامهم الموسيقى واللعّابات وابو (الگطن) والشعاعير والدمامات ثم أبو الطبل والزمّارة .

اللعّابات :

تظهر اللعابات في زفة الختان وفي زفة العريس ، وهناك مَنْ يختص بعمل وترقيص اللعابات ، واللعّابة تكون بحجم جسم امرأة مركّبَة على عمود طويل ومرتدية ملابس نسائية كاملة يقوم حاملها بترقيصها بواسطة خيوط يسحبها من تحت الملابس وهي تشبه القراقوز الذي يعرض من تلفزيون بغداد اليوم .

أبو الگطن (القطن) :

رجل يخلع ملابسه الا ما يستر عورته يضعون على جسمه مادة

لزجة كالشريس أو الدبس أو الغراء ثم يلصقون عليه قطعا من القطن الابيض والملون ويلبس في رأسه (كلاو) من الورق الملون (آبرو) ويضع حول رقبته قلادة من الاجراس الصغيرة ويتمنطق بحزام من الاجراس أيضا ويصاحب الزفة وهو يقوم بحركات راقصة مضحكة كما يحمل بيده عصا لمحافظة نفسه من عبث وتحديات الاولاد واشهر من قام بدور أبو الگطن هو (علي الاسود) في محلة (دربونة الضيّجة) قرب محلة القراغول •

الشعاعير ـ (جمع شعّار)

هناك قسم من الرجال المخنثين الذين يتشبهون بالنساء فيطيلون شعر رؤوسهم ويمشون مشية النساء ، وفي كلامهم ميوعة يقلدون بها أصوات وكلام النساء ويمتهنون الرقص بالافراح حيث يلبسون ملابس نسائية وباصابع أيديهم (الصنوج) التي يسميها أهل بغداد (چرَبالاَت أو چُمْپارات)[٢] ويشتركون بالزفات والافراح لقاء أجور معينة لهم ولاجواقهم التي تتألف من الدنابك[٣] والدف الزنجاري[٤] وغيرها ••

---

(٢) كلمة فارسية اصلها (چهار پارات) أي أربع قطع وهي قطع نحاسية توضع كل قطعتين في سبابة وابهام الراقصات •

(٣) جمع دنبك ، وهي مشتقة من (دنبة) الفارسية أي الية الخروف حيث يلصق جلدها على أحد نهايتي الجسم الفخاري ، وهو أحد آلات الطرب في الاجواق الشرقية •

(٤) اطار معدني مدور مثبت عليه عدة أقراص صغيرة معدنية وتغطى احدى جهتيه بجلد رقيق • وهو أحد آلات الطرب في الاجواق الشرقية •

جوقة الدمّامات

مجموعة من الشباب أحدهم يربط على صدره النقّارة، وهي آلة جسمها مدوّر ك (طاسة العمالة) ووجهها مرگوم (مغطى) بجلد الخروف المنظف والمدبّغ يضرب عليها بعصاتين من الخيزران يمسك بكل يد عصا في نهايتها جلد ملفوف وبعد أن يضرب صاحب النقارة يتجاوب معه ضاربو الدمامات (جمع دمّام) وهو اطار خشبي مخمس أو مسدس أو مسبع الأضلاع (مرگوم) أي مغطى من جهتيه بجلد الخروف ويضرب عليه بعصا خيزران معكوفة الرأس وهناك نغمات كثيرة منها ثلاثي وخماسي وسداسي وغيرها كما ان نغمات الافراح تختلف عن نغمات تشييع الجنازة والتي تسمى (حَزايْني) .

وبعد ان تدور الزفة في الاطراف المجاورة تعود الى الدار حيث توزع على الحاضرين الشكرات والشربت ثم ينصرف الجميع على أمل اللقاء صباح يوم الطُهُور ويكون ، غالبا ، يوم جمعة .

مراسيم الطهور (الختان) :

لا تتم عملية الختان لطفل واحد بل لابد ان يكون معه أحد أخوانه أو أبناء عمومته واذا لم يكن له أقارب فيختن معه اثنان من ابناء المحلة الفقراء على أن يگُصْ (يفصل) والد المختون لكل منهم دشداشة مثل دشداشة ابنه . واذا كانت الحفلة لختان طفلين ذبح معهما ديك حتى يكونوا ثلاثة وإن كانوا اربعة كانوا مع الديك المذبوح خمسة والسبب هو ان البغادة كانوا يتشاءمون من العدد الزوجي في الختان ولابد لهم من جعله فرديا كي (لا يتعارضون الويلاد) أي لا يصيب الاولاد عارض .

وتحضر غرفة منام المختون بعد ختانه ويهيأ له بشطمال ابريسم مع دشداشة بيضاء وغالباً ما تكون من الحرير ويضرب موعد مع الازعرتي والجوق الموسيقي للحضور صباحاً مبكرين ٠

الحنة :

وفي ليلة الحنة (ليلة الختان) تحضر القابلة التي ولَّدَتْ أم الولد فتضع الحناء على يد المطهر واصدقائه المدعوين بين الهلاهل والافراح وتضع بعض النقوش باستعمال العجين وغيره ومنهم من يقيم فَرَحاً ويسمى (چالغي) مع دعوة كبيرة ومنهم من يقصر تلك الحفلة على الكاولية أو الشعاعير وغيرهم وهنا أيضاً ترمى الفلوس في طاسة الحنة كما في حنة العروس ٠

عملية الختان :

يحضر الازعرتي[٥] (الختَّان) وغالباً مايكون هو نفس الحلاق الذي حلق شعر رأس الولد ويكون مرتديا ملابسه التقليدية المتكونة من لفة رأس خاصة يلفها حول كلاوْ من الچبَن مع شروال أسود فضفاض ويظهر دائما متَمنطِقا بلفة من القماش يلفها على بطنه وبيده حقيبة الادوات التي تحتوي على :

الميل ــ عبارة عن خشبة رفيعة تشبه عود المغزل مصقولة جيداً رأسها أرفع من نهايتها قليلا ويوضع عادة بين قطعة اللحم الزائدة وبين خلالة القضيب ٠

---

(٥) نسبة الى مدينة زعرت التركية وهي تقع في شمال العراق ٠

القرّاصة — وهي قطعة حديدية تشبه المقص الى حد كبير ولكنها غير حادة يُقرَص بها قطعة اللحم الزائدة من المحل المراد قطعه .

الموس — وهو نفس موسى الحلاقة المستعمل لدى الحلاقين اليوم وتحضر صينية صغيرة تفرش عليها قطعة من الشاش فوقها قليل من الدواء (وهو عبارة عن مسحوق ورق الشوك الاخضر مع الشب والقهوة نصف مقلاة حيث تدق جيداً وتسحن سحناً جيداً ثم يضاف اليها نسبة ضئيلة من ملح الطعام لقطع النزيف) .

ويقول الختّان (حسن ارخيّص) بان الازعرتية اليوم يستعملون الادوية الكيمياوية المستعملة في معالجة الجروح وهو الذي أكد لي الوصفة الاولى وعَرَضَ علي أدوات الازعرتي فله مني جزيل الشكر .

ومن اشهر الختانين في بغداد مهدي بوشناق ومبارك بن دَميرّ والحاج حسين سلمان (أبو خالص) . وقد ورث خالص مهنة أبيه وهو من محلة الفضل ، والحلاق حسن ارخيص الذي يجاور محله اليوم مقهى علي النهر في محلة الفضل .

مسك الولد :

يتهيأ أحد أقارب الولد أو أصدقاء والده للجلوس على مخدة « التچي » ويجلس الولد أمامه بعد أن يخلع (الباسَه) ويمسك بيد الولد اليمنى من تحت فخذه (أي فخذ الولد) باليد اليمنى وكذلك يفعل باليد اليسرى مسكة قوية بحيث لا يمكن للولد أن يتحرك مهما أصابه من ألم ، اذ لا يخدر الولد قبل اجراء عملية الختان يومذاك أما أطباء اليوم فيستعملون المخدر (البنج) عند الختان .

كما يقف رجلان من الاقرباء أو الاصدقاء متقابلين وبيد كل منهما طرف بشطمال أحدهم عن يمين الولد والثاني عن يساره ويحركان البشطمال أعلى وأسفل جلباً للتهوية بينما يقف شخص ثالث وبيده قطعة من الحلويات تسمى (حلقومة) لوضعها بفم الولد اذا فتح فاه للصراخ من شدة الالم .

تعزف الموسيقى في هذه الاثناء عزفا سريعا وبرمشة عين يكون الازعرتي قد اكمل عملية الختان فينقل الولد الى فراشه المعد له من قبل الشخص الذي مسكه ، حيث ينام الولد على ظهره وركبتاه مثنيتان لتغطى وهو على تلك الوضعية بالبشطمال الابريسم وامه واقاربه والجوارين يطلقن الهلاهل باستمرار ثم تنهال دراهم الاقارب والاصدقاء على صينية الختان كما تنهال على المختون هدايا ذويه .

وعند موعدالغداء تكون العائلة قد أعدت طعاما مناسبا للمدعوين يحضره الختان وصانعه (خلفته) الذي يتولى عادة مداواة الولد حتى يشفى .

فاذا أراد المطهّرْ ان يترك فراشه والمسير بالحوش او الوقوف في راس الدربونة فانه يمسك دشداشته بالسبابة والابهام من منتصفها حتى لا تمس الجرح (ويلتّجِمْ) أي يصاب بأذى موجع ، وبعد مرور مدة أقصاها سبعة أيام يكون الجرح قد التأم نهائيا فيذهب المطهر الى الحمام والجميع يتمنون له طهور المنجل (ويقصدون به الزواج) .

الادوية ومعالجة الأمراض

قليل جداً من البغادة من يراجع مستشفى أو طبيبا لانهم يعتقدون بالوصفات التي تصفها (القابلة) أو المزين وهما اللذان يعالجان معظم الحالات كما سأذكرها في أدناه والعطار هو الذي يعدّ الوصفات وكلها مواد نباتية عطارية ، والعجيب أن معظم تلك الوصفات تفي بالمرام وتنفع المريض كما ان معظم أعشابها تدخل في تركيب الادوية الحديثة في الوقت الحاضر كما يقول المعنيون بشؤون الطب •

الطفل الرضيع :

× اذا بكى الطفل كثيراً قالت الجدة لامه « تَرَهْ[1] ابنج افادَهْ دَيُوجْعه لازم تزگيه سفوف » والسفوف مجموعة مواد عطارية تتكون من آنسون ، حبة سودة ، كُزبَرَه ، سعد ، هيل ، گشور برتقال ، حَبَّة حلوه ، خشخاش ، كمون ، محلب ، ورد أحمر ، عود مسهل ، حلبة ، عود الفاد ، قرنفل ، سَنَاوين ، سنامكي ، گصب الفلوس ، عود الاگراح •

وتأخذ الام كمية من هذه المجموعة والتي يعرف العطار نسبة كل ما ورد منها في الخلط وتغليه بالقوري وتسقي الطفل من ذلك السائل بعد

(١) [تره ابنج افاده ديوجعه ••] أي ان ابنك يشكو من ألم في بطنه ولابد من اسقائه السفوف ، الفاد مشتقة من الفؤاد أي القلب والبغادة يطلقون هذه الكلمة على كل شيء داخل الجسم في المعدة أو الامعاء •

استعمال قليل من السكر •

× اذا اصيب الطفل بالاسهال فيسقى محلول (حبة حلوة) بعد غَليه بالماء الى ان يسبجْ أي يتبخر معظم مائه •

× اذا أصيب الطفل بالامساك ، فيسقى قليلا من دهن الخروع على (ريگه) أي قبل أن يأكل شيئا أو تعمل له فتيلة وهي عود شخاط ملفوف على طرفها قليل من القطن ثم يلوّث القطن بصابون الركي وتوضع بشرج الطفل ، وقد تستعمل لهذه الغاية فتيلة (آب نبات) •

× اذا كان جسم الطفل (مَهلوُك) أي ملتهب فيمسح القسم الملتهب بالزَرقُون وهي مادة عطارية قرمزية اللون •

× اذا بكى الطفل كثيراً وشَخَّصت القابلة سبب بكائه وكان مبروك (أي مصاب بتشنج في ظهره) عندئذ تقوم القابلة بدلك جسم الطفل اما بحليب أمه أو بالزبد أو دهن الطعام ثم تخالف يدَيه ، وتخالف رجليه ثم تلفه بالقماط لفاً قويا وتدحرجه على ساقيها الممدودتين الى الامام عدة مرات فانه يرتاح وينام •

× اذا اصيب الطفل (بذابوح) تحت الابطأو في طيّات الذراع أو الفخذ فتستعمل أمه مسحوق طين خاوة ناعم وهي ترسبات نهرية يقوم مقامها اليوم (اليودر الطبي) •

× اذا كان فمالطفل (بايخ) أي ملتهب او مصابا (ببطباطات أو فَراگيسْ) (وايروّل) أي يسيل اللعاب من فمه فيوضع له الفرُوك وهو مجموعة من مواد عطارية يعرف العطار أنسابها تسحن وتنخل جيدا وتحتوي على (شب ، عفص ، قشور رمان ، چاتَهْ هندي ، طين أرملي) •

× اذا التهبت عيون طفل او اصيب بالرمد فيستعمل له (كُحْلي) وهو مسحوق ناعم يحتوي على مواد عطارية منها (جوهر أحمر ، شب ، نبات ، مامِيتَه) أو تَحلب في عينيه (حليب أم البنت) أي مرضعة مولودها انثى .

× اذا صاحَبَ رمد العين تورّم فتعالج كما يلي : توضع كمية من (الجَوّيفَه) وهي مادة لزجة تستخرج من الاشجار رائحتها كريهة ، في النار حتى يظهر دخانها وهو كريه الرائحة ايضاً ثم تُحمى قطعة من القطن على دخان الجويفة المتصاعد وتوضع بعدئذ على العين المصابة عدة مرات حتى تشفى .

× اذا استمر صراخ طفل وكانت بطنه عالية قليلا ـ تضرب عليها الجدة وتقول : « خايبّه ابنچ منفوخ ، بطنه عبالك طَبُل ، گومي ازگيه شويه صَمغَة ريح »[2] وهذه المواد العطارية أيضا صلبة نسبياً ، توضع قطعة صغيرة منها في فنجان وتحلب عليها أم الطفل من ثديها قليلاً ثم تحرّك (الصَمْغَة ريح) باصبعها ثم تسقى الطفل بذلك المزيج .

× وهناك وصفة لمعالجة الطفل المصاب بالغازات ملخصها أن تؤخذ طاسة طين مطلية بالقاشان الازرق (كطاسة بائعي الطرشي اليوم) وفيها قليل من الماء ، يوضع معه (عرگ البَنَفشَه المكاوي) وهو من العطاريات أيضا ويحك بواسطة خلالة الرارنج (رارنجة غير ناضجة صغيرة يابسة) ثم يضاف قليل من السكر الى المزيج الحاصل لانه مر المذاق

---

(٢) أي : يا ايتها الخائبة ان بطن ابنك منفوخة كالطبل ، فهيا اسقيه قليلا من (صمغة ريح) .

ويسقى به الطفل المصاب بواسطة الملعقة الصغيرة عدة مرات حتى يشفى ٠

× اذا شم الطفل ريحة إنفاسْ فانه سيصاب بالاسهال والتقيؤ فعندئذ يُسقى محلول (اكطُوع الروايح) وهذه يجلبها الحجاج معهم من مكة المكرمة وتعطى لمحتاجيها طلبا للاجر ، وشكلها يشبه اصبع اليد وتصنع من تراب مخلوط مع أنواع من عطور النباتات ، وقد يوضع قليل من (گطوع الروايح) في جبين وانف الطفل المصاب ٠

× اذا أصيب الطفل (بنشله مع صخونه) تسخّن قطعة صغيرة من الزجاج ثم توضع في اناء صغير وتحلب عليها الام (من صدرها) وتسقى الطفل ذلك الحليب الذي اكتسب الحرارة من قطعة الزجاج ٠

× اذا استمرت (صخونة طفل) ثلاثة أيام استقر التشخيص على ان الطفل (مصاب بالنفس) وعندئذ تأخذ أمه قطعة رصاص وتكلف سبع بنات بيوت (باكرات) بان تعض كل منهن قطعة الرصاص وترميها من (زيك[٣] نَفنُوفها) نحو الارض فتأخذها الثانية ثم الثالثة وحتى السابعة وبعدئذ تذاب تلك القطعة الرصاصية حتى تصبح سائلا ثم تمسك احداهن طاسة ماء فوق رأس المصاب بالنفس وتسكب امه الرصاص المذاب في طاسة الماء عند صفار الشمس قائلة (اسم الله ، اسم الله ، اسم الله) فتتخذ قطعة الرصاص بعد برودها شكلا تشخصه الام او القابلة (يشبه رجال[٤] لو يشبه أمْرَيَّة) وهو الذي أصاب الولد بالنفس ثم يسكب الماء بمفرق

---

(٣) الفتحة الموجودة في صدر الثوب (النفنوف) ٠

(٤) رجال أي رجل ، امريَة ــ امرأة ٠

ثلاثة طرق على ان تعاد العملية آنفة الذكر ثلاثة أيام متتالية وعند صفار الشمس •

× الليلو ـ اذا ظهرت على وجه الطفل الرضيع وهو في اسابيعه الاولى حبّات صغيرة بحجم رأس الدبوس تسمى ليلو (لؤلؤ) فتعالج بوضع حبات لؤلؤ (صاغ) أصلية في صدر الطفل او تعلق في كاوريته ، والكاورية هي لباس رأس الطفل وتصنع من بقايا الاقمشة التي (تـفـصَّل له ولاخوانه •)

× الحصبة ـ اذا اصيب الطفل بالحصبة وهي من الامراض المعدية التي تبدأ بالحمى يلبس الطفل نفنوف أحمر ويغطى الفانوس أو المصباح أو الشباك بقماش أحمر وذلك لابعاد الاشعة فوق الحمراء من الوصول الى جسم المصاب ، ويبقى المصاب (يَـهْـريزْ) حميه لا يتناول غير السوائل مع الاكثار من النومي الحلو • وبعد ان (تَـنهَـضْ الحصبة) أي تظهر جيدا متخذة على جميع جسم المصاب شكل طفح أحمر عندئذ (يـُكَبـَع)[٥] المصاب بـ (بشطمال احمر) وعندئذ يأخذونه الى القصاب خانه وعَلوةالمخضر والسوق ويعبرون به الجسر ويدورون به محلات عديدة • وبعد مرور سبعة أيام من تاريخ الاصابة يسلق معلاگ خروف ويسقى المصاب قليلا من ماء سلق المعلاق حتى تتزَفَر معدته ويعطى المعلاق للفقراء • ثم يُقَطـَّر في عين المصاب بالحصبة عدة قطرات من (بول الگاعدة) أي التي بلغت سن اليأس بعد ان ينقع فيه قليل من (الكزبـرَة) حتى لا يصاب بالرمَد او الشَرَحْ •

---

(٥) يغطي الرأس والجسم •

× النظرة ومعالجتها ـ جاء في ص ٢٣ من مخطوط تاريخ القراغول تأليف المرحوم الاستاذ عبدالستار القرهغولي حول النظرة ومعالجتها ما هذا نصه : « يظهر على وجوه بعض الاطفال طفح شبيه بالدمل يرشح ماء أصفر يسميه اهل بغداد « بالنظرة » يعجز الاطباء عن معالجته ويصعب شفاؤه ويعتقدون ان الطفل اذا اصيب بالعين تطفح على وجهه تلك البثور . وقد رأيت من اعتراه هذا المرض من الاطفال وهم كالجرذان أو الخنافس قبحاً وليس لهم اي مسحة من جمال أو رَواء ولا أدري كيف اصيبوا بالعين .

ولا يعالج ذلك المرض الا فارس هدّاف من اسرة القراغول وذلك بان يقدح على وجه الطفل المصاب بالزناد وقت غروب الشمس ولمدة ثلاثة أيام فيرتاع الطفل ويجفل من الشرر المتطاير فيشفى » .

× التلقيح ضد الجدري ـ بعد بلوغ الطفل الشهر السادس من عمره يلقح ضد الجدري من قبل هيئة صحية حكومية وعندما يشيل (يتورم) يبخَر محل التلقيح المتورم بدخان بعرور الغنم ، أو ينفخ عليه من دخان السكارة او يعمل له (بِسيسَهْ) وهي عبارة عن عجين من طحين الحنطة والدهن موضوعاً فوق قطعة قماش كلصقة وهذه (اتجُر الحمَار وتهَفّتْ الوروم[٦]) .

نكتفي بهذا القدر من وصفات ومعالجة الاطفال لننتقل الى وصفات ومعالجة الآخرين .

× اذا شلّع أحد الأولاد سناً من أسنانه فانه يرميه على قرص

---

(٦) أي تخفف الورم .

الشمس قائلا : « يا شمس أخذي سن الزمال (الحمار) وانطيني سن الغزال » •

× وهنا تحضرني نكتة واقعية : سألت احدى المعلمات طالبات الصف الثاني عن فوائد الشمس فأجابت ابنتي زينه قائلة « نعم نِشْمُرْ[7] عليها اسْنُونَّهَ العتيكة[8] » فتأمل مدى تفكير الصغار •

× واذا شج رأس أحد الاولاد (انفشخ) فتوضع له عطَّابَهْ على محل الفشخَهْ والعطابة هي قطعة قماش محروقة •

× اذا جُرح احدهم فيوضع له على محل الجرح « تراب مرمر » وهذا متيسر لدى العطارين ايضا ٠

× اذا «انفصخت » يد او رجل احد (اصيبت بالتواء) فيضعون على محل الالم (افطِيرايَة) وهي عبارة عن قليل من عجين طحين الحنطة مقلاّة بالدهن •

× اذا طُولَع (التهب) اصبع أحد فيغمس بالماء الحار عدة مرات ثم يوضع في كيس مرارة الخروف (الصفراء) بعد افراغه من السائل •

× اذا لدغت أحدهم عقرب فيعضّ محل اللدغة أولا لاخراج السم ثم يوضع عليها قطعة من (الصُبّيرْ) وهو نوع من المزروعات الشوكية مرة المذاق كانت تزرع في البيوت البغدادية للاجر •

× واذا لدغ أحدهم زنبور ، فبعد عضّ محل اللدغة لاخراج السم

---

(٧) نرمي ٠

(٨) القديمة ٠

يضعون عليها كبريت الشخاط او النفط او الثلج او يجمعون المادة الخضراء التي تتكاثر في (چعوب « كعوب ـ جمع كعب » حباب الماء) ويضعونها على محل اللدغة •

× أما وجع الرأس (الصداع) فعلاجه هو ان تُسَهّى كمية من نخالة الحنطة (أي تقلى) بالطاوة ثم توضع على قطعة قماش بشكل صُرَّه توضع على صَابِر المريض (صدغه) أو توضع له لصقة من طين خاوة البصرة على جبينه • او يعمل له قرصان بحجم الدرهم اليوم من الورق الازرق (غلاف كلال شكر القند) ويوضع فوق كل قرص كمية من (حب دبج معلوچ) ويلصق كل قرص في صدغ المريض • أو يشد رأس المريض بعصابة شدا قويا نسبيا أو يذهب به الى احد (الشيوخ اصحاب الطَريقَهْ) ليقرأ على رأسه ويكتب له (حجاب) يربطه بالمخدة التي ينام عليها • ومن أشهر الشيوخ (ابن ملة جواد) في شارع الاكمكخانة (وابن الشيخ كُمر) في محلة السور قرب الفضل •

× اما علاج التهاب السن المنخور فبوضع (شورة الحايط) وهي مادة ملحية تكثر على الجدران الرطبة في السن المنخور او يوضع فيه عودة قرنفل •

× اذا ظهر على الجسم « حصف » فيعالج بدلكه بقشر ركي أو بمنقوع (طين خاوة حُرَّة) وهي من العطاريات أيضا •

× اما المصاب (بالشرَّه) فيسبح بماء (بير مَدميّه) وبئر جامع الفضل هو بير مدمي (أي توفى فيه أحد الاشخاص) ويسقى المصاب ماء (الشاترَّك) وهذا من العطاريات أيضاً وهو نبات ربيعي ورده يشبه

الورد الماوي ومذاقه مر يضاف اليه عند شربه كمية من السكر • أو يدلك جسم المصاب بالملح المنقوع في الماء •

× اذا تعرض شخص الى البرد واصيب بالزكام مع الحمى فعلاجه شرب (البابنَّك) المغلي بالماء بعد اضافة السكر ، ويسمى ايضاً (بيبون) وهو زهر الاقحوان الاصفر ويكثر في بادية الموصل واطرافها •

× اما المصاب باللويه (مغص المعدة) مع اسهال فيسقى محلول « البُطنج »[9] مع نومي بَصره » حاراً كما تُحمى صخرة او طابوقة احماءً شديداً ثم تلف بقطعة قماش يجلس عليها المريض حتى تبرد وذلك (لجرّ البروده) حسب قولهم ، أو (يَلَهْم) المريض مسحوق نومي بصرة المحروق مخلوطاً مع القهوة المقلاة المسحونة قبل تناول الافطار (على ريگه) •

× واذا اصيب احد (بابي صفار) مرض اليَرقان فانه يشكو من ألم في البطن مع صُفَره شديدة في الوجه والعيون وعندئذ يعالج بأن يأكل في الصيف (رقي) مضافا اليه مسحوق (لب الراوند) وهو من العطاريات ايضا وان يكثر من أكل نومي الحلو شتاء • ثم يُشَدّ بيده خرزة گهرب صفراء حتى يديم عليها النظر كي تسحب الصفار من وجهه وعينيه • كما يلعب دائماً بحبات الهرطمان الصفراء لنفس السبب •

واذا اصيب طفل صغير بابي صفار فيعالج بتمريره وهو مُقَمَّط من

---

(٩) أوراق شجيرة صغيرة تستعمل عند جفافها وبعد سحنها سحناً جيداً حيث ترش على الباقلاء المنقوعة وتدخل ضمن عدد من الوصفات العلاجية وقد جاءت في أمثال البغادة ايضاً حيث قالوا (مثل الحية والبطنج) أي يكره بعضهم بعضا •

خلال قلادة ذهبية ، كما يدخلونه الى أحد الجوامع من باب ويخرجونه من الباب الاخرى وبذلك يشفى من مرضه باذن الله •

× الفالول ــ يعالج الفالول بكَنسه بمكنسة جديدة ، وتبدأ أم المصاب بالفالول بعملية الكنس عند ظهور الهلال قائلة (يا هالول أخذ الفالول) فانه يزول حتماً بعد عدة كَنْسات • ويقول بعض اطباء الامراض الجلدية بان هذه العملية وأمثالها تدخل ضمن العلاج النفسي •

× اذا التهبت كلية احد قال « خاصرتي دَتْوجَعني » اما لوجود رمل أو حصى في الحالب أو الكلية حسب التشخيص الشعاعي والمختبري اليوم فكان البغداديون يعالجون المريض بالوصفة التالية : « يغلى كرفس البير وپَسكُولة عرنوص الاذرة مع كمية من الشعير بالماء مدة من الوقت ثم يصفّى جيدا ويشرب المريض من ذلك المزيج كلما احتاج الى شرب الماء فانه سينال الراحة في اليوم التالي حتماً » ويعتبر بعض اطباء اليوم تلك الوصفة من المدررات المفيدة للمصابين بآلام الكلى •

× فتحه الحمصَّة ــ اذا أصيب أحد (رجل أو امرأة) بالدوخة ووجع الرأس المستمر فيقرر المزين فتح فتحة بذراع المصاب بحجم الحمصة ويضع في داخل تلك الفتحة حمصة على ان تبدل يومياً حتى لا يلتئم الجرح ثم يضع فوق الحمصة ورقة من أوراق شجرة النبق (السدر) ويشد الذراع بقماش غالباً ما يكون من الخام •

× وهناك من يعالج آلام المفاصل وغيرها بالدكْ (الوشم) وذلك بوضع سخَام القدر على المحل المراد (دَگّه) ثم تأتي امرأة يدها مجربة (أي غير شريفة) وبيدها عدد من أبر الخياطة وتبدأ بوخز المنطقة عدة

وخزات حتى يسيل الدم ولست ادري ما علاقة اليد المجربة في شفاء علاج آلام المفاصل !! وقل علمها عند ربي •

× اذا ظهرت دِمبْلةْ (دملة) في جسم أحد فيعمل لها لصفة من (حب دبج معلوچ) او (ياخـَّه) وهي مادة عطارية صلبة تذوب بالحرارة فيسيل قسم من الياخة المذابة على قطعة قماش صغيرة وتلصق على محل الدملة حتى تفجر بعد وقت قصير • ومنهم من يعالج الدملة باستعمال خليط من الكرمندي وصفار البيض او بعمل لبخة من منقوع بزر الچتان (بذر الكتان) • وهو ومثله الكرمندي من العطاريات أيضا •

× حَدَ گ دِ گهْ ـ وهي حبة تظهر على جفن العين يعتقد البغداديون بانها تزول لو بيعت الى يهودي وغالباً ما يكون ذلك المشتري هو (ابو ايسكي) الذي سنأتي على ذكره في موضوع الباعة المتجولين • فيقول المصاب لابي ايسكي : تشتري دُك دُك من عيني الى عينك تُزْبُك او تشتري فندِ گهْ ؟ من عيني الى عينك دك دگه ••

× الاخت (حَبَّة بغداد) كان بعض سكان بغداد وفي محلات خاصة منها يشتغلون في (هَلْسْ) الصوف اي نزعة من جلد الخروف في بيوتهم وكانت تتراكم مياه غسل الصوف والجلود في الطرقات وتتكاثر عليها أنواع الحشرات والبعوض • وهناك بعوضة ان لسعت أحدا تركت فيه ندبة تتطور الى دملة قد تتكاثر في الوجه وتشوه منظره أو تشوه اليد أو أي قسم تصيبه من أقسام الجسم ، وقد سميت تلك الدملة بحبة بغداد أو الاخت وقيل انه لا وجود لمثل تلك البعوضة الا في بغداد يبدأ علاجها بتحديد محل الاخت أولا من قبل (كاتب بن

كاتب) حيث يمشي بقلمه حول حدودها حتى لا تتوسع • ثم يضعون على الدملة لبخه من مجموعة العطاريات التالية حيث يجمعها العطار بنسب معلومة لديه وهي (طين ارملي ، چاته هندي ، علج بَستج ، توتيه بيضة محروگه، قليل من الكَثيرة) تمزج جميعها بالماء ويعمل منها لصقة توضع على المحل المصاب ولا ترفع أبداً بل تسقط من نفسها وعندئذ توضع لصقة أخرى حتى تشفى تاركة في محلها أثراً واضحاً • وان معظم اخواننا ابناء بغداد يحملون شهادة بغداديتهم على وجوههم ومن حسن الحظ ان (اخت بغداد) قد اصابت رأسي واختفى أثرها بين الشعر مدة طويلة الا ان الصلع قد أظهرها جلية بعد سن الاربعين •

× الحجَامة ــ اذا شعر بغدادي بضيق نفس أو وجع رأس شديد او غوّاش بالعين شكى مرضه للمزين الذي يصف له الحجامة فوراً • وتتلخص عملية الحجامة (بتشريط) اي عمل عدة جروح بالمنطقة المراد سحب الدم منها ويكون محلها غالباً (العِلْبة) خلف الرقبة أو الظهر او محل آخر • ثم يوضع جهاز سحب الدم على تلك الجروح الخفيفة التي أحدثها المزين بموسه القاطع ويبدأ بمص قطعة الجلد المثبتة في نهاية انبوب صغير يتصل بالقدح الذي يمتلىء بالدم بعد تفريغه من الهواء وعند امتلاء وعاء الجهاز بالدم الذي يسمى (بالدم الفاسد) يسحب الجهاز ويمسح محل التشريط عدة مرات بقطعة قطن حتى ينقطع النزيف وتجري (الحجامة) مرة في كل عام •

× تعالج آلام الاذن بنفخ دخان السكارة بالاذن المصابة أو بحرق نواة مشمش حرقاً تاماً الى ان يخرج دهن اللب لتدهن به تلك الاذن من الخارج •

البغداديون
في مواجهة الحرّ والبرد

قبل ان أعالج خصائص الشتاء والصيف وما لاهل بغداد فيهما من عادات أوشك معظمها على الزوال بدخول الادوات الكهربائية في أغلب البيوت .. لابد لي من وصف سريع لدار بغدادية .

الدار البغدادية ـ معظم البيوت البغدادية مقسمة الى حَرَمْ وهو مسكن النساء والدِيوَخانَه وهو المحل الخارجي من البيت ويجتمع به ابو البيت مع اصدقائه .

كما انها تتألف من طابقين يشتمل الاول على مدخل الدار وتكون باب الحوش (طلاّگة) واحدة كبيرة منقوشة بالمسامير الكبيرة ثم تغيرت الى (طلاّگتين او فَردتَين) ثم المجاز وهو الذي يصل بين مدخل الباب وفناء الدار وغالباً ما تكون في المجاز دكّتان ،واحدة على اليمين والثانية على اليسار والمألوف أن يفرش أبو البيت وابنه البكر على كل دكة حصيرة خيزران لقضاء فترة القيلولة بالاستلقاء عليها ويغطي كل منهما جسمه بغطاء من قماش خفيف واضعا على وجهه المهفة اليدوية بعد أن يغلبه سلطان الكرى .

بيت الحبوب ـ يواجه المجاز محل خاص فيه محامل خشبية مصنوعة

من خشب التوت يوضع على كل محمل حب مصنوع من الطين المفخور ويغطى بقَبَغْ من الخشب (غطاء) كما يوضع تحت كل حب اناء صغير وهو من الفخار ايضاً يسمى (بوّاكهْ) ويوضع في بيت الحبوب هذا عدد من الحباب يتناسب مع عدد سكان الدار حيث تقسم مجموعة الحباب الى قسمين قسم للاستعمال اليومي وقسم يدخر لليوم التالي حتى يبرد (مَي بَيّوتي) وقد صمم محل بيت الحبوب مقابل المجاز حتى يصله تيار الهواء من الدربونة فيزيد في برودة الماء اما وضع (البّواكه) تحت الحب فهو لجمع (مي الناكوط) أي المرشح من الحب ويكون صافياً جداً أو كما يصفه البغادة بقولهم : (صافي مثل عين الوزّة) وعند شيوع شرب الشاي[1] استخدم مي الناكوط في تخدير الشاي لان الماء الصافي يعطي الشاي لونا شهياً ورغبة أهل بغداد بل العراقين عامة في شرب الشاي عارمة ، علما بأن الشاي لم يعرف في بغداد الا بعد الحرب العالمية الاولى وكان استعماله على نطاق ضيق وعند المساء فقط حيث كان فطور البغادة يتكون مما يلي : الباقلاء المنقوعة ، الشوربة بأنواعها ، الحليب ، البيض المقلي أو المسلوق ، اللحم المشوي ، التشريب ، القيمر مع الدبس او مع العسل ، الهريسة . ومنهم من يتناول

---

(١) لم يعرف الشاي الا بعد الحرب العالمية الاولى وفي العدد ١٦-١٧ من مجلة بغداد ١٩٦٤ مقال بعنوان كرادة مريم بقلم هادي العلوي حدد فيه معرفة الشاي بقوله (لم يعرف أهل كرادة مريم الا القليل من المشروبات كاللبن والقهوة وكانوا حتى أوائل القرن الحالي يجهلون الشاي ، ويحكى أن هندياً في جيش الاحتلال الانكليزي في الحرب العالمية الاولى أهدى فلاحاً من أهل الكرادة كيس شاي فقدمه الكرادي بدوره الى الى بقرته ظناً منه انه نوع من العلف) .

بقايا عشاء اليوم المنصرم بعد تسخينه .

اما الاناء المستعمل لشرب الماء فهو (المِنْشَل) أو (الجيريَّة) وهو عبارة عن سلة صغيرة مصنوعة من سيقان الحَلفة مطلية بالقير وفيها ذراع من الخشب نهايته على شكل رقم ٨ حتى تكلب في الحب نفسه او في محمل الحب عند عدم استعماله ويشتهر في عمل (المناشل) مدينة هيت حيث يكثر فيها القير السّيالي .

وهناك الكرُوزَه ْ ، وهي مصنوعة من الفخار أيضا ، شكلها يقارب شكل الكأس الا ان فوهتها اعرض من قاعدتها .

أما الادوات الاخرى فهي الطاسة المصنوعة من الصفر المبيَض ، والدُولكَة وهي مصنوعة من الصفر المبيض ولها مسمار خاص قرب الحبوب تعلق فيه ، وهي الأداة المستخدمة لاخذ الماء من الحب (لترس التُنكَ) أي ملؤها اذ لا يجوز ادخال أداة غير الدولكة في الحب حفظاً لنظافته .

التُنكه ْ وهي أداة لحفظ الماء وتبريده مصنوعة من الفخار ولها أحجام واشكال مختلفة منها (ام العَراوِي) أو بدونها وتسمى (صلاحية) وأحسن التُنكَ هي الخضراويّة ، وعند شراء التُنكه لا بد من تجربتها خشية ان تكون منكوبة (مثقوبة) ولذلك يعطي البائع (الكواز) قليلا من الاصلاح للمشتري والاصلاح هو الشحم الحيواني مضافاً اليه قليلا من النورة (الجير المطفىء) يستعمل لسد الثقوب التي تظهر في جميع المصنوعات الفخارية قطعا للترشيح .

الليوان : غرفة مستطيلة الشكل جبهتها المواجهة لفناء الدار مفتوحة ويرفع سقفها عادة بتكم (جمع تكمَه) خشبية مضلعة الجسم ومنقوشة

الرأس يجتمع فيها أفراد العائلة ، وهي تقابل (الهول) في البيوت الحديثة المعاصرة •

وفي موسم الشتاء يوضع على واجهة الليوان ويسمى أيضاً (طَرار) چادر يرفع ويسدل بواسطة حبال ، وفي داخل الچادر عدد من رماح الخيزران الغليظ وذلك لتسهيل رفعه واسداله ولتقليل اهتزازه عند حدوث (هوه عالي) وفي ذلك الچادر باب صغيرة تستعمل للدخول والخروج ، ولها غطاء يرفع ويسدل بالحبال ايضا • ويستعمل الجادر لمنع تسرب الهواء البارد الى مجتمع العائلة •

الأرسي : غرفة كبيرة ، شبابيكها محلاة بخشب محفّر ومنقوش بنقوش عربية لطيفة ، وهي تمتاز بكثرة شبابيكها ، وتستعمل لاستقبال الخطار (الضيوف) •

غرفة الكرر (المخزن) وفيها تحفظ الادوات والاثاث الفائض عن الحاجة •

غرفة المونـة – (المؤونة) وهي مخزن لحفظ الچيل (الكيل) حيث يشتري البغادة حاجاتهم ومؤونتهم بالجملة ، (گواني تمن ، عكك دهن ، ماش ، عدس ، هرطمان ، حنطة ، برغل ، معجون الطماطة ، الدبس ، ماء الورد) وغيرها مما يُعمل في البيوت وسنأتي على ذكرها •

المطبخ : والغالب أن يكون واسعا وفي جهة منه يحفظ الحطب **اليارمَاچّه** أو الطرفة المستعمل في ايقاد النار للطبخ كما تحفظ في الجهة الاخرى منه القدور والصواني وغيرها من أدوات الصفر • ويبنى التنور

في المطبخ أيضاً . ترقد القدور على كُلل حديدية ، لكل قدر ثلاثة ، وتسمى زرزبانات (جمع زرزبانة وهي الكرة الحديدية) .

ومن لا يتمكن من الحصول على (الزرزبانات) فانه يبني مواقد من الآجر والطين ومن امثال البغادة قولهم (الجدر ما يگعُد الا على اتلاثة) .

السرداب ـ وهو غرفة الصيف ويكون منخفضاً عن مستوى ارض الدار بعدة پايات والپاية كلمة تركية معناها موطيء القدم على السلم . أما التهوية فتكون بواسطة البادگيرات (ومفردها بادگير وهي كلمة فارسية من مقطعين باد : هواء ، گير : جالب) أي جالب الهواء . ومنفذ السرداب الارضي وهو اخفض من السرداب يكون عادة في داخل السرداب نفسه ولا تبلط ارضه بالطابوق ويكون مسقفاً بالواح خشبية ومنهم من يسميه (نيم سرداب) ويكون اكثر برودة من السرداب .

التختـه بوش : غرفة مساحتها نفس مساحة السرداب الارضي وتقام فوقه مباشرة وأرضها هي نفس سقف السرداب الارضي الخشبي .

أما تبليط فناء وغرف الدار والسرداب فيكون بالطابوق الماطلي الاصفر ويجري غسل ارضية الدار والسرداب يومياً بعد الانتهاء من طبخ طعام الغذاء لتبريده قبل موعد قدوم (أبو البيت) مستعملين في ذلك المكنسة اليدوية والمكنسة البغدادية خاصة لا تشبه المكانس المستعملة في الدول الاخرى، فهي تصنع من خوص سعف النخيل وتشتهر في حياكتها محلة الفناهرة في بغداد . كما تستعمل سعفة النخل في تنظيف سقوف وجدران البيت من مخطان الشيطان (نسيج العنكبوت) .

بيوت بغداد مكشوفة بصورة عامة وغالبا ما تكون مربعة الشكل وحول طرام (جمع طرمة) الطابق الثاني يكون المحجر وهو حاجز يصنع من الخشب والشيش الحديدي حيث تعمل بعض الزخارف بلـوي الشيش الحديدي • وغطاؤه من الخشب واركان المحجر الاربعة تكون كروية الشكل (مچروخـَه) وتسمى (رمَّانات) وهناك (الصَچَفَّات المقرنَصـَه) التي تزين بها حافة المحجر السفلى وهي من الخشب أيضاً •

وفي الطابق الثاني تكون غرف النوم حول ساحة الدار وفيها الشبابيك ذات الزجاج الملوّن والشبابيك المطلة على الخارج (الشناشيل) ، ويوضع فوق شباك الجام شباك آخر من الخشب معمول على شكل مشبك يسـمى (قيم) والغـاية منه أن (لا تشـرف) الغرفة على الجـيران وتحافظ على جو الغرفة وتمنع دخول الشمس في فصل الصيف •

تسقيف البيوت البغدادية :

تسقف البيوت بالخشب والحصران وباقات القصب ثم ترشق السطوح بالطين الحري المخمّر مع التبن لعدة أيام وتسَلـَّط على المزرايب المصنوعة عادة من الچينكو •

ومن عادة اهل بغداد ان تصعد (الچنـَّة) قبيل موعد سقوط المطر لكنس السطح وتسوية الحفر التي عملتها البزازين (جمـع بزون وهي القطة) ومعروف ان القطة بعد ان تتغوط تدفن غائطها لذا قالوا في أمثالهم (كالولها للبزون خراچ دوهْ ݣامـَتْ تخره وطُم) كما تنظف المزاريب من القش الذي تجمعه العصافير لعمل عشها وذلك كي لا يتوقف ماء المطر

في السطح (وتخر) الغرفة أي تنضح فتتلف المفروشات والاثاث ، وتزعج النائمين .

يحاط السطح من الداخل بالمحجرات والصَّچفات ومن الخارج ببناء يسمى (تيغه) ومنهم من يعمل (ستارة) من الخشب والچينكو أما سقوف الغرف من الداخل (فتُرگمْ) بألواح خشبية وتغطى المسافات بين لوحة واخرى بخشب رفيع يسمى (ترايش) والواحدة (تَريشة) كما يوضع في منتصف كل غرفة شكل هندسي بديع مطعم بقطع من المرايا وغالباً ما يكون شكله مقارباً لشكل (المعَين) وتسمى (خُنچَهْ)[٢] تعلق في وسطها الثريا ، وهي مجموعة من الاضوية .

الصيف :

نهارا ـ ينام أبو البيت وابنه البكر على الدكتين في المجاز الواقع في مدخل الدار وبعضهم يضع على باب الدار (عَمَّاريَّة) وهي عبارة عن مشبك من عيدان سعف النخيل . يوضع في داخل مَشبكين كمية من العاگول الاخضر يرش بالماء بين حين وآخر لتبريد البيت أو الغرف التي وضعت العماريات على شبابيكها . كما ينام بقية أفراد الاسرة في السرداب ومنهم من ينام في السرداب الارضي .

عصراً ـ وبعد شيوع استعمال الشاي تحضَّر المنقلة ويخدر الشاي ويتناولون معه أما الخبز والجبن مع النعناع أو البِيتَهْ (وهي مشابهة لشكل الصمونة وعلى وجهها قليل من الجبن والكرفس) أو الكليچه أو

---

(٢) كلمة فارسية بمعنى الصينية الصغيرة المستعملة في تقديم القهوة أو الشاي .

خبز عروك (خبز لحم) حيث ان موعد تناول الغذاء يكون مبكراً ولا بد لهم من اكلة خفيفة قبل العشاء ٠

مساء ـ وعند اصفرار الشمس تصعد الجنَّة أو البنت البكر لرش السطح حتى تتبخر الحرارة ويصبح بارداً ٠ وتفرش فراش جميع أفراد العائلة المحفوظ في بيت الفراش (٣) كما تَشد ُكلَّتَها وتضع سلة (هدوم الرجَّال) حيث يخلع ملابسه عند عودته من المقهى في السطح العالي وتقوم السلة المصنوعة من اعواد الرمان والصفصاف مقام الشمّاعة وغيرها مما يعلق عليه الملابس اليوم ٠

كما تملأ التُّنك وتصُفْها فوق التيغة وبعض العوائل تستعمل حُبّانة (مصغر حب) علاوة على التنك لكثرة أفراد العائلة ٠

يغطى حَلك (فم) التنك ب (كَپُوز) وهو غطاء مصنوع من لب خوص سعف النخيل أو بقطعة بيضاء محاكة بالخيوط مزركشة بالنمنم الملوّن ومنهم من يشد فوهة التنكة بقطعة من قماش خفيف للمحافظة على نظافة الماء من الحشرات ٠

سلة العشة (العشاء) ـ لكل عائلة سلة كبيرة مصنوعة من اعواد الرمان والقصب تشتهر في صناعتها مندلي وبعقوبة ومدن اخرى في العراق يحفظ تحتها عشاء رب العائلة أو سواه ممن يتأخر ليلا وذلك حتى لا يحَنْحِنْ (يفسد ويكون غير صالح للاكل) ويوضع فوق السلة ثقّالة وغالباً ما تكون طابوقة كي لا تقلبها (البزونة وتاكل العَشَهْ)

---

(٣) غرفة صغيرة في بيتونة الدرج لحفظ الافرشة نهاراً ٠

كما توضع شياف (قطع) الركي على التيغة حتى تبرد وما ألذ أكل الركي البارد على سطوح أهل بغداد •

حفظ الملابس الشتائية والزوالي :

بعد انتهاء موسم الشتاء تنظف الملابس الشتوية وتُنفَضْ من الطوز والعَجاجْ (الغبار) وتحفظ في الصناديق مع كمية من التتن (التبغ) أو بعض قوالب صابون الرقي حتى لا (تنعَثّ) أي تقرضها حشرة العث وتتلفها •

أما الزوالي والاورطات واليانات فتنفض من العجاج في الدربونة وكانوا يكلفون بنفضها بعض أولاد المحلة لقاء أجور أما اليوم فقد أصبح لنفض وتنظيف الزوالي جماعة خاصة تدور في المحلات وتمتهن تنظيف الزوالي • وبعد تنظيفها من التراب تنظيفاً جيداً تبدأ أم البيت بكنسها عدة مرات ثم تبدأ بمسحها بقطعة من قماش قديمة مبللة بالنفط ثم تضع بين طياتها كمية من التبغ لحفظها من العث • أما اليوم فاستبدل التتن وصابون الركي بالنفتالين •

صناديق الثلج ـ عندما انتشرت مكائن عمل الثلج في بغداد لحاجة الناس اليه شاع استعمال صناديق الثلج •

وصندوق الثلج صنع محلي يتكون من صندوق خشبي مبطن من الداخل بالچينكو ، يوضع بين الچينكو والغلاف الخشبي كمية من النجارة (نشارة الخشب) كمادة عازلة وفي جهة من الصندوق يعمل حوض مغطى وله حنفية الى الخارج لاستلام الماء البارد منها • ولربما

استعمل بعضهم عدداً من القناني البيضاء لوضعها بعد تعبئتها بالماء فوق الگونية التي يلف بها الثلج حتى لا يذوب بسرعة •

استعدادات البغادة لموسم الشتاء :

يستعد أهل بغداد استعدادا تاما لاستقبال موسم الشتاء وذلك بتهيئة المواد منذ موسم الصيف •

تَيبيس الخضروات – يجتمع افراد العائلة في أحد أيام الصيف لِتگليم (يلفظ اللام مضخماً) البامية[٤] أي تقليمها عندما يكون سعرها أرخص من الايام السابقة ، وعمل قلائد تُشَرّ (تنشر) حتى تجف كما يقومون بتَيبيس الباذنجان قسم منه محفور لعمل « الشيخ محشي » والقسم الثاني لطبخ المرق حيث يقطع بعد تقشيره طولياً أو (دِرِكَ) أي دوائر • كما تيبَّس الباقلاء •

چَبس (كبس) الطرشي : يهيأ الخل (وسنأتي على اسلوب عمله في محل آخر) ويچبس بأواني كبيرة تسمى (خُمْ) وقد تسمى (خَنابْ) وهي مصنوعة من الفخار المطلي بالقاشان ثم يحضر خيار الشماطة، والباذنجان الناعم، ولوبية ، وفاصولية خضراء وأنواع أخرى من الخضروات والفواكه (الصَّملَه) القوية كالتفاح الازرق وتنقع بالماء والملح مدة مناسبة ، وبهذه الفترة تهيأ البهارات حيث تدق وتنخل في البيت أيضاً وتتألف البهارات من مجموعة من المواد العطارية هي (عرگ الهيل ، جوزة بوّه ، قرنفل ، فلفل أسود ، فلفل أحمر ، كركم ، كبّابه)

---

(٤) وتلفظ أيضاً بانية ويقال ان أصلها سوداني •

وبعد أن تتخدّر الخضروات بالماء والملح، تجفف واحدةواحدة بقطعة قماش ناشفة ثم تبدأ عملية التحشا (التحشية) ويتعاون في هذه العملية معظم نساء أو بنات العائلة حيث تقوم احداهن بعملية تنشيف الخضروات ، والثانية بشق فتحة في كل خيارة أو باذنجانة والثالثة بوضع الحشو وهو (البهارات والثوم والكرفس) والرابعة تحزّم كل قطعة بخيط رفيع من خوص سعف النخيل حتى لا يسقط الحشو ثم توزع تلك الخضروات على البَساتيك ويضاف اليها بقية الانواع من ثوم العجم الاسود ثم يضاف اليها الخل بعد تفويره وتبريده وتحفظ تلك البساتيك في (التختة پوش أو في نيم سرداب) • تزور أم البيت بَساتيكها بعد مدة حتى تكمل الخل حيث ينقص نتيجة تَشَبع الخضروات به (فتذبل) أي يَصغَر حجمها وبعد اطمئنانها الى كفاية الخل في كل بستوگة تضع في فم كل واحدة كمية من ليف النخل ثم توضع عليها الاغطية وتشد شداً محكماً بقطعة قماش وهناك من يبني افواه البساتيك ولا يفتحها الا في موسم الشتاء •

معجون الطماطة – يشتري أبو البيت أكواما من الطماطة الناضجة الحمراء فتجلس أم البيت ومعها من يعاونها من البنات بعد ان تغسل الطماطة غسلا جيدا يبدأن بتقطيعها ووضعها في طشوت كبيرة ويضفن اليها كمية من ملح الطعام وتترك الى اليوم التالي حيث تبدأ عملية عَصِر الطماطة أي ضغطها باليد لاخراج العصير وبعد تصفية العصير بالمنخل الناعم المسام تبدأ عملية (الشرّ) أي التجفيف • وتنصب الصواني في السطح العالي مرتفعة عن الارض حتى لايدخلها الغبار ثم تبدأ عملية نقل العصير

الى السطح حيث يوزع على تلك الصواني التي تغطى بعدئذ بقماش خفيف حفظاً من الذباب وبقية الحشرات •

تصعد ام البيت مساء كل يوم لتحريك العصير ، وبعد ان يصل الى الدرجة المطلوبة من الكثافة يُعبَّأ بالبساتيك ويحفظ حتى موسم الشتاء • وقد بدأت هذه العملية بالزوال منذ استيراد المعجون المعلب •

المربى : المربيات البغدادية أنواع أشهرها مربى التفاح والخوخ والعنجاص وغيرها وسأذكر هنا مربى التفاح حيث كانت بساتين بغداد تجود بانواع فاخرة من التفاح الابيض (لاحظ نداءات الباعة لتقف عما يقوله البقال البغدادي عنه) • يجمع رب العائلة التفاح (الصَمْل غير المضروب) وهو النوع الصالح لعمل المربى • وبعد تقشيره تَقشيراً جيداً يوضع في اناء يحتوي على مزيج (الماء والنورة) وبعد فترة قصيرة يغسل التفاح غسلا جيدا ويجفف واحدة فواحدة ثم يوضع في قدر الشيِّرة (السكر والماء مع الهيل المسحون) وهو على النار وبعد ان تغلي الشيِرة وبداخلها التفاح تبعد النار عن المربى ويُبَرَّد ويعبأ بالبساتيك ويوضع في السطح العالي فترة حتى يتبخر الماء الزائد بتعرضه للشمس ثم تبنى افواه البساتيك بالجص وتحفظ الى موسم الشتاء •

الدبس : في العراق (٤٥٤ نوعاً من أنواع التمور)[٥] أرخصها التمر الزهدي الذي يستعمل لعمل الدبس والخل كما يعطى كعلف للحيوانات •

يغسل التمر غسلا جيدا ثم يوضع في قدر كبير مع كمية مناسبة لكمية

---

(٥) التمور قديماً وحديثاً للاستاذ جعفر الخليلي ، ص ٥٥ •

التمر من الماء ويوضع على النار حتى يصل درجة الغليان • ثم يُفرّغ (بگوشر)[٦] كبير يوضع على اناء مناسب حجماً ثم تطوى حافتا الگوشر واحدة فوق الاخرى ويطرح عليهما ثقل مناسب لكي يشرع بالترشيح ثم ينقل السائل المرشح الى السطح العالي ليوزع على الاواني والصواني حتى يتبخر الماء الزائد نتيجة تعرضه للشمس على ان تغطى تلك الآنية بقماش خفيف ابعادا للحشرات والذباب وبعد ان يصل ذلك السائل الى الكثافة المطلوبة يعبأ بالبساتيك ويحفظ حتى موسم الشتاء •

عمل الخل : تكون عملية الخل متممة لعمل الدبس حيث يخض(يغسل) ما تبقى من الگوشر عند استعماله في عمل الدبس ويحفظ الماء المرشح في بساتيك لمدة (٤٠) يوما فيصبح ذلك السائل خلا يستعمل عند چبس الطرشي أما ما تبقى في الگوشر من (نوه وبثل) فيجفف تحت الشمس ويستعمل وقوداً •

مربي النگوع ــ النگوع (النقوع) هو المشمش المجفف ، يغلى مع الدبس ثم يبرد • وهذه من أسهل وأسرع انواع عمل المربى •

عمل ماء الورد أو ماء القداح ــ يشتري معظم البغداديين في الربيع كمية من (ورد الجوري)[٧] لعمل ماء الورد وكمية من القداح (زهر الرارنج) لعمل ماء القداح • يوضع الورد أو القداح في قدر خاص ويغطى بغطاء محكم السد ويضاف الى حافة القدر زيادة في احكام الغلق مادة العجين أو الطين الحري لمنع تسرب البخار • يوصل هذا القدر باناء خزفي كبير

---

(٦) سلة محاكة من خوص النخل حياكة يدوية •

(٧) ورد خاص لونه وردي ورائحته عطرة فواحة •

موضوع في حوض ماء بواسطة قصبة طويلة مجوّفة صالحة لعملية التقطير. توقد نار حامية تحت القدر الكبير حتى يصل الماء المنقوع فيه الورد أو القداح الى درجة الغليان فيخرج البخار بواسطة القصبة الى الاناء الخزفي المغطى حفظاً للسائل المقطّر من التلوث . ثم يحفظ الماء المقطر سواء كان ماء ورد أو ماء قداح في قناني محكمة السد الى وقت الحاجة .

عصير الرارنج ــ لا تخلو دار بغدادية من عصير الرارنج ، اذ تعصر كل عائلة كمية من الرارنج أو النومي الحامض وتحتفظ به في قناني زجاجية حتى موسم الصيف والملاحظ هنا من سرد كل هذه الاعمال ان المرأة البغدادية والعراقية ليس لها غير مملكتها الصغيرة (البيت) وأهلها واقاربها وبنات الطرف فهي تعرف اعمالها اليومية والاسبوعية والموسمية وتستعد لها استعداداً تاماً كما لاحظنا في الفصول السابقة أو كما سنلاحظه فيما بعد .

أُكلات بغدادية

من النادر أن تخلو صينية بغدادية في أوقات الغذاء في موسم الشتاء من وجود نوع من الشوربة كشوربة عدس مع الرِشَدة[1] التي استعاضوا عنها بالشعرية مؤخراً ، شوربة الهرطمان ، شوربة الماش المصفى وتسمى شوربة امصفّاية حيث يوضع عليها البصل المثروم المقلي أو شوربة الچشچ (والچشچ هو عجين طحين الحنطة واللبن وبعد ان يخمّر جيداً يعمل كأقراص تحفظ حتى موسم الشتاء) أو شوربة حامض شلغم التي تحتوي على السلك والشلغم مع التمن وغيره يقابلها اليوم شوربة المخضرات ومنهم من يضع في داخلها كبة تمن فتسمى عندئذ (كبة حامض) .

الباقلا المنقوعة ـ كلما يزيد الخبز (جوَّه النجانه) حيث يحفظ الخبز فوق طُبگ (أي طبق مصنوع من سيقان الحَلْفَة محاكاً بالخوص أو بالحلفة المصبوغة مدور الشكل وتشتهر في صنعه مدينة كربلاء ويغطى باناء نصف دائري تقريباً من الصفر المبيَّض يسمى انجانَه وهناك مثل بغدادي ضربه البغادة في الأمن والاطمئنان بقولهم : خبزتَه جوَّه النجانه) أي كلما يفيض الخبز عن حاجة العائلة (نقَّعَت) أم البيت ، كمية من الباقلاء

(١) عجين الطحين المخمر يقص بواسطة سكين حادة خيوطاً رفيعة ثم تجفف وتحفظ حتى موسم الشتاء لاستعمالها مع الشوربة أو مع البرغل .

اليابسة وحَضَّرَت منها طبقاً شهياً لغداء أو فطور اليوم التالي •

وطريقة تنقيع الباقلاء تتحقق بأن يُسكَب على الخبز بعد تنقيعه بماء سلق الباقلة وبنفس القدر طبعا واخراجه بواسطة الچِفْچير (أداة تفريغ الطعام وهو كف مدور ومثقب وله ذراع معمـول من الصفر المبيض) دهن الحر (الدهن الحيواني) بعد ان (ضرب داغ) أي احترق تماماً ثم يرش على جميع قطع الخبز من وجهيها البطنج النـاعم ثم يسكب عليـه أيضاً قليل من الخل او عصير الرارنج • ويؤكل مع الباقلاءالمنقوعة البصل ولا سيما الاخضر مع طرشي شلغم •

وهناك نساء يقمن بتنقيع الباقلاء صباحاً حيث تجلس (أم الباجلـَّة) في راس الدربونة أو راس العگـِد ، فيتوافد عليها أبناء المحلة وبيد كل منهم ماعون والخبز المراد تنقيعه مقـابل ثمن وبعد عودتهم به الى بيوتهـم يضاف اليه الدهن وغيره مما ذكرت اعلاه •

مرقة الحامض حلو ـ وتسمى أيضـاً مرقـة قيسي ، وهي حلوة المذاق تحتوي على اللـوز والكشمش والتّرشـانـَه ومنهـم من يسميهـا (طرشـانه) مع قليـل من السـكر والدهن واللحـم وهي من الاكلات الشتوية •

اليخني(٢) ـ نوع من المرق قوامه البصل والعدس أو الحمص مع

---

(٢) اقدم ما عرفته البشرية من ألوان الطعام • فقد كان أول طعام طبخ لآدم عليه السلام بعد خروجه من الجنة واليخني لفظة فارسية (راجع الامثال البغدادية للشيخ جلال الحنفي ١ : ٤٥) •

اللحم • وقال البغداديون (أعتك من اليخني) للدلالة على الايغال في القـدم •

الشجر الاحمر ـ ويسمى شجر أسكَلَه ْ ، وواحـدته اكبر من الركية حجماً ويباع (نصف أو ربع شـجرة) ، ومرقتـه تكون حلوة المذاق حيث يضاف اليها كمية من السكر عند الطبخ •

زَرده وحليب ـ الزرده : تمن مع دبس ، والحليب : تمن مع الحليب والهيل المسحوق وتطبخ على الأغلب في شهر رمضان •

المحلبي ـ حليب ونشاء والسكر مع الهيل المسحوق ويعتبر نوع من الحلويات •

التشريببايةـ وهو الخبز البايت (خبز اليوم الماضي) المقلى بالدهن مع البصـل المثروم مضـافاً اليه البطنج وحب الرمـان المجفف أو تمـر هند مع قليل من الماء •

مريس ـ عبارة عن خبز حـار أُخرِجَ من التنور تواً ، يوضع في اناء ويضاف عليه الدهن والسكر ويدعـك باليدين دعـكا جيدا حتى يتداخل السمن والسكر مع فتات رغيف الخبز ويؤكل حاراً •

بَقلاوة الفكَر ـ ولا أدري لماذا سميت بهـذا الاسم وهي أَكلة بغدادية شعبية لا تقتصر على فقير أو غني ، وقوامها ثريد الخبز المقلى بالدهن وعليه قليل من الدبس وسميت في ص١١٩ من معجم اللغة العامية البغدادية للشيخ جلال الحنفي (عرب بقلاوه سي) واللفظ من اللغة التركية ومعناها (بقلاوة العرب) •

مع بغدادي في وجبة غذاء ـ غالباً ما يتناول أهل بغداد طعام الغذاء سوية حيث تجتمع العائلة حول الصينية الصفر المبيضة ، واذا كثر عديد الاسرة (نُصبت الصينية الديوانية وهي أكبر الصواني حيث يبلغ قطرها حوالي ١٠ اقدام وتستعمل للضيوف وسميت بالديوانية نسبة لاسم غرفة الضيوف) ويجلس حولها أفراد العائلة منهم من يجلس على تختة ، وهي مقعد صغير من الخشب ومنهم من يجلس على (المندر أو المندل) وهو قطعة قماش مربعة الشكل محشوة بالصوف أو القطن أو الكَرَد • ومنهم من يستعمل التختة والمندر معاً • تصب أم البيت الطعام بالاواني ويتعاون أصغرهم على نقلها من المطبخ الى الصينية • ومتى ما شرعوا بالاكل قالوا (بسم الله الرحمن الرحيم) فاذا نهض رب العائلة نهضت معه زوجته لسكب الماء على يَديه من الابريق الخاص للتغسيل كما يحفظ ماء الغسيل باللگنْ فيكون عندئذ أحد افراد الاسرة ممسكاً بالبشكير (الخاولي أو منشفة اليد) لتقديمها الى رب الاسرة كي يجفف يديه •

المصلخ ـ وتطوّر بعدئذ اسلوب التغسيل من (اللگنْ والابريك) الى المُصلَخ وهو اناء كبير جميل الصنع ، يصنع من الصفر المبيض موضوعاً فوق كرسي خاص وفيه حنفية تستعمل لاخذ الماء ويحفظ الماء بعد التغسيل في طشت خاص ثم يسكب في البالوعة •

وبعد تناول الغذاء يخرج رب العائلة الى المقهى يدخن (راس نرگيله) ويدردش مع اصدقائه ثم يعود مع أذان المغرب حاملا بيده باقات الفجل أو زمبيل الفاكهة وهو مفعم بالفخر ، وقد يستعين بأحد الحمالين لقاء أجر اذا كانت الحمولة كثيرة أو متعددة الزنابيل ، والزنبيل هو سلة

صغيرة محاكة من خوص سعف النخل وغالباً ما يكون لها عروتان معمولتان من ليف النخل أيضا ويشتهر في صناعة الزنابيل بعقوبة وكربلاء والبصرة ومحلة الكريعات في بغداد •

وبعد تناول طعام العشاء يطيب لبعض البغادة أن يعود الى المقهى لتدخين (راس نرگيلـَة) حتى اذا أدى صلاة العشاء في الجامع رجع الى داره •وقد يبقى في الدار حيث تـُعمـِّر له أم الوِلِـدْ راس النرگيلة ويقضي صلاة العشاء • وكلـهم ينامون مبكرين لينهضـوا مبكرين ، كمـا يقول المثل اللبناني « نام بـكـّيرْ واصحَ بـكـّيرْ وشوف الصحة شو بتصير » ومعنـاه واضح •

النرگيلة — وتسمى في الشـام (أرگيله) وفي مصـر (شيشه) (ولفظة نرگيلة من النارجيل اذ كان وعاء التدخين يتخذ من قشرة ثمرته الامثال البغدادية للحنفي ١ : ٨٥) وهي عبـارة عن وعاء زجاجي شفاف يشبه التنگه الى حد كبير يوضع فيها الماء الى منتصفها مثبت في فوهتها قطعة خشبية مجروخة تسمى بـكـّارْ يثبت في جهة منها انبوب مزركش يسمى القمچي في نهايته قطعة خضراء تسمى الفم وبعض المدخنين يحمل في جيبه فماً من الفضة وهو خاص به يدخله في فم القمچي النحاسي ولا يدخـل في فمه عند التدخين الا الفم الفضي زيادة في النظافة • وعلى رأس البكـّار يوضـع الرأس أو المجمـَّر الذي يوضع عليـه التتن ، وهو مصنوع من الفخار ويثبت حول التتن واقية من التنك تسمى (السگوف) •

يحمل كل مدخن نرگيله في (عبـّه) كيساً خاصاً اعد لحفظ التتن وعند دخوله المقهى يقترب منه (الساقي) الذي يوزع الشاي على جلساء

المقهى فينادى على الشخص المتخصص بالنوارگيل (جمع نرگيله) بأعلى صوته (تعال اخذ تتن) ثم يعطي مدخن النرگيله الكمية الكافية من التتن الى العامل الذي يهيىء له راس النرگيلة ٠

وهناك نوعان من تتن النرگيلة : الهندي والشيرازي وقد يخلط النوعان بنسبة معلومة ويسمى عندئذ ترس الصدر ٠ يباع التتن في دكاكين خاصة وبائعه يسمى (توتونچي) وقد نصبت في صدر دكانه خشبة سميكة من خشب التوث يثرم عليها التبوغ بسكين حادة تستعمل بكلتا اليدين وتسمى المثرمه يقطع بها تتن النرگيله بعد ترطيبه بالماء الى قطع صغيرة ٠

والتوتونچي هو بائع السكاير المزَبّنَهْ التي تسمى (جگاير عرب) وكذلك أنواع التبوغ وأوراق السكاير ودفاتر اللف و (السويكَهْ) التي توضع بين الشفة السفلى واللثة ، والبرنوطي (الذي يعني بالتركية حشيشة الانف ، وهو مادة مكيفة تصنع من مسحوق التتن بعد تخميره بالنورة وتعطيره بعطور خاصة ، ولهواة البرنوطي علب خاصة محلاة بالصدف والفضة وللبرنوطي أنواع منها الفرنساوي والكوزي والبشاور ومنهم من يضع في علبة البرنوطي ورد الراسقي أو القداح زيادة في التعطير ٠ راجع عنه : معجم اللغة العامية البغدادية للشيخ جلال الحنفي ٢ : ٧٢) ومن التوتونچية المعروفين أحمد كنجي في الميدان وحميد التوتونچي في محلة الفضل ٠

وعلى ذكر النرگيلة لابد لي من وصف الجوزه وهي النرگيلة التي تستعملها النساء في البيوت، وهذه الجوزة عبارة عن قشرة كاملة لجوزة هند كبيرة اخرجت ثمرتها مطلية باللون الاسود مثبت عليها قصبتان الاولى مائلة

وتستعمل للتدخين والثانية مستقيمة يرقد فوق نهايتها المجمر مع السكوف بعد وضع التتن والجمر ، كما مر في موضوع النركيلة .

ولبعض أصحاب المصالح من مدمني تدخين النركيلة طريقة خاصة في (توريث الفحم[٣]) وذلك بوضع بعض قطع الفحم في سلة سلكية صغيرة لها ذراع سلكي أيضا مع جمرة صغيرة ثم يشرع بتدوير تلك السلة حول رأسه عدة دورات الى أن يصبح الفحم جمراً يصلح للاستخدام في تعمير رأس النركيله .

---

(٣) ايقاده وجعله جمرا .

السمك المسگوف

في العراق خيرات كثيرة بأنواع مختلفة ، منها أسماك النهرين الخالدين دجلة والفرات كالبز والگطّان والبني والشبوط ، ويتفنن العراقيون بطبخها فهناك السمك المقلي ، أو المطبّگ على تمن ، مرگه كاري ، مشوي بالتنور وأخيرا مشوي بالفرن وغيرها أما سگف السمك فقد اختصت به بغداد اختصاص الموصل بعمل كبة البرغل وتسمى كبة موصل ، والنجف وكربلاء بطبخ الفسنجون والعمارة بطبخ السمك المطبّگ وغيرها من أكلات الالوية الخاصة ، التي أخشى بتعدادها أن أبتعد عن السمك المسگوف .

أحسن أنواع السمك المسگوف هو « الشبوط الطيّب » الحي الذي يخرجه السمّاك من الماء يلبُط حيث يربطه بحبل ويعلقه في البلم . وبعد أن يُقطع السعر بين المشتري والبائع ، يشرع السمّاك بذبح السمكة ثم يشقها من ظهرها وبعد غسلها وتمليحها يعلقها من الظهر بعودين غليظين نسبياً من أعواد حطب الطرفه وهذا هو الحطب المستعمل في ايقاد النار عند سگف السمك . ثم يبدأ بتكسير أعواد الحطب وتكديس كمية منها أمام السمكة المعلقة ملاحظاً في ذلك اتجاه الهواء حيث يضع السمكة بعكس اتجاهه حتى يسوق الهواء لهب النار نحو السمكة ، والسمّاك يراقب النار ويمدها بالحطب

بين حين وآخر حتى يتم الشواء ثم تقطع النار ، ويرفع السمّاك السمكة من على المساند ويضعها على ظهرها فوق الجمر ليكمل شواؤها بشكل يثير الشهية والاغـراء •

بعد رفع السمكة من على النار توضع في اناء خاص من التنك ويرش عليها بعض التوابل وتسمى بهارات وهي مجموعة من العطاريات (كركم ، وفلفل أسود وفلفل أحمر وكبابة وقرنفل) وتثرم فوقها الطماطة وتؤكل مع الخبز والعمبه الهندية •

انها أكلة لذيذة يفتخر البغداديون بتقديمها الى ضيوفهم لاسيما الاجانب الذين يذكرونهـا في مجالسهم • ويكثر أكل السمك المسگوف صيفاً حيث يخرج البغادة الى الجزرات وشواطيء نهر دجلة للتمتع بالمناظر الجميلة لاسيما في (الگمريّة) أي في الليالي المقمرة الصاخبة بنقرات الدنابك وغناء البوذيه والمربعات البغدادية الحلوة •

واتخـذ السمّاكة من شارع أبي نؤاس اليوم مركزاً لبيع وسگف السمك فضلا عن العلاوي الخاصة والمنتشرة في عـدة محلات من بغـداد كالشواكة ، وسوق حنون وغيرها •

غسل وكوى الملابس

يخصص البغـادة يوماً في الاسـبوع يكـون غالباً الاربعـاء لغسـل الملابس ولا يمكن تحديد ذلـك اليوم في موسم الشتاء اذ يُؤجل الى اليوم المشمس ولا تغسل الملابس في أيام الجمعة لانها ثقيلة كما يعتقدون •

تجلس أم البيت ومعها الچنه والبنت البكر في منتصف الدار قــرب البالوعة وأمام كل منهن طشت وهو اناء كبير مصنوع من الصفر المبيض مدوّر الشكل له حافة ارتفاعها حوالي نصف قدم يستعمل لغسل الملابس • ومنه احجام مختلفة •

يبدأ غسل الملابس بالبَياضات (الاقمشة البيضاء) كالثياب واللبسان والدشاديش وچراچف اللحف ووجوه المخاديد وغيرها ، وهي بعد أن تنقع فترة في الماء الحار تغسل بصابون الشــحم الذي كانت تصــنعه بعض العوائل في البيوت •

وقد تطوّر الغسيل قليلا بعد أن استخدمت معظم العوائل « الغسّالات » لقاء اجرة مقطوعة تدفع لهن اما بعد كل غَسلة ملابس أو شهرياً مع وجبـة غذاء ذلك اليوم •

وبعد غسل الملابس (فُـم) أي مرة واحدة يبدل الماء الرنق بماء جديد في الفُمْ الثاني اضافة الى استعماله في غسل ملابس أخرى وهكذا تستمر الغسالة بفرك الملابس بالصابون حتى تصبح الملابس (نظيفة مثل الورد) وتبدأ باستعمال (الچويت) وهو صبغ أزرق أجنبي ، منه قوالب مربعة الشكل ومنه (طوز ناعم) ، ولا يزال ـ الى اليوم ـ مستعملا في شطف الملابس لتلوين الاقمشة البيضاء باللون الازرق الفاتح • ثم تنشر الملابس على الحبال فوق السطح العالي بعد مسح الحبال بقطعة قماش مبللة لازالة ما علق عليها من غبار ، وقد تستعمل (القراصات الخشبية) لتكليب الملابس بالحبل منعاً لها من السقوط والتلوث بالتراب اثناء هبوب الريح •

وبعد أن تصعد أم البيت مرة أو أكثر الى السطح العالي لتقليب الملابس اتْلمها (تجمعها) وأتكوّمها (تضع بعضها فوق بعض) في احدى الغرف ، وتأخذ الابرة والخيط لخياطة (المفتوگ) منها وتقوي الدكمْ (الازرار) ثم تبدأ (بتمسيد) الملابس وذلك بعد رشها بقليل من الماء أما باليد أو بالفم حيث يخرج رذاذ من الماء يرطب قطعة الملابس المراد (كيها) ثم تشرع بتمرير يدها فوق قطعة الملابس عدة مرات لازالة التعقيج (التجعيد) قدر المستطاع ووضع قسم منها تحت الدواشك حتى تكون مقاربة للملابس المكوية بالمكواة مؤجلة خياطة چراچف اللحف الى ما بعد نوم الاطفال ليلاً .

أما كوي الملابس فهناك خشبة اسطوانية الشكل يبلغ طولها حوالي ذراع واحد يضغط بها على الملابس المراد كيها بعد بَخها الماء ويتم تحريكها الى الامام والخلف كما يُحرّك (الشيسك) عند فك خبز (الارگاك) أو عمل (خفيفيّات الكليچه) .

ثم ظهر الاوتي وهو عبارة عن علبة حديدية مغطاة وعلى غطائها يثبت المقبض أو (اليدّه) وتكون قاعدته ملساء لازالة التجعيد من الملابس . يوضع في داخله الفحم وتوقد فيه النار حتى يتحول الفحم الى جمر يجعل الاوتي حاراً عندئذ تبدأ ام البيت أو من يعاونها من البنات (بچفي) الطشت أي وضعه معكوساً ثم تغطى ظهره بجاجيم أو إزار أو بطانية تطرح فوقها قطعة قماش لتبدأ (بضرب الاوتي) أي كوي الملابس . وقد زالت معظم تلك الاعمال بدخول الغسالات والمكواة الكهربائية ومساحيق الصابون ، وبذلك سهل على المرأة البغدادية تدبير البيت وادارة شؤونه .

الغـــزل

تغزل البغـداديات صـوف الغنـم في البيـوت وفي أوقـات فراغهن بواسطة آلة بسيطة جداً مصنوعة من الخشب تسمى مُغزّل .

وبعد غسـل جزّة الغنم غسـلا جيدا تُمشَط بعد يباسها بمشـط خاص عبارة عن لوحة خشبية يبلغ طولها حوالي ٥٠سم وعرضها حوالي ٢٠سم مثبت في احـدى نهايتيها أسنان حديدية مرصوفة بثـلاثة صفوف متوازية طول كل سن حوالي ٢٠سم . تبدأ المرأة عادة بمشط جزّة الصوف عدة مرات ثم توزعه الى قطع صغيرة تسمى كل قطعة (عميتَـهْ) والفضلات المستخرجة من الجزة تُسمى گـرَدْ (الصوف المعقد) وهي تستخدم في تحشية المنادر أو مخاديد التچي .

وبعد غزل عدد من العمايت تقوم المرأة بنقل الصوف المغزول من المغزل الى آلة يدوية مصنوعة من القصب تسمى (السربس) وبعد لف الغزيل على السربس يرش بقليل من الماء ثم ينزع الغزل من السربس ويلف لفة خاصة تسمى عندئذ (وشيعة) وبعدجمع الوشايع اللازمةلحياكة عباءة الرجل تدفع الى الحائك الذي يقوم بحياكتها ثم يأخذها الى خيّاط العبي لخياطتها . وعباءة الرجل الصيفية تسمى (جـَزيه) ولونها (الاسود ـ الابيض ـ أحمر غنم) وهي نفس ألوان صوف الغنم كما ان الصوف المغزول في البيوت تحاك منه عبي النساء والمحارم لتغطية الافرشة أو الجـّواجيم التي تقوم مقام البطانيات اليوم ، وكذلك القماش الذي يفصل منه (البشت) وهو كالزبون بالضبط

ويلبسه القصاب أثناء عمله . ولكل نوع من الغزول مغزل خاص فهناك الغزل الرفيـــع ، والمتوسط والغليظ لحياكة الجواجيم . كما تبرم النساء البريسم (الحرير) بواسطة مغازل خاصة وذلك بعد فك وشايع البريسم ولفها عـلى النبوبات ثم تبرم تمهيدا لحياكة الفوط .

واذا ذهبت المرأة لزيارة صديقتها أو جارتها فلا يفارق المغزل يدها .

أما الحياكة فمنتشرة في محلات عديدة من بغداد منهـــا باب الشيخ ، والشواكة ، والكريمات ، والكاظمية ، والاعظمية .

حمامات بغداد

النظافة ركن من أركان الاسلام الخمسة وتشبثاً بها كثرت الحمامات في بغداد ومعظم مدن العراق . ومن هذه الحمامات ما يختص بالرجال وما يختص بالنساء ، وبعضها مشترك (من الساعة الثامنة صباحا حتى أذان المغرب للنساء ومن بعد أذان المغرب حتى الصباح للرجال) .

وسأحاول هنا وصف حمام بغدادي[1] يتناول اسلوب الاستحمام ، فالذي يدخل الحمام للاستحمام ، يستقبله القسم الاول ويسمى (المنزع) وهو فناء واسع صفت فيه أعداد من التخوت (جمع تخت) وفي احدى جهتيه محل للحلاق وآخر للچايچي . يحمل المستحم (البقچه جوه أُبْطّه) وتحتوي على المناشف وهي مؤلفة من ثلاث قطع واحدة يتوزر (يتأزر) بها بعد الاستحمام والثانية يضعها على كتفه لتغطية ظهره وصدره والثالثة وتكون عادة صغيرة وتسمى (إِگطيفيـّه) يلم بها رأسه ، مع الملابس الداخلية النظيفة والليفة والصابونة .

يستقبله أحد عمال الحمام (الصانع) ويقوده الى أحد التخوت الخالية ويفرش له مفرشاً على الحصيرة الخيزران فوق ذلك التخت ثم يحضر له (الوزره) وتسمى فوطه مع زوج قبقاب خشبي وبعد أن يخلع المستحم ملابسه

---

(١) راجع كتاب البغداديون اخبارهم ومجالسهم للمرحوم ابراهيم الدروبي ، ص ٣٩٨ للوقوف على أسماء ومواقع حمامات بغداد .

(ويتوزر بالوزره) ـ أي يلفها على جسمه من المحزم حتى الأسفل ـ يلف ملابسه بالمفرش ويتركها في زاوية التخت ، ومنهم من يستصحب وزرته الخاصة وقد تكون بشطمال • ويلبس بقدميه القبقاب الخشبي ويحمل بيده الليفة والصابونة ثم يودع ما عنده من أشـياء ثمينـة لدى الحَـمَـجي الذي يكون محل جلوسه بالقرب من مدخل الحمام •

يدخل من خلال باب اخرى الى فناء أصغر من الاول يسمى (مابين) أي بين بابين ، ويكون عادة في هذا المكان محل خاص مرتب على شكل غرف صغيرة لاستعمال (دُوَه الحمام) أو ما يسمى (حنه بيضه) وهو عبارةعن مزيج من النورة البيضاء والزرنيخ يستعمل لازالة الشعر (ومن أمثالهم قولهم : الصيت للنورة والفعل للزرنيخ) وفي الجهـة المقـابلة تقـع دورة الميـاه « الأبدسَ خانه أو الخلاء » •

ثم يدخل الى القسم الثـالث من الحمام وهو محل الاستحمام ويكون مظلماً نسبياً على الرغم من وجود (السمايات) وهي فتحات (مر گومه) مغطاة بالزجاج وتكون عادة في كل عرقچين سمايه • والعرقچين تسمية لعقادة سقف الحمام حيث يكون على شكل نصف دائـرة • وسميت بالعرقچين نسبة الى لباس الرأس الذي يلف البغدادي حوله چراويته وأصل الكلمة تركية من مقطعين (عرق ـ چين) أي مصّاص العرق •

هذا فضلا عن قناديل الشيرج (زيت السمسم) ذات الذبالة الراقصة والموزعة هنا وهناك لأجل اشاعة النور في ذلك المحل الذي يزداد ظلامه بكثافة بخار الماء •

في منتصف محل الاغتسال تكون عادة دگه دائريـة أو مضلّعة حارة

يجلس عليها المستحم عند دخوله الحمام حتى (يتعَرّكْ) أي يظهر العرق على جسمه وفي هذه الاثناء ينظف كعب قدمه بالحجر ، وهذه العملية تسمى (التحجير) • هناك أحواض صخرية ركبت على كل حوض حنفيتان واحدة للماء الحار والاخرى للماء البارد كما جهز كل حوض بعدد من الطاسات المعدنية يستعملها المستحم لأجل اغتراف الماء من الحوض عند الاغتسال • وتكون أرضية جميع أقسام الحمام الداخلية مُقَيّره أي مكسوة بالقير •

الدلاك : رجل امتهن حرفة تنظيف أبدان الرجال لقاء أجر معلوم ، وفي كل حمام عدد من الدلاكين ولكل منهم زبائنه (مَعاميِلَهْ) •

بعد جلوس المستحم على الدچه الحارة لفترة قصيرة يتصبب بعدها عرقاً شديداً تتناوله يد الدلاك بالدلك بادىء الأمر بيديه ثم باستعمال الكيس ، وكيس الحمام يلبس بالكف وقماشه مصنوع من الشعر والصوف •

يبدأ الدلاك أو (المدلكـچي) بتكييس جسم المستحم مبتدئاً بالذراعين ثم الصدر والظهر ثم يطلب منه الاضطجاع على ظهره لتكييس الساقين والبطن ثم يطلب منه أن ينقلب على صدره لتدليك ظهره وإليتيه جامعاً عددا من فتايل الوسخ يرميها أمام المستحم مظهرا بذلك مهارته واتقانه مهنة الدلاكه ان جاز لنا تسميتها مهنة • ثم يقود زبونه الى قرب أحد الاحواض لأجل غسل شعر رأسه بالماء والصابون وغسل جسمه بالليفه[٢] والصابون حيث يستخدم طاسه

(٢) كيس محاك من خيوط القنب وهناك من يخلط خيوط القطن مع الليف حتى يقلل من خشونته • ومنها ما يحاك من القطن وحده ، وفي كركوك تحاك الليفة من الصوف فقط ، وفي بغداد تحوك الليّف نساء محلتي الكراد والفيلية قرب باب الشيخ •

خاصة مصنوعة من الصفر المبيض لأجل عمل رغوة الصابون • وبعد أن ينتهي الدلاك من عمله يبدأ المستحم بالوضوء والسبح ثم يضرب بالطاسة على حافة الحوض محدثاً في ذلك صوتاً ، فلا تسمع بعـدئذ الا صوت « صانع » من الخارج يصيح (جا••••ك)ويسمى (المطلعچي) فيطلب منه المستحم أن يجلب له مناشفه الخاصة ان كانت معه ، أو يستعمل مناشف الحمام • وبعد خروجه الى القسم الاول والجلوس على التخت بالقرب من ملابسه يأتي صانع آخر ليبدل له المناشف التي تبللت نتيجة الماء والعرق ثم يسمع عبارة (نعيما) من الحممچي وبعض الزبائن فيرد عليهم بقوله (أنعم الله عليك أغاتي) أو أشكرك وبعد أن ينشف عرقه ويدخن سكارة يطلب استكان چاي أو دارسين ثم يبدأ بارتداء ملابسه بينما يقوم الصانع بتصفيط (طوي) المناشف وجمع الملابس الوسخة ووضعها في البقچة ثم يخرج المستحم بعد دفع ما عليه من اجور وبخشيش للصناع •

من عادات البغداديين انهـم يأكلون الفاكهة (الرمان ، النومي الحلو والبرتقال) في الحمام كما انهم يستعملون الحنه والوسمه لأجل صبغ شيب الرأس وأحسن أنواع (الحنه والوسمه) ما انتجته ايران، ومنهم من يضيف الخل للحناء حتى يثبت الصبغ ومنهم من يخلط القهوة المقلاة والمسحونة مع الحنه • ولم يقتصر استعمال الحنه والوسمه لصبغ الشيب على جنس وانما يستعمله كلا الجنسين • ولا تختلف حمامات النسـاء وطريقة الاستحمام عن حمـامات الرجـال الا في بقـاء النسـاء في الحمـام مـدة أطول يتناولن خلالها طعام الغذاء وأغلبه كما أسلفنا (الكباب) وقد تطرقت الى ما تستصحبه النساء معهن في موضوع (حمام العروس) •

الوقود : يتألف وقود كرخان[3] تلك الحمامات من فضلات الحيوانات (الروث) ويترك ذلك الوقود رمادا أسود اللون يخرجه (الوقّاد) وهو الذي يتولى اشعال النار ومراقبتها ومدها بالوقود بين فترة واخرى ومحل جمع الرماد الاسود المتراكم يسمى (الطمـّه) وهناك من يشوي الشلغم والشوندر بالطمه حيث يكون طعمها مشويا ألذ منه مسلوقا •

ينقل الرماد المتراكم بواسطة الحمير الى خارج الطمه حيث يبـــاع لاستخدامه في البناء اذ كان يخلط مع النورة أي (الجير المطفىء) كما يخلط الأسمنت مع الرمل اليوم •

صوم البنات (زكـريا)

في الاحد الاول من شهر شعبان من كل سنة تقيم بعض عوائل بغـداد أفراحاً بمناسبة « صيام البنات » أو (أول أحد ، أو زكريا) هكذا يسمونه ايفاء بنذر حققه الله لهن • ولابد من اقامة هـذه الافراح بصيام خرساني (بلا كلام ولا طعام ولا شراب) لوجه الله تعالى حيث جاء في سورة مريم من القرآن الكريم ان النبي زكريا قد طلب من الله عز وجل أن يرزقه بولـد يخلفه • فقال سبحانه وتعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم (يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا * قال ربي أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً

---

(٣) كلمة فارسـية تتألف من مقطعين (كل ـ خان) معنـاها محل الجمر والرماد وهي في اللفظ البغدادي (كرخان) •

وقد بلغت من الكبر عتيا * قال كذلك قال ربُك هو علي هين" وقد خلقتك ولم تكُ شيئا * قال ربي اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا ٠) صدق الله العظيم ٠

والتهيؤ لصيام زكريا يجري قبل مدة حيث يهيأ لكل ولد في البيت ابريق صغير من الفخار ولكل بنت تنگه صغيرة من الفخار أيضا ويخاط حول كل ابريق وتنگه قطعة قماش خفيفة يوضع في داخلها كمية من الشعير كما توضع في فم التنك والاباريق صرة صغيرة تحتوي على كمية من الشعير أيضا ويسقى ذلك الشعير يوميا أي يرش بالماء حتى (يزرَّع الشعير) وينمو ويزهو منظر الاباريق والتنك الصغيرة بالعشب الأخضر ٠

وفي مساء اليوم المذكور تنصب صينية كبيرة في محل مناسب من الدار يثبت عليها عدد من الشموع مع الآس ٠ وتكون شمعة صاحب النذر كبيرة ومن نوع شمع العسل الاصفر وتنصب في مركز الصينية كما توزع الاباريق والتنك المزروعة في الصينية وبينها أوان صغيرة يحتوي كل اناء على نوع من الانواع التالية :

لهوم ـ وهو سمسم مسحون ومخلوط بالسكر ٠

مخلط ـ وهو خليط من الحمص وحب الرقي وحب الشجر المقلى والزبيب الاسود والملبس والحامض حلو وحب الغزال ولوزينه وغيرها ، مع زَردَه وحليب وقد جاء ذكرها في (أكلات بغداد) ، مع اللبن والخضروات (كراث ورشاد وكرفس) وتسمى زرع أو خضَار ٠

وقبيل الفطور يهيأ لطالبة النذر فطور خاص ولابد لها أن تبدأ افطارها على (خبز شعير وماء بير) كما تتلى سورة مريم من القرآن الكريم وعند الافطار تتكلم برفع الشكر الى الله العلي القدير . وبعد انتهاء الفطور ترسل كمية من محتويات الصينية الى الجوارين ومن تريد طلب نذر جديد فعليها أن توقد شمعة في صينية أحد الاصدقاء فاذا تحقق نذرها وجب عليها القيام بما ذكرنا في كل أول أحد من شهر شعبان من كل سنة .

رمضان

رمضان شهر الخير والبركات ، شهر الطاعة والايمان يستقبله المسلمون في مشارق الارض ومغاربها ومعهم البغداديون وكل ابناء العراق أحسن استقبال ، ففي آخر يوم من ايام شعبان يتوافد المسلمون على الجوامع ليرقبوا ـ على منائرها وسطوحها ـ هلال شهر رمضان مرحبين بقدومه قائلين بنغم لطيف :

مرحبا بك يا شهر رمضان ، مرحباً بك يا شهر الخير والبركات .
ويستعد البغداديون استعداداً خاصاً لهذا الشهر الفضيل حيث يشترون لوازم المائدة الرمضانية كالقمرالدين[1] والرشدة واللوز والكشمش وغيرها . وتنار احواض المنائر بالقناديل التي استعاضوا عنها بالمصابيح الكهربائية اليوم .

يدور في كل محلة او في كل عدد من المحلات (الأطراف) جماعة من الناس يضربون على الدمامات في وقت السحور لايقاظ النائمين تمهيداً لصومهم . وقبل السحور ـ تطبخ ام البيت (تمن على رِشْده) وتنقع طبقات القمرالدين او شربت ماء الرارنج والسكر او شربت النكوع ثم توقظ جميع افراد العائلة حتى الصغار الذين لا تشملهم فريضة الصيام ، (وهؤلاء انما يوقظون للاستمتاع بليالي رمضان والتعوّد على تلك الصفات الحميدة منذ الصغر) .

---

(١) طبقات من المشمش المجفف يستورد غالبا من سوريا .

وقبل اذان الصباح ـ ينادي المؤذن (اشرب[٢] الماي وعَجِّلْ قبل ما يأتي الصباح) ثم يضيح (امنساك امساك يرحمكم الله) .

وليس في استطاعة احد خلال النهار أن يجاهر بالافطار حتى الشيوخ والمرضى فانهم يتمسكون بالشعائر الاسلامية ولا يعلنون افطارهم . وبعد صلاة العصر يستمعون الى (وعظ) خطيب الجامع .

وعند المغرب وقبيل الاذان ـ تنصب الصينية الكبيرة حافلة بأصناف عديدة من الطعام ومن عادة ام البيت ان تختار لكل يوم عددا من تلك الاصناف .

يصعد صغار العائلة الى السطح العالي لسماع أذان المغرب ، وبمجرد انطلاقه من المنائر يقيمون الدنيا بصياحهم تضامنا مع صغار المحلة :

يا صايمين افطروا   كشفوا النجانه واكلوا .

يبدأ (ابو البيت) وبقية افراد العائلة فطورهم اولا بأكل (فَردة تمر) وهذه سُنة مأثورة عن الرسول (ص) ، ثم الشوربة وبعدئذ يأتون على ما هو موجود في الصينية .

طبخات رمضان :

تختار أم البيت لكل يوم من ايام رمضان بعض هذه الاكلات : شوربة، تشريب ، هريسة ، كبة والغالب أن تكون كبة حلب (وقد سألت عنها في حلب فعلمت انهم يسمونها كبة بغداد ولا ادري ما سر توارد الخواطر هذا !!) ، او كبة برغل ، كبة حامض ، مخلمة ، پاچه ، عروك ،

---

(٢) الغناء العراقي لحمودي الوردي ، ص ١٥٢ .

كباب مشوي او مقلي ، تكة ، دولمة ، محلبي ، زردة وحليب ، حلاوة تمر ، مع الحلويات : بقلاوة ، ازلابية ، برمة ، قطايف ، شعر بنات .

ولبائع حلويات رمضان نداء خاص منغم يعلن فيه عن سلعته حين ينادي :

ازلابية وبقلاوة وشعر بنات ، وين أولّي وين أبات أبات بالدربونة ، أخاف من البزونة ، أبات بالمحطة ، تجي عَلَية البطة .

اما بائع الزلابية وحدها فينادي : ابعانتين أوگيّه ، بعيار البلدية ـ والدهن دهن لية ولحد يعتب عليّة .

ورمضان فاتن في لياليه ، فبعد صلاة العشاء وصلاة التراويح يذهب بعض البغادة الى المقاهي للتسلي بلعبة المحيبس [٣] أو لعبة الصينية وبعضهم يقصد اقرباءه او اصدقاءه لقضاء « التعلولة » حتى موعد تناول السحور . اما النساء فتراهن مشغولات بتهيئة وخياطة ملابس العيد وقبيل حلوله يبدأ عمل الكليچة .

اما الاولاد والصبيان فيلعبون مع اقرانهم اولاد المحلة في الدرابين مختلف الالعاب الشعبية السائدة في بغداد .

وداع رمضان :

في اليوم الاخير من شهر رمضان يقف المسلمون فوق السطوح وعلى احواض المنائر لمراقبة هلال شوال وعند رؤيته يودعون شهر رمضان قائلين الوداع يا شهر رمضان .. الوداع يا شهر الطاعة والغفران .

---

(٣) كان بودي أن أشرح لعبتي المحيبس والصينية الا ان عرضها على شاشة تلفزيون بغداد قد عرفها للجميع ، ومن هنا ارتفعت الحاجة الى الشرح .

سحور اليتيمة :

في ليلة العيد يتناول من كان صائماً اكلاً خفيفاً قبل النوم وهـــذا ما يسمى بسحور اليتيمة ٠

الفطرة :

صدقة توزع على الفقراء اما نقوداً أو حنطة او اقمشة وغيرها عن كل فرد من افراد العائلة حتى لو كان جنيناً في بطن امه أو خادما ان كان للعائلة خادم ٠٠

كليچة العيد :

يهيء ابو البيت الكمية المطلوبة من طحين الحنطة تمهيداً لعمل كليچة العيد التي لابد من عملها واغلب عوائل بغداد لا زالت على عادتها في هذا الصدد ٠ كما تهيء ام البيت مواد الحشو بعد أن تكسر الجوز وتدق اللب وتخلطه مع السكر والهيل ٠ ثم تبدأ بتفليس التمر الخستاوي (اي استخراج النوى منه) ٠ وفي موعد عمل الكليجة يضاف الى التمر المنظف كمية من الدهن المحروق ثم يعجن التمر عجنا جيدا حتى يتداخل مع الدهن ، كما تهيء الحوائج وهي مجموعة من المواد العطارية يجمعها العطار وتتألف من (حبة حلوة ، كزبرة ، حبة سودة ، كركم ، كمون) وتخلط مع الطحين قبل عجنه لتعطي الكليجة نكهة مُستَحبَّة ٠

تهيئة العجين :

توضع كمية الطحين المراد عجنه في طشت كبير مخلوطة بكميـــة مناسبة من الحوائج وملح الطعام ثم يسكب الدهن « بعد أن يُضرب داغ » ثم توضع الخميرة الكافيّة ٠ وبعد ان يُختَمر العجين يقسم الى مياسـر

(جمع مَيْسَر) وهي قطعة مستطيلة من العجين ، ثم يتعاون معظم افراد العائلة في عمل كليجة العيد وفق منهج خاص .

فك العجين :

هناك تختة خاصة مدورة الشكل سطحها أملس تسمى (تختة الكليچة) وهناك (الشَّيْبَكْ) وهو اداة خشبية اسطوانية الشكل ملساء تستعمل لفك العجين عند عمل الكليچة او خبز الاركاك وغيرهما من (شغل العجين) وتكون في نهايتي الشيبك قبضتان في نهاية كل قبضة نقشة خاصة تستعمل في زخرفة خفيفيّات الكليچة .

يؤخذ العجين ميسراً بعد آخر ويقطع الى قطع صغيرة تسمى (شُنْگَهْ) وكل شنگة تفك اولا ثم تعمل أما (خفيفية) وهي مدورة الشكل، تُطمغ عدة طمغات بنقشة الشيبك وتُدگ عدة مرات باسنان الجطلْ (الشوكة) او (سمبكساية) وهي محشاة بالجوز والشكر حيث تفك الشنگة اولا كما اسلفنا ويوضع في داخلها قليل من السكر والجوز ثم تطوى قطعة العجين المدورة وتضفر حواشيها لتكون مغلقة على ما فيها من حشو . اما النوع الثالث وهو أم التمر وتسمى (.... العبدَه) فلا سبيل الى الحصول عليه الا بعد أن تفك شنگة العجين اولا كما في عمل الخفيفيات ، ويوضع في وسطها قليل من التمر المهيأ سلفا وتطوى نهايات الخفيفية على التمر لتصبح مستطيلة الشكل تقريبا .

وهناك من البغادة من يعمل لعابات للجهال (الصغار) .

وعند اكمال شغل الكليچة تطلى وجوه جميع القطع خفيفيات كانت أم سمبگسايات بصفار البيض ثم تخبز بالتنور وتحفظ جاهزة الى ايام العيد .

عيد الفطر (عيد الزغير)

تزدحم الحمامات في ليلة العيد بعد أن يقصدها الاباء وابناؤهم وقد حلقوا رؤوسهم قبل يوم او يومين ، ثم يرتدون ملابس العرفات وهو اليوم الذي يسبق العيد (وقد جاءت هذه التسمية من وقفة الحجاج على جبل عرفات في ليلة عيد الاضحى) وفي صباح يوم العيد ينهض صغار العائلة مبكرين وامهم تعاونهم على ارتداء ملابسهم الجديدة التي كانوا قد وضعوها بالقرب من محلات منامهم وبعضهم يضعها جَوّه راسه (اي تحت الوسادة) .

اما الرجال فينهضون مبكرين أيضا للذهاب الى الجوامع لاداء صلاة العيد وزيارة المقابر وقراءة (سورة ياسين) من القرآن الكريم على ارواح موتاهم ، وتحتشد النساء في المقابر حيث يبكين عند قبور ذويهن . أما الصغار والصبيان فيذهبون الى محلات اللهو (الفِرجَة) راكبين الحمير والكدش (جمع كديش وهو البغل) ويأنسون بالمراجيح ودولاب الهواء والفرارات وغيرها ، ويأكلون لفة بيض او كبة او سميط وغير ذلك مما كان يباع في الفرجة اذ لابد من صرف عيدياتهم .

كانت في بغداد عدة محلات (للفرجة) كالتي في باب المعظم وشيخ عمر وباب الشيخ والكرادة والاعظمية وشيخ جنيد وغيرها .

دولاب الهواء :

خشبتان طويلتان في اعلاهما عارضة على جانبيها دولابان مربعا الشكل متصلان من اطرافهما بعوارض خشبية تتدلى منهما صناديق ، وفي كل

صندوق يقعد صبي او صبية ، ويدار الدولاب من فوق الى تحت فتصعد الصناديق بهم وتهبط اثناء دورانه ومنهم من يتراشق بالاحذية واليمنيات اثناء صعود الصناديق ونزولها وقد نظم المرحوم الشاعر الشعبي المله عبود الكرخي ذلك شعراً حين قال :

وچنــه بالقنــادر[١] دوم في دولاب
الهـوه بالعيد نلعب أتعس الالعـاب
تسمع على رؤس الزلم[٢] طاب وطاب [٣]
مثـل قرع الطبل حذيـان[٤] عالهامـات
هـذي الملعبـه مخصوصه بالاعيـاد
والواعيبهـا رياجيـل[٥] مـو أولاد
واحـد انا منهـم فكـم صحت الداد[٦]
من الكواليش[٧] والجزمات[٨] والكالات[٩]

الفرارة :

دولاب كبير افقي مركـوز على عمود من مركزه ، تعلق بأطرافه

---

(١) جمع قندرة وهي الحذاء .
(٢) جمع زلمة وهو الرجل .
(٣) أصوات الضرب بالاحذية .
(٤) جمع حذاء .
(٥) رجال .
(٦) صحت الداد : تستعمل بالاستغاثة .
(٧) جمع كالوش وهو ضرب من الاحذية .
(٨) جمع جزمة وهي حذاء ذو رقبة طويلة .
(٩) جمع كالة ، هي من أنواع الاحذية المعروفة في بغداد .

صناديق وتماثيل خشبية شبيهة بالخيل والظباء • يقعد الصبيان في الصندوق او يركبون التماثيل الخشبية وحين يدار الدولاب تدور بهم تلك الصناديق والتماثيل •

المرجوحة :

تقام على خشبتين طويلتين مدعومتين في اعلاهما عارضة يعلق فيها حبلان ويناط بهما صندوق شبيه بالمهد وهناك نوع آخر من المراجيح الفردية تقام بربط الحبل بين عمودين من جذع النخل ثم تطورت الى مراجيح حديدية نشاهدها اليوم في الحدائق العامة ورياض الاطفال •

وللصبيان اغنية خاصة يرددونها اثناء التمرجح مطلعها :

شوطْ شوطْ عِيدَه   لجِمّله وَزيدَه

واجفي عَليه المنخلْ   شُنخل شُنخل بالمنخُل

المعايدات :

تجري المعايدات حسب الاعمار فالصغير يعايد الأكبر ويقبل الصغار أيدي والديهم ومن معهم في البيت كالام والاخوة والاخوات والعمات ••

اما الرجال فيقبل بعضهم بعضا (وكذا النساء الصديقات) متبادلين عبارات التهنئة وهي (أيامكم سعيدة ، أسعد الله ايامكم ، كل عام وانتم بخير ، انشاالله عيد الجاي إبيّت الله ، انشاالله عريس ، انشالله عيد الجاي الولد ابحضنك) وغيرها ••

ومن عادة البغادة في أيام العيد اعطاء بعض النقود الى أولادهم واقربائهم وحتى أولاد الجيران والاصدقاء وتسمى (عِيدِيّه) ومن هؤلاء

من يصرفها بالفرجة أو يخسرها بلعبة (اللگوْ) أو (السي ورق) وبعضهم يعطيها الى أمه أو يضعها بالقوطيَّة (وتسمى قوطية التجميع) وهي علبة مغلقة من جميع جهاتها وفي واجهتها فتحة تسمح بدخول أكبر فئة نقدية ، وتصنع أما من الخشب أو التنك وهي تعوّد الاطفال منذ نعومة أظفارهم على الاقتصاد تمشيا مع القول القائل (القرش الابيض ينفع في اليوم الاسود) •

عيد الأضحى أو العيد الچبير :

وهذا لا يختلف عن عيد الفطر الا بذهاب الناس الى بيت الله لتأدية فريضة الحج ، ونحر الضحايا في صباح اليوم الأول وتوزيع لحمها على الفقراء • ومن البغادة من يُضحي لنفسه ومنهم من يضحي لعزيز لــه توفاه الله •

السِي ورَق :

لعبة معروفة ، اعتقد ان اصلها فارسي ، باعتبار (السي) لفظة فارسية معناها ثلاثة فيكون اسم اللعبـــة (الورقات الثلاث) وهي تتلخص بما يلي : يفــرش لاعب (السي ورق) قطعة قماش على الأرض وبيــده ثلاث أوراق من مجموعة الاسقمبيل (ورق لعب القمار) ، اثنتان حمراوان والثالثة سوداء ، يحركها بسرعة وخفة من اليمين الى اليسار وبالعكس مناديا (الأحمر الك والأسود الي يانصيب يانصيب) وحوله عدد من شركائه يوهمــون الناس السُذج من حمَلة العيديات ومعظمهم من الصبيان الذين لا يعرفون ماهية القمار • وبعد ان تستقر الاوراق الثلاث على قطعة القماش يضــع اللاعبون قطع النقود على ظهر الورقة التي يعتقدون بأنها هي الحمراء وهم لا يعلمون انها السوداء ، وعندئذ يحالفهم الخسار •

اللگوْ :

نوع من العاب القمار يمارس في أيام الاعياد حين تكون جيوب وجزادِينْ (محافظ النقود ، مفردها جزدان) الصبيان مملوءة بالعيديات . وتتلخص هذه اللعبة بما يلي : يفرش لاعب اللگوْ قطعة قماش او مشمع مقسمة الى ستة مربعات في كل مربع صورة احدى هذه الاشكال : (دنر ، كوپه ، ماچه ، سِنك ، تاج وانگر) وبيده قوطية (علبة) من التنك مفتوحة الفم في داخلها ثلاثة (زارات) مكعبة ومصنوعة من العاج يحمل كل وجه من وجوه هذه المكعبات نفس الاشكال المرسومة على المشمع .

يحرك اللاعب قوطيته عدة مرات ثم يقلبها على المشمع بحيث (تظل الزارات مغطاة بالقوطية وبعد أن يضع اللاعبون نقودهم فوق العلامات التي يتفاءلون بربحها .. يرفع القوطية ثم يوزع النقود على الرابحين ، ويصادر النقود الموضوعة على الاشكال التي لم تظهر اشباهها على وجوه المكعبات ومن هنا يبوء اصحابها بالخسارة وعلى سبيل المثال اذا وضع احدهم عشرة فلوس على علامة الانگر ، ووضع الثاني عشرين فلساً على اشارة الدنر وتكشفت المكعبات عن (٣) ماچه فالجميع خاسرون ، واذا رسخت المكعبات على (٣) أنگر فيلزم ابو اللگوْ بدفع ثلاثين فلسا للاعب ويصادر الباقي ، واذا أشارت المكعبات الى (٢) أنگر فانه يدفع للرابح مقدارا مضاعفا ويستولي على الباقي وهكذا .. اما نداء ابو اللگوْ فهو « الواحد بثلاثة لگو جرب نصيبك باللگوْ » .

عقائد بغدادية

الحسد (اصابة العين والتنشير) :

يخشى أهل بغداد (العين) ، فاذا قال أحدهم مثلا (كمال صايره صحته زينه) صاحت أمه أو احدى قريباته (حَيّه وَراك ـ گول ماشا الله) وعند خروج ذلك القائل رجلا كان أم امرأة من البيت ، توقد الام النار لترمي فيها الملح والحرمل ، ثم (تنشّر) لابنها بالاسلوب التالي : تمسك بيدها ورقة زرقاء من اغلفة كلالل شكر القند ثم تثقبها بدبوس او ابرة قائلة (نَشّرتْ لكِ من عين امك وابك ومن عين الگصيره الدحداحيّه والطويلة الرمّاحيّة ومن عين بنت البيت المخفيّة ومن عين فلان وفلان وفلانه) ذاكرة اسماء كل من تعتقد بخطر أعينهم على ابنها ثم ترمي تلك الورقة في النار أيضاً وتبّخر ولدها بالدخان المتصاعد .

وبين البغداديين من يعتقد بان الحجاب يمنع العين ويحفظ الولد من اصابتها ولذلك علّق أغلبهم في ملابسهم قطعة سوداء من الجلد في داخلها حجاب كتبه الشيخ ومنهم من يعلق سن الذيب او عفصة أو أم سبع عيون في ملابس الولد أو في (گاوريّة) الطفل طرداً للعين الشريرة وحفظاً لاولادهم من النفس أي (الحسد) ، وقد قالوا قديما (عين الحسود بيها عود) و (الحسود لا يسود) .

الخسوف :

مَنْ دَرَسَ المجموعة الشمسية يتذكر بان الارض حين تكون بين القمر والشمس وهو بدر تحجب عنه النور فلا يظهر للعيان فترة قصيرة واهل بغداد يعتقدون ان القمر في هذه الحالة قد ابتلعته الحوتة .

فحباً بالقمر المنير الذي تغزلوا به كثيراً وشبهوا به حسانهم حيث قالوا (اشلون وجه مثل فلعة الگُمر) يحملون صغاراً وكبار الى السطوح جميع ادوات الصفر الموجودة في البيت كالقدر والطشوت وغيرها ويبدأون بالضرب عليها وهم متجهون الى ناحية القمر منادين باعلى اصواتهم :

يا حوتــه يا منَحوته	هدي گُمرنة العــالي
هــذا گُمرنــه انريده	هـوَ علينـه غـالي
وانجـان متَهدينــهْ	أدك لــيج بصينيـه

ويستمرون هكذا حتى يظهر القمر رويداً رويداً ، بعد ان (تزوعه الحوتة) وعندئذ تنطلق الهلاهل وتقام الافراح بنجاة محبوب الجميع من فم الحوتــة .

والغريب ان الانسان اليوم في طريقه الى القمر ولا زال بعض البغادة يهددون الحوتة بالضرب على صوانيهم اذا لم تترك القمر .

عقائد وعوائد :

◆ يعتقد البغداديون ان حكة اليد اليمنى تعني ان صاحبهـا سيحصل على دراهم ، وان حكة الخد تدل على مجيء ضيف عزيز تُبادل معه القُبل على الخدود ، وان حكة الخشم (الانف) تبشر باكلة سمك ، وان حكـة الرجل اليمنى تشير الى ان احدهم ذكر صاحبها قدحا او مدحا ، وان رجفة

الكتف تدل على لباس جديد وان وجود شَعراية باللسان ينبيء بوصول صوغة (هدية) .

ومن عوائد البغداديين أيضا ، اذا سافر أحدهم فان زوجته لاتتصنع ولا تتزوّك (أي لا تتجمل ولا تحف شعر وجهها ولا تستعمل أية مادة من مواد التجميل) حتى يعود زوجها ، واذا سكنت عائلة بجوار عائلة اخرى فمن واجب الجوارين تكريم الجار الجديد بارسال (خبر) فحواه ان غداء يوم الغد سيكون من بيت فلان . وهذه من العادات اللطيفة التي تتيح الفرصة للعائلة الجديدة في ترتيب البيت وفرشه وتنظيفه ، فضلا عن ان أم البيت (تعبانة) ولا وقت لها تصرفه في طبخ الغداء (لصاحب البيت والجهال) . وهي كذلك عادة توطد اسباب التعارف الذي لابد منه بين (الجوارين) وهكذا تبقى العائلة الجديدة مدة اسبوع او اكثر والجوارين يتناوبون في ارسال صواني الغداء الحافلة بكل مالذ وطاب .

ومن عادتهم ان الابن لا يدخن السكارة بحضور والده حتى لو كان الولد متزوجا وعنده اولاد ، وكذا الاخ بالنسبة لاخيه الاكبر زيادة في الاحترام كما لا يضع (رِجِل عَلى رِجِل) اثناء الجلوس في مجلس يجمعه بمن هو أكبر منه سنا ، كما ينهض هو وجميع الحاضرين عند دخول رجل اكبر منهم سناً ، وتلك لعمري من الصفات الحميدة .

واذا وجد احدهم قطعة خبز على الارض فانه لا يطؤها بقدمه بل يلتقطها ويقبلها ثم يضعها في (زَرف الحايط) او بالقرب منه كما انهم يلتقطون من الارض كل ورقة مكتوبة ويحرقونها او يضعونها في ثقب الحائط ايضا خشية ان يكون فيها اسم الله جل جلاله .

الخيره (التطلع للمستقبل) :

هناك بين البغادة من يعتقد بقراءة فنجان القهوة ومنهم من يعتقد بالفتاح فال او عدّاد النجم أو الطَشَّه ، ومنهم من يعتقد بخيرة الدرب التي يمكن أن تتلخص بما يلي : تجلس امرأة في ليلة الجمعة مع التمجيد (قبل الاذان) في مفرق أربعة طرق بعد أن ترمي بكل طريق حجراً وتنوي قائلة (يا خيرَةَ البدَرب انطيني ما بالگلب) ثم تجلس ساكتة الى أن يمر شخصان يتحادثان فيما بينهما فتسمع تلك الحُرمة (المرأة) حديثهما وتفسره . واليكم مثلاً : اذا قال المتحدث (آني گتْلَه اُمْوافق روح واتوكل على الله) فتكون هذه الخيرة راشدة (جيدة) ولذلك تعود الى بيتها فرحة مسرورة ، واذا حصل العكس عادت جازعة يائسة .

وهناك من البنات من تتناول لفة خبز وبصل قبل النوم في ليلة السبت وتقول (يا سبت يا سَبُوت راويني بختي گبُل ما موت) فترى حلماً في تلك الليلة تقصه صباح اليوم التالي على أمها التي تصغي الى وقائع الحلم وهي تردد كلمة (خير ـ خير) ثم تفسره اذا كان في صالح ابنتها حسب اعتقادها ، واذا كان رديئاً لا يبشر بخير فانها تقول لابنتها (روحي احچيه بالطهاره) حتى يفسد ذلك الحلم .

التفاؤل والتشاؤم :

يتفاءل البغداديون باللون الابيض ويقولون في معرض الخير لاحدهم (بيضهَ بوچَّكَ حَشه اعيونَكَ) ولذلك يبيتون في الدار الجديدة ـ قبل أن يسكنوها ـ اللبن او الحليب مع القرآن الكريم وهو مفتوح على سورة (انا فتحنا لك فتحاً مبيناً) مع مرآة وخضروات وماء لاعتقادهم بانها تجلب

لهم الخير والسعادة .

ويتفاءلون برؤية الهلال في وجه محظوظ وسعيد ، أو في المرآة او الماء ليعيشوا طوال الشهر سعداء والا كان العكس .

ويتفاءلون بنحر الذبائح عند الشروع ببناء الدار الجديدة (عند دك (لگنْ) في باب الدار تسكبه العروس بقدمها (وقد ذكرت ذلك في زفة العروس) .

ويتفاءلون بنحر الذبائح عند الشروع ببناء الدار الجديدة (عند دك الأساس ، وعند وضع التكمْ تمهيداً للتسقيف وعند تثبيت باب الحوش) وعند اكماله والانتقال الى سكناه .

ويتفاءلون بدفن قطع نقود فضية في عتبة الباب عند نصبها وذلك طمعاً في الخير والرزق .

ويتفاءلون بوضع حدوة حصان قديمة أو فردة حذاء قديم او قرني كبش او راس غزال أو لعّابة من القماش محشوة بالحرمل وعليها أم سبع عيون ... فوق مدخل الدار من الخارج لطرد عين الحسود .

واذا اعتزم احدهم القيام بعمل ما (وعَطَسَ) احد بقربه عطسة واحدة يتريث في عمله قائلا (صَبُر) أي عليه أنْ يصبر ويؤجل تنفيذ ما قرر واذا عطس عطستين متتاليتين فانه يقول (رَاشدة) وينفذ ما عزم عليه .

واذا رفت العين اليمنى فانهم (رجالا ونساء) يتشاءمون من ذلك ويفسرون تلك الرفّة بالبكاء اما اذا رفت العين اليسرى كان ذلك دليل الخير والتفاؤل الحسن . ومن النساء من تضرب العين اذا رفت بالنعل الذي تنتعله

قائلة (يا عين اذا خير رفي واذا شر عفي) •

والبغادة لا يكنسون الدار ليلاً ، كي لا تطير البركة ويكنس الخير ولا يذكرون اسم البيضة ليلاً ولا يدخلونها الدار ، واذا اجبروا على ذكرها سمّوها (دحرجّة) باعتبار ان البيض يقدم لعائلة المتوفى بعد اخراج الجنازة (كفكوك ريك) لذا تشاءموا منها ليلاً وهم أيضاً لا يدخلون في بيوتهم الخيط الابيض أو القطن ليلاً لنفس العلة التي قهرتهم على التشاؤم من البيض ولا يلفظون كلمة (حيّة) ليلاً ، واذا اجبروا على ذلك قالوا (الحبل) أو (الطويلة) لانهم يعتقدون ان مجرد ذكرها يسبب دخولها في البيت ، وتعرضهم الى أذاها • ولا يفصلون القماش الأسود ليلاً ، دفعاً للحزن ، ولنفس السبب لا يستعيرون القدور في الليل •

ولا يتركون المقص مفتوحاً ـ (كي لا تنفكّ حلوك الدنيه عليهم) ولا يقلمون أظافرهم الا في يوم الجمعة (شرط ان يجمعوا قلاماتها) ويرموها في (سِنّارة الباب) حفظاً للرزق •

ولا يخيطون ملابسهم ليلاً اذا كان لهم فقيد لم تمض على وفاته سنة لاعتقادهم بان وخز الابرة في القماش يؤذيه •

ويتشاءمون من صوت البوم ، واذا سمعوه قالوا « سچين وملح » لاعتقادهم بأن السكين والملح يبعدان البومَة •

ويتشاءمون من نعيق الغراب ، واذا سمعوه قالوا (خير ، خير) ، ومن اللون الأسود ، فهم يقولون عند الدعاء بالسوء لمن آذاهم (سودَه بوچّك انشالله) أو (ظلمة ابعينك) •• ولكنهم يلبسون الملابس السوداء شعاراً للحزن •

ويتشاءمون من وجود (العزيزه) في اللحم ، ولذلك يخرجونها ويرمونها بعيداً عن البيت لانهم يعتقدون بان وجودها يؤدي الى (خبثان خاطر) وشجار بين أفراد العائلة، كما ان القصاب عند اخراجه العزيزه من اللحم يضربها بالسكين حتى يبطل مفعولها الخبيث . واذا حصل سوء تفاهم في بيت ما فان جارتهم تسائلهم (اشصار عدكم قابل ذابين ابيتكم عزيزه) . والعزيزه عظم في مفصل رجل الحروف (في الفخذ) يقارب حجمها حجم الدرهم اليوم ، وقد يرسم بعضهم عليها وجهاً بشرياً ، ويضع في عينيه الكحل وفي وجنتيه الحمرة ، ويعصبه بعصابة (أي يشد رأسه) ثم يدفن هذه العزيزة المصورة بالقرب من باب البيت نكاية باهله ، وتحفيزاً لهم على الخصام فيما بينهم ، وقد نظم الشاعر الشعبي المعروف الملا عبود الكرخي ذلك شعراً بقوله :

ابعتبة حوش (العزيزه) يدفنوها

يكحلوها يسبدجوها يحمروها

ويعصبوها وينقشوها ويلكچوها

بذاك الحوش حتى تكثر العركات

ملامح من الموروث اللهجوي

التصغير : من عادة أهل بغداد تصغير الاسماء للتحبيب والتحبب وسأورد هنا طائفة من تصغير بعض اسمائهم على سبيل المثال وقبل ان أبدأ باسماء الاشخاص أشير الى أسماء افراد العائلة البغدادية وهي :

الأب ـ يابَّه أو ياب ، الأم ـ يوم أو يُمَّه ، الأخ ـ خويه أو داد ، الاخت ـ خَيّه أو داده ، الجد ـ جدو ، الجدة ـ بي‌بي ، العم ـ عمو ، الخال ـ خالو ، المرضعة أو المربية ـ دايَه ، والصغير ـ ازغَيرُون • ومن الامثلة الغنائية (يا زغيرون حاچيني) أو (ربيتك ازغيرون حسن) • أما الاسماء فهذه نماذج من تصغيرها :

محمد ـ حمودي ، عبدالكريم ـ كرومي أو كريّم ، عبدالعزيز ـ عَزوّْ أو عزاوي ، نجيب ـ نجوبي ، عبدالغني ـ غَنّو أو غَنَّـاوي ، عبدالامير ـ أموري ، عبدالستار ـ ستوري ، فاطمة ـ فَطُومَّة أو فَطم ، خديجة ـ خجَّة أو خجاوي ، زكية زكّوْ وغيرها ••

الالوان : المعروف ان الألوان الاصلية هي ألوان (القوس قزح) أو كما يسميه البغاده (قُوزي قَدَح) وللبغداديين ألوان خاصة سأعددها هنا حفظاً من ضياعها بعد أن قل استعمال معظمها :

نَاجْ وَردي ، نَامَرد ، نُومَائي ، گُلْ گُلي ، صدر الحمام ، زنجاري، چويتي، عُودي ، قيس رَنگي ، بَصَلي ، قحوائي ، فستقي ، ناري ، كَمُوني ، گُلْ قُرصي ، ذهبي ، فضي ، شَذري ، بيجي ، ليل

داوي (اسود) ، ماوي على رَنك السمه ، كما يستعملون كلمة طــوخ للغامق وآچغ للخفيف .

التشبيه : يكثر سكان بغداد أو معظم سكان المدن العراقيـة مـن التشبيهات وفيما يلي طائفة مما شاع منها في بغداد مؤكداً فيها على أدوات التشبيه : (مثل ، عبالك ، چَنّه أي كأنه)

يبچي مثل المَرَه

وچّه أصفر مثل النومية أو مثل الكُركُم

واكُفْ مثل شَمعة الفكُرْ أو واكُف مثل السَبع

شَعْرَه أصفر مثل الگَلَبْدُون أو مثل الذهب

يرجف مثل السعفة

بارد مثل الثلج

خَبْصَه عبالك حمّام نسوان

گاعد عبالك صَنَمْ

طويلَه عبالك عِيطَهْ

رِجلَه جايفه عبالك باب گَبُر (قبر)

ضعيف چَنَّه قوزي

وجه امكَرمش چَنه گشر رگي

وهناك تشبيهات اخرى حذفت منها اداة التشبيه وتكررت فيها الصفة او اعتمدت على الاستعارة من أمثلتها :

شفتَهْ شفة العَبيد اوخَشمَه خَشم العبيد

وچّــه وچ الطُرُحْ

ايخاف خوفة الحيّـه

عيونَه عيون السـعْلوَّه

مر علقم ، حلوّه شكَر ، أحمر دَم

شَعره فَحم ، شَعْرَه ذهب ، ريحتَه وَرِدْ

گاعِدْ گعدَة ملوك

الباعة المتجولون

(الدوّارين)

يطلق البغداديون اسم الدوّار على البائع او المشتري المتجول وهو ينادي بأعلى صوته وبانغام خاصة معلناً عما يبيع أو يشتري من بضاعة • ومنهم :

بياع الحطب :

نظراً لاستعمال الحطب كمادة رئيسية في الطبخ فقد كثر بائعو الحطب في الطرق والعگود (جمع عگدْ) • وبائع الحطب حين يحمل على ظهره مجموعة من الاخشاب ينادي : حَطَبْ الجَزِلْ حَطب ، يارماچه قاو ، حطب طَرفَهْ حَطَب وقد اتخذ هؤلاء الباعة لهم مخازن كثيرة لبيع جميع أنواع الاخشاب وتسمى سكَلاّت (جمع سكلّه) • ومن امثالهم (رجال اليعَبي بالسِكَلّه رگي) وتكثر السكلات في محلة السور ، وفي شارع الشيخ معروف بالكرخ •

كسار خشب :

قسم كبير من البغداديين يچَيلُون كل مادة يحتاجها البيت حتى انهم يشترون (پرَشْقَهْ) خشب من البساتين (والپرَشقَه عربة يجرها حصانان بدَنها من الخشب ودواليبها من الحديد او الحديد والخشب ، مصنوعة محلياً وتستعمل للنقل محدثة صوتاً مزعجاً عند سيرها) وتلك

الاخشاب عبارة عن جذوع النخل أو سيقان التوت وبقية أنواع الاشجار ومن هنا لابد من تكسيرها لتكون سهلة النقل ، سريعة الجفاف تمهيداً لاستخدامها في المواقد عند الطبخ .

ولكسّار الخشب المتجول رزق وفير . وعِدّته المستعملة في التكسير تتألف من المسامير الحديدية الكبيرة مع چاكوچ (مطرقة) حديدي وطُبَرْ . ومعظم الكسّارين من اخواننا الاكراد وهم ينادون اثناء تجوالهم معلنين عن قدومهم بصوت عال « كسّار خَشَبْ كسّار » .

مبيض القدور : جميع الادوات المستعملة في البيوت البغدادية بل العراقية كلها كانت مصنوعة من الصفر (النحاس) ، وهي تباع حتى يومنا هذا في سوق الصفارين الذي لا يزال قائماً ، يصنع فيه الصفارون جميع الادوات بأيديهم ، ولذلك اصبحت دكاكينهم (معامل ومعارض) في آن واحد . وان المتجول في سوق الصفارين لا يسمع الا أصوات الطرق التي تصُم الآذان . وضرب البغداديون فيه مثلاً حين قالوا « ضرطَهْ وتايهَهْ بسوُك الصفافير »[1] والنحاس لا يصلح للاستعمال بدون طِلاء نتيجة لتراكم الصدأ عليه بسرعة (وهذا الصدأ أو كما يسميه البغادة الزنجَار يؤدي الى تسمم الاطعمة) وعملية طلاء الادوات النحاسية تسمى (بياض) وهناك محلات خاصة للقيام بهذه العملية ، التي تعتمد على استعمال القَلاى (يلفظ اللام مفخماً) والنشاذر[2] .

---

(١) يجمع أهل بغداد (فعال) كعطار على (فعاعيل) خلافا للقياس فيقولون في جمع عطار عطاطير ، وفي جمع صفار ونجار صفافير ، ونجاجير .
(٢) اسمه العلمي ملح النشاذر .

ويدور المبيّض يومياً في الطرقات والازقة وهو ينـــادي : « مبيّض اجْدُور مبيّض » . ويأخذ الادوات من أم البيت التي تثق فيه كل الثقة ، وبعد أن يعيدها مطلية نظيفة يستلم منها **اجوره** ■

بائع النفط (أبو النفط) : قبل شيوع الكهرباء كانت انارة البيوت بواسطة الفوانيس أو اللمپات أو الآويزات أو اللالات أو نفطيات وكلهـــا تستمد نورها من النفط ، ونظراً لحاجة جميع البيوت الى هذه المادة السائلة يومياً كثر باعة النفط المتجولون . ويدفع البائع أمامه عربة خشبية فيهـــا عدد من صفائح النفط منادياً بأعلى صوته « نفط أبيض نفط » . وكانت لديه ماكنة من التنك (ماصّة كابسة) يدخلها في داخل تنكة النفط وتكون (اليده والبلبوله أو المزمبله) خارج التنكه ، وهو يحرك اليّده الى الاعلى والاسفل محدثاً صريراً مزعجاً يتدفق معه النفط من البلبولة (الحنفية) الى البُطُل (القنينة) (والبُطُل هو الوحدة القياسية المستعملة في بيع النفط)

ابو ايسكي (أبو بيع) : يهودي متجول يحمل كيساً على ظهره ، يقوم بشراء الملابس القديمة من البيوت بثمن بخس بعد أن ينادي بلهجـــة يهودية (العندو عَتيق للبيع) .

الدلاّلة : امرأة يهوديّة تحمل معها بُقچَه فيها أطوال الاقمشة (جمع طُول) ، تدخل البيوت لتبيع للنساء ما يحتجن اليه من أقمشة أو مصوغات أو جوّاتي أو بويمات أو جواريب وغيرها ، اذ قلما تخــرج البغدادية الى السوق .. ومن هنا كان ربح الدلالات وفيراً ، ومنهن (ريمه أم يوسف) التي شاهدناها تدور في محلات بغداد كالمهدية وست نفيســة والفضل وحمام المالح والسيد **عبدالله والقراغول** ■

أبو الملح : اذا سمع المرء أولاد المحلة يصيحون « ابو حلك الجايف موجايف » فمعنى ذلك ان بائع الملح (البدوي) قد وصل المحلة ، اذ كان البدو يبيعون الملح متجولين في الأزقة وهم يقودون الجمال وعلى ظهورها أكياس الملح منادين على بضاعتهم « ملح ، ملح » ، ويأنس الاطفال عند مشاهدة البعير ويسمونه كما أسلفنا (ابو حلك الجايف) .

خياط فرفوري (فخفوري)[٣] **:** من مظاهر الاعتزاز بالشيء والاقتصاد بالنفقات البيتية احتفاظ البغادة بقطع المواعين الخزفية المكسورة لحين مرور خياط فرفوري . وحين تسمع أم البيت نداءه (خيّاط فرفوري) تخرج له ما عندها من مواعين وكاسات مكسورة وبعد ان يتفقا على سعر التصليح يجلس في باب الدار ليصلح الادوات الخزفية ويعيدها صالحة للاستعمال لقاء اجر ضئيل .

چرّاخ سچاچين : المألوف في بغداد ان كل چراخ ازبگي الجنسية (وللازبك مقر تقليدي في جامع الازبگ الكائن في باب المعظم بين قاعة الشعب ووزارة الدفاع اليوم) .

يحمل چراخ السكاكين على ظهره دولاباً من الخشب ركّب عليه قرص من حجر المَسَنْ (وهو مصنوع من مادة كيمياوية تسمى الكُوربراندم) يدور بواسطة قَايشْ من الجلد خلال حركة الدولاب الكبير الخشبي عندما يضغط الچراخ على خشبة صغيرة باحدى قدَميه .

---

(٣) هو الخزف الصيني ، وتنظر الكلمة الى (فغبور) ذات الاصل الصيني ، وتتألف من مقطعين (فغ ـ بمعنى سماء) و (بور ـ بمعنى ابن) .. وابن السماء ـ كما هو معروف ـ من أسماء ملوكهم .

يضع السكين على القرص الحجري من الجهة القاطعة فيتطَاير الشرر نتيجة احتكاك السكين بالقرص الحجري الدوّار وبذلك تصبح السكين بتّارة • وينادي الچراخ حين يعلن قدومه بصوت عال (چرّاخ سچاچين چرّاخ) •

النزّاحْ (الچِّشمهچي) :

شخص مختص بتنظيف المراحيض والبلاليع (جمع بالوعه أو بلّوعهْ) وهي حفر تتجمّع فيها المياه القذرة •

والنزاح رجل تلكيفي (نسبة الى قرية تلكيف الواقعة في شمال مدينة الموصل) ، ويسميه أهل بغداد (تِركيفي) يدور في الطرقات حاملاً بيده جريدة (وهي سعفة نخل جرّد عنها الخوص) يقيس بها عمق الحفرة المراد تنظيفها •

واذا أراد البغادة أن يذموا شخصاً غير مرغوب فيه قالوا (مثل عُودة الچشمهچي منين ما تلزمها تتلوّخ) • وليس لهذا الرجل نداء سوى (نزاح – نزاح) ، وهو بعد أن يتَعامَل مع أهل البيت (يقطع السعر) يذهب في طلب جماعته الذين ينتظرونه في محل يتفقون عليه ، وحين يجتمعون يتعاونون على فتح منفذ المراحيض ويكون غالباً في خارج الدار ويبدأ أحدهم بانزال دلو الى قرارة المخزن وعند امتلائه يفرغ ما فيه في صلَخْ (أي ظَرفْ) وهو جلد الخروف بعد نزع الصوف عنه • وحين تتكاثر الصُلُوخ الملأى ترسل على ظهور الحمير الى المحل المعد للتفريغ ، وغالباً يتفق أصحاب البساتين مع النزازيح طالبين منهم تفريغ ظروفهم في سواقي بساتينهم في موسم تسميد الاشجار • ولأهل بغداد مثل

يتعلق بالظروف (فقد استعملوا جلود الاغنام لحفظ الدهن وأطلقوا عليها اسم « عُكّهْ » ، ومنهم من يحفظ فيها العسل) فقالوا (الظرف يَنْضَح ما فيه) ومعناه (وكل اناء بالذي فيه ينضَحُ) • وبعد سحب جميع المياه القذرة ينزل أحدهم الى تلك الحفرة (وتسمى تنوُرة) عارياً تماماً بعد أن ينثر على جسمه الرَماد ، ثم تدلى له سلة صغيرة في داخلها قليل من رماد بعرور الغنم المتخلف بعد (شَجرْ التَنور) وهناك في القعر يجمع بيديه رواسب الاوساخ كتلاً ككتل الطين ، وهي ما تعرف في بغداد باسم (سيان) ، ثم يضعها في تلك السلة التي تُسحب بواسطة حبل الى أعلى وتفرّغ بالسابَل (وهو محفظة كبيرة تحاك من خوص السعف) ويوضع على ظهر الزُمال ليحمله الى حيث يُفرّغ في المحل المعد لتفريغ الاوساخ • وبعد ذلك يخرج مَنْ نزَل الى التنورة ويفرك قذارة جسمه بالرماد ثم يرتدي ملابسه ، وفي موسم الصيف يغتسل في الشط مجاناً أما في موسم الشتاء فموضوع اغتساله يومياً مسألة فيها نظر • ومع الأيام ، استعمل النزاحون بأمر من الحكومة الأحواض المغطاة بدلاً من (الصلُوخ) ثم طوّروا (شغلتهم) بحيث أصبحوا يستعملون الآن السيارات (الماصّة الكابسة) لسحب القاذورات مستغنين بها عن (الدلو) وغيره من الآلات البدائية • وقد شرعت الحكومة في الوقت الحاضر بمد مجاري المياه القذرة تحت الأرض ، وعند الانتهاء منها ستزول حتى سيارات التنظيف •

ابو الفرارات

بائع تتكيء على كتفيه عصا طويلة ربط في نهايتها كمية من أعواد الحَلْفَهْ وركز بها مجموعة من الفرارات الورقية المصنوعة من ورق

(الآبرو) الملون والمثبتة على عويد رفيع من جريد النخل ، وبيده الوغواغـهْ يحركها دائرياً لتحدث صوتاً غليظاً خلال ندائه على بضاعته بقوله :

شَنْدَل مَنْدَل فرارات   شغل الحجي فرارَاتْ

بائع بيض اللگلگ :

يحمل بضاعته في سلة مخروطية • وبيض اللقلق ، عبارة عن قطع صغيرة من حلوى ملونة الشكل مصنوعة من روح الشكر (السكرين) بطريقة خاصة تجعلها سريعة الذوبان في الفم • وهو ينادي على هذه الحلوى بنغم لطيف بصوت عال :

اللگلگ عَلـّهْ وطار   وكَرّْ إبَيت المختار

شَاف الحلْوه تتبخترْ   والشعر منثور أصفر

فترى الاطفال خلفه يركضون وبيد كل منهم كمية من ذلك المأكول الفاتن •

أم الگيمر (بائعة القشطة) :

تدور في المحلات في الصباح الباكر حاملة على راسها ماعون الگيمر وهو مغطى بقطعة قماش حال لونه من كثرة ما تراكم عليه من غبار • وتبيع هذه المرأة بضاعتها بالميزان وعيارها ربع اسطنبول وأجزاؤه ، مستعملة ابرة الخياطة في تقطيع القيمر وقد اعتادت أن تمنح المشتري قليلاً من الحليب تضعه فوق القيمر ، وهي تنادي معلنة عن قدومها بقولها (گيمر يو ••) •

بائع الثلج :

كان الثلج يباع في بغداد بالميزان[٤] ، وكان باعته يحفظونه في داخل التبن (علف الحيوانات) خشية ذوبانه ، ثم أصبح يباع بالقالب وأقسامه (ربع قالب ، ونصف قالب) بعد أن نصبت في كل محلة منضدة صغيرة يضع عليها البائع قالب ثلج وبيده منشار يقسمه به تمهيداً لبيعه على المشترين وهو ينادي « وَغَرْ رَهْ الدِنيه يا ثلج ، بَرّد گلبَكَ بالثلج » .

ابو الدوندرمة :

كان هذا البائع يحمل قُوطيّة الدوندرمه وسطلة الأواني والقواشيغ على رمح طرفه الامامي فوق كتفه ، والطرف الآخر فوق كتف صانعه . وبمرور السنين استخدم هذا البائع في ترويج ما يبيعه عربة خشبية ذات ثلاثة دواليب حديدية يدفعها أمامه وقد وضع فيها علبتين من علب الدوندرمة داخل براميل ومحاطة بقطع من الثلج فوقها كمية من ملح الطعام مغطاة بگونية حتى لايمُوعْ (يذوب) الثلج . وغالباً تشتمل احدى هذه العلب على الحليب والكَثيرَه والسكر ، والعلبة الثانية ، أزبري أو برتقال . أما نداء البائع فهو : قَيماغلي دوندرمه ـ أزبري بو...ز[٥] .

وأخيراً تطور بيع الدوندرمة فأصبحت تباع في الصالونات والمحلات المنظمة المريحة .

أبو النامليت :

النامليت نوع من المرطبات السائلة التي تحفظ بقناني تُسدّ بواسطة

---

(٤) راجع كتاب بغداد القديمة لعبدلكريم العلاف ص ٣٧ .

(٥) بوز كلمة تركية بمعنى ثلج .

دُعبُلّهْ (وهي كرة زجاجية صغيرة) • وللناملبت ألوان مختلفة منها الاحمر والاخضر والبرتقالي • يضع البائع عدداً من تلك القناني في حوض مصنوع من الچينكو وعليها قطع من الثلج يغطيها بگونيه ، ويحمل ذلك الحوض في عربة خشبية يدفعها أمامه كبائع الدوندرمة وهو ينادي (ناملبت بارد ، ايخَلّي العجوز اِتطَار دِ ْ) ، وأخيراً اختفى الناملبت أمام المرطبات الحديثة الوافدة •

أم الشاميّة :

امرأة غالباً تكون عجوزاً تحمل الاذرة المقّلاة بزنبيل كبير أبو العروَتين ، متخذة من قشرة نصف جُوزَة هند چيلَهْ لها ، وهي تنادي عند مرورها في الطرق (شَاميّه اذرة الشام) • وكانت الشامية تباع حارة في بيوت اليهود المتناثرة في سوق حنون •

بائع الطرشي :

رجل يحمل على رأسه انجانه طين مطلية بالقاشان الأخضر ، فيها طرشي شلغم ذو اللون الاحمر الشهي وهو مغطى بقطعة قماش • ويباع الطرشي بكاسات صغيرة من نوع النجانَة بعد تقطيعه بسكين صغيرة يحملها البائع معه • وهو ينادي (طرشي شلغم ، خيار حامض ، للدوخَهْ دُوه حامض) •

أبيض وبيض :

بائع متجول يدفع امامه عربانة خشبية لبيع لفّات البيض ، وكل لفة تحتوي على بيضة مسلوقة واحدة يقطعها عدة قطع في وسط رغيف من

الخبز ، وعلى قليل من الخضرة (كراث ، رشاد) ثم يلف رغيف الخبز على محتواه بشكل اسطواني • ويباح للمشتري ان يأكل ما يشاء من أنواع الطرشي المعروضة أمامه في صدر العربة بأواني أو انجانات طين مطلية بالقاشان الاخضر •

أبو اللبلبي :

واللبلبي حمص مسلوق ، يورثه الكركم لونا اصفر • ومن نداءات بائعه : (مالح وطيّب لبلبي) أو :

يا لبلبي يا لبْلُوبْ ابعَانه تَرس الجيوب

ويباع اللبلبي للاطفال ب (چيلهْ) خاصة ، ويضعه المشتري في جيب دِشداشتَه ، أو يقدمه له البائع في كاسة صغيرة ليأكله وهو واقف بالقرب منه حتى يعيد الكاسة اليه •

وهناك بائع آخر يحمل على رأسه برميل عمبه صغير وبيده علاّقة تحتوي على صمون وطماطة وهو ينادي (صمون وعمبه) • وهذا الرجل يبيع الصمونة بعد فتحها من احدى جهتيها بالسكين ثم يَثرُم قليلاً من الطماطة في داخلها ويضع بعد ذلك قطعا صغيرة من لب العمبة الهندية وقليلا من مائها الذي يسمى « طُلُخ » اِذا كان ثَخَيناً •

بائع الكبَرْ :

والكبر نوع من الزرع يعتبر من فصيلة المخللات ، وبائعه يحمل على رأسه اناء فيه كمية منه وهو ينادي بنغم لطيف وصوت عال :

(أكلَكْ منَافع يا كبر ، كُلَّكْ منافع يا كبرْ ، يُكتلِ الدودْ ،

ايمتّن الزنودْ ، اِيحمَرُ الخدودْ ويكبّر النهودْ يا كُبر ، بعَدْه ازغيّر ما كُبر) •

بائع الخضروات :

يحمل على رأسه سلّة كبيرة تحتوي على أنواع الخُضْرة الطرية وهو ينادي : كراثْ ورشّادِ تازَه الكرفس •

ولباعة الفواكه والمخضرات في بغداد تَسميات خاصة وتشبيهات لطيفة ونداءات يطلقونها بانغام بديعة ، وهذا بعض مما جمعَته ، للتفاح الابيض : أبيض يا عجمي ، مقصور يا عجمي ، هَبْ الهَوه ورماك ، لو ما الهوهْ ما چان جبناك ، أبيض يا عجمي ، الصاغْ نكّدْ ، والنكّدْ عدَمْ ، ابيض يا عجمي •

وللخوخ : إمْحَنَّه يا خوخ ، مسكي يا خوخ ، لَسْمر چِتلْنه ، أو بيك امتحنّه ، وعفنه أهلنَّه ، امحنَّه يا خوخ •

وللخيار : اِشماطَه يا خيار ، نبع يا خيار ، خيار الشواطي نَبعْ ، بَعده بالوردَه نَبعْ •

وللتين : وزيري يا تين ، لاوي يا تين •

وللتكي : عنب بارد

وللتكي الاحمر : تكي الشام يا شربت

وللمشمش : حموي ـ حموي

وللرمان : رمان مَندلي يا حَلوْ

وللعنجاص : حاج احمد العنجاص

وللرقي : أحمر وحلو ـ شَرط السچّين

ومنهم من ينادي : مَذبَح غزال وطعمك نبَات ، چارك ابقَمـَري يا ركي

وللعنب الاسود : أسود ليل ـ وحبَّك هيل ، أو من اِتبات أصيح الوَيل يا عنب .

وللخس : لهاّنه يا خس ، أبو الطوبه يا خس

وللفجل : چاووش العَشه يا فجل

وللتمر الزهدي : بيض الحَمَام يا بيدْرايه

وللجوز : كاغداني يا جوز ، هَوْرَماني يا جوز .

وهناك نداءات خاصة لبائعي مأكولات الاطفال منها عمبر ورد يا ورد ، لذه ولذيذه ، چقچه قدر يا معجون ، مال الجبل يا زعرور ، كسّاح الخير يا زعرور .. وغيرها من نداءات الباعة المختلفة الخاصة ببعض الفاكهة غير الناضجة والحلويات وسواها . وقد وجدت بين مخطوطات المرحوم خالي عبدالستار القرغولي في خزانة كتبه العامرة ارجوزة لطيفة يداعب فيها صديقه الاستاذ علاءالدين الريّس وهي تتضمن معظم المواد التي يبيعها الباعة المتجولون في محلاّت بغداد وفي مواسمها حيث يقبل عليها الاطفال والصبيان اقبالاً شديداً ويصرفون يوميّاتهم على شراء ما يعجبهم منها ، وقد وجدت من المناسب تثبيتها في هذا الموضوع لأنها بغدادية أصيلة .

أبا عفيف يا علاء الدين
يا ابن الرئيس الأصيد الميمون
ما راقني الطُوش[٦] ولا الچقّال[٧]
مذ كنت طفلاً لا ولا السبّال[٨]
كلا ولا الگوْجَة والزعرور
والنبق والصمّاق والعنجور
وما تمطقت بقمر[٩] الدين
حتى النگوُع[١٠] لم يكن يغريني
ولا اشتريت من مجيد گرْگَرِي[١١]
ولا اشتريتُ لبلبي[١٢] في قَمرَي
والجوز والنرمَّه[١٣] ثم السَسي
والحب والفندق يؤذي ضرسي
وعنبر الوريد والعمبرلي
لم أك اهواه ولا البادملي

---

(٦) البلح غير الناضج .
(٧) المشمش غير الناضج .
(٨) فستق العبيد .
(٩) عصير المشمش المضغوط المجفف .
(١٠) النگوع : المشمش المجفف مع نواه .
(١١) أقراص كبيرة معمولة من السكر والنشا .
(١٢) الحمص المسلوق .
(١٣) نوع من الحبة الخضراء .

باسورك[١٤] البصرة صنو القيسي[١٥]
لم اعن شخصاً قد دعوه القيسي

إن شئت عددت زهاء ميّه
أصابع العروس سمسميّه[١٦]

جميعها ممقوتة لديا
لم اك أهواها وحق ريّا[١٧]

بل لذتي القصوى لدى الحريري[١٨]
تبعث فيّ نشوة السرور

اليك منها أكلة لذيذة
لا تشبه الچقچق[١٩] واللذيذه[٢٠]

فانها تعيد لي عهد الصغر
وان اكن اصبحت مبيضّ الشعر

ولا تخل باننا رجال
فكلنا يا صاحبي أطفال

---

(١٤) نوع من النقل يعالج بالتنقيع بماء الملح حتى تزول مرارته .
(١٥) نواة المشمش تنقع بالماء والملح مدة من الزمن لتزول مرارتها .
(١٦) حلوى على شكل اصابع تصنع من السكر والسمسم .
(١٧) اسم ابنة الاستاذ علاء الدين الريس .
(١٨) نوع من الحلويات .
(١٩) حلوى قوامها الدبس والجوز .
(٢٠) حلوى تصنع من الدبس والسمسم .

الكتاتيب

لم يغفل البغداديون ناحيـة التعليم والتهذيب وعلى الرغم من ندرة المدارس عمدوا الى ارسال اولادهم في سن مبكرة الى (المُلّه) أو ما يسمى (اللاله) ليعلمهم القراءة والكتابة وختمة القرآن الكريم •

يتقاضى (المُلّه) اجرة شهرية عن كل طالب ، وهو يتخذ مجلسه في ركن من أركان احد الجوامع أو المساجد أو الحسينيات أو في غرفة من غرف بيته حيث يجلس الطـلاب على الارض المفروشـة بالحصـران الجوازري (باريات) المحاكة من القصب أو بنوع آخر من الحصر المحاكة من خوص سعف النخيل •

يبدأ بتدريس الأولاد الذين يدعون بـ (الصنّاع) ، وبعد أن يجمعهم صباحا من بيوتهم واحداً واحداً يسوقهم أمامه الى مجلسه • ويتخذ من اكبر الطلاب سناً واذكاهم مساعداً له ويسمى (خَلْفَه) ، ومن الملالي من له عدد من الخلفات يعاونونه في مراجعة دروس الصنّاع لاسيما الجدد منهم ، وفي المحافظة على الهدوء •

وللمله اسلوب خاص في التدريس ، فهو يبـدأ بتَهَجي الحروف والطلاب يرددونها بعده بصوت عال وهم يحركون جذوعهم الى الامام والى الخلف فتكون « تهجئه الحمد لله » كما يلي :

أليف لام زَبَر أَلْ ، حَ ميم زَبر حَمْ ـ الحَمْ ، دال پيش دو ـ

الحمدُ ، ل لام زَلل ـ لام اليف لا ـ للاّ ، هـَ زِير هي ـ للهِ [١] •

وللمله صلاحيات واسعة في تأديب الطلاب واجبارهم على حفظ دروسهم وتأدية واجباتهم البيتية والمحافظة على الهدوء والتزام السكينة في أثناء الدوام الذي يبدأ منذ الصباح الباكر حتى أذان العصر عدا يوم الخميس حيث ينتهي ظهراً • وتكون عطلتهم يوم الجمعة من كل أسبوع •

وتختلف عقوبات المله باختلاف الذنب الذي يرتكبه الطالب ، ومن هذه العقوبات فرض الغرامة النقديّة ، أو الوقوف على رجل واحدة ولمدد مختلفة أيضاً ، أو كنس غرفة الدراسة ، أو فرض وقت اضافي لجر المروحة المنصوبة فوق رأس المله صيفاً (وهي مروحة بدائية مصنوعة من الخشب والجنفاص تُحرَك بسحب الحبل المربوط في وسطها وارخائه محدثة بذلك صريراً يصم الآذان • ولتخفيف هذا الصرير يوضع الشحم بين الاقسام المحتكة ببعضها) •

أما اقسى العقوبات فهي الفَلَقَة وويل لمن كانت قدماه الحافيتان مربوطتين بالفَلَقَة والمله يهوى عليها « بالخَيزَرَانه » والخلفه يضبط بصوت عال عدد الضربات حتى بلوغها النصاب المطلوب ، والمحكوم بهذه العقوبة يصيح ويبكي من شدة الألم ، وجميع الصنّاع ساكتون خائفون • والفلقة عبارة عن عصا غليظة ثقبت نهايتاها وربط فيهما حبل من القنب القوي ، وتدَوّر العصا على نفسها حتى يقصر الحبل ويضيّق على القدمين •

---

(١) هذه التهجئة تعتمد على ركائز تركية الاصل ، فالزبر يشير الى الفتحة وهو يعنى (الاعلى) ، والپيش الى الضمة ، ومعناه (الخلف) ، والزير الى الكسرة ، ومعناه (الاسفل) •

يمسك نهايتي الفلقة طالبان ، كل طالب من جهة والملا ينزل ضرباته القاسية على قدمي الصبي المخالف بلا هوادة .

وللملا طمغة (ختم) ، يختم فيها بالحبر على أذرع الطلاب أو على سيقانهم يوم الخميس من كل أسبوع في موسم الصيف ليردعهم من السباحة في النهر ويجنبهم عواقب الغرق لصغر سنهم ، ومن أراد الاغتسال منهم فلابد أن يتقدم أحد ذويه الى الملا طالباً اذنه في ذلك حتى يعفيه عن « طمغة الاسبوع » .

وللملا عدد وفير من الطلاب الاذكياء الذين يتقدمون في دروسهم تقدماً حسناً ، ومن يصل من هؤلاء الى سورة « والفجر » استحق الملا من اهله « حلاوة دهنها يجري » ، وعلى سورة « لم يكن» يجازى ب « حلوى بكن » ، وهذه ترسل اطباقاً شهية الى بيت الملا . وهناك انشودة ينشدها الصبيان في هذه المناسبة وهي : (لم يكن حلوى بكُنْ ـ شاهيتي لملّتي ، شدّه ورد لخلفتي ، شدّه عصي للصنّاع) .

واذا وصل احدهم الى سورة النبأ (عمّ يتسائلون) فلابد من (خروف ابدمّه) يرسل الى بيت الملا ، واذا وصل الى منتصف القرآن ، فالوليمة واجبة ، يُعدّها أهل الطالب ويدعى اليها الملا والخلفات وعدد من اصدقاء الصبي .

اما الفرحة الكبرى فتتم يوم ختمه القرآن ، وحينئذ تجرى للخاتم مراسيم خاصة يشترك فيها اهله والملا وجميع الصنّاع . وتبدأ الزفة من الكتّاب وتنتهي في بيت الخاتم مارة بعدد من الازقة والدرابين المجاورة ، والخاتم في أبهى حلة ، فهو على صغر سنه يضع على رأسه الفينة المزينة

(بماشاالله ذهب وعفصة وسن الذيب) طرداً لعين الحسود ويرتدي الزبون والحياصة . يتقدم الزّفة احد الصنّاع حاملاً على رأسه رَحْلَة خشبية (قاعدة خاصة لحمل القرآن مفتوحاً) يتبعه عدد من الطلاب يحملون أباريق فخارية مزينة بالآس والزهور ، ثم الخاتم وهو يسير بين اثنين من زملائه الذين سيعقبونه في ختمة القرآن ، ثم يسير بعد ذلك المله ووراءه احد الخلفات يقرأ دعاء الختمة ، وجميع الصناع خلفه يصيحون (آمين) ثم يسير قارعو الطبول في ذيل الزفة . وعند الوصول الى بيت الخاتم تتعالى الهلاهل ، وبحلول وقت الغداء يتناول الجميع طعامهم في بيت الخاتم ، ثم يقدم والد الصبي الذي خَتَمَ القرآن الكريم هدية مناسبة للملة . ومما يسعدني أن اثبت هنا نص القصيدة التي وجدتها بعد بحث دقيق منشورة في العدد الثالث من مجلة التراث الشعبي لسنة ١٩٦٥ أنقلها بأمانة وشكراً للاستاذ السيد خليل رشيد كاتب المقال :

الحمدُ لله الذي تَحَمّدا (آمين)

حَمداً كثيراً ليسَ يُحصى عددا (آمين)

نبارك الله العزيز الصمدا   وخالق وباري وسرمدا

كلّم موسى واصطفى محمدا   وانزل القرآن نوراً وهدى

على نبي الهاشمي الاحمدا   انزل بالحق والبرهان

وكسر الاصنام والاوثان   الحمد لله الحميد المبدي

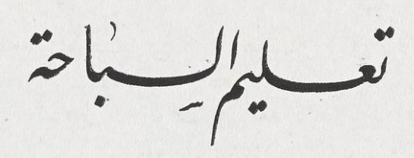
سبح له طير السما والرعد   يأتيك طيراً من طيور الهند

مهفهف الريش المليح القد   أو كعروس زينتها زبرجدي

بكاسة بيضاء ومسك أسود — الحمد لله الذي هدانا
للملة الاسلام واجتبانا — بعلم من كان وما يكون
وكل شيء عنده مكنون — ارسل فينا أشرف الأنام
محمداً داعي الى الاسلام — صلى عليه الملك العلامي
يا امنا قومي افرشي الحصيرا — وسطري الاصحن لنا تسطيرا
وهلهلي وكبري تكبيرا — هذا غلام قد قرا وقد كتب
وقد تهجا للحروف ونصب — وحقنا على ابيه قد وجب
نستاهل الخلعة منه والذهب — واعطوا المعلم من خيار ما طلب
الحمد لله الذي هدانا — من فضله علمنا القرآنا
علمنا فضائل التعلومي — جزاك بذاك الفوز والنعيمي
وانت يا أُما سبب تعلومي — جازاك ربي جنة وفائده
عسا أراك في الجنان قاعده — مع البتول خير النساء فاطمة
وانت يا عما فنعم العمو — انت الذي تعطى عطاء جمو
وانت يا خالي فنعم الخالو — انت الذي تعطي جزيل المال
واكرموا الاولاد بالعطايا — نجّاكم الله من الخطايا
انصرفوا يا معشر الصبيان — انصرفوا بطاعة الرحمن
انصرفوا وكلكم اخواني — ما ننصرف حتى تجينا الذهبه
بكاسة مجلية ملتهبه — ما ننصرف حتى تجينا الفضة
بكاسة مجلية ميضه — ما ننصرف حتى تجينا الكرامه
وخلعه وفوقها عمامه — وللمعلم ندعوا بالسلامه

ما ننصرف حتى نصلي كلنـــا عـــلى النبي المصطفى بجمعنـا
وآلـــه وصـــحبه الأخيـارى القانتـــين في دجـا الاسحارى

هذا وكان من مشاهير اللالوات في بغداد ملا ابراهيم ، ولالا غني ، ولالا عيسى ، وملا جليل ، ولالا هراتي . وهؤلاء جميعاً ذكرهم الشيخ جلال الحنفي في كتابه (الصناعات والحرف البغدادية) عند كلامه على التكسب بالتعليم .



تعليم السباحة

لقد قيل قديماً « تعلم الخط والنط والسبح بالشط » . ونظراً لوقوع بغداد على نهر دجلة الخالد بجانبيها الشرقي والغربي ، ولانتشار دور البغداديين على ضفافه أو بالقرب منه ، ودفعاً لكوارث الغرق التي أودت بحياة الكثيرين من صبيان بغداد وشبانها عمد اغلب البغداديين الى تعليم اولادهم السباحة بعد بلوغهم السن المناسبة بين (١٠ – ١٥) سنة .

ولقد كان أكثر معلمي السباحة من اليهود ، وكان كل معلم من هؤلاء يتخذ مقراً خاصاً في احدى شرائع بغداد المشهورة كالمجيديّة وسيد سلطان علي وچَرِدْ الپاشا حيث ينصب له چَرداغ (وهو عبارة عن غرفة صغيرة مبنية بخشب القَوغ والحصران الجوّازري أي القصب) . ويهيء معلمو السباحة عدداً من كرب النخل ويبذلون لكل كربة عناية خاصة فهم يبطنون وجه الكَربة بالقطن ويغلفونه بخام الشام (الخام الأسمر) وبعد ان يثقبوا كل كربة عدة ثقوب يمررون خلالها حبل قنب لتربط بواسطته الكربَة على جسم الصبي . وأحسن أنواع الكَرَبْ المستعمل في السباحة هو كرب نخل البَرْبَن لانه عريض وخفيف الوزن نسبياً . وقد يهيء بعضهم عدداً من الچوابَة (جمع چوب وهو لفظة انكليزية تطلق على مطاط دولاب السيارة) وذلك للاستفادة منها ، وهي منفوخة بالهواء ، في تعلم السباحة وانقاذ المشرفين على الغرق ومساعدة من شَعَرَ بالتعب من السابحين .

ولكل معلم اجرة مقطوعة يستحقها بعد ان يعبر الولد الشط بحضور اهله وذويه . وقد تكون هذه الاجرة هدية مناسبة .. ولكن اليهود دائماً يفضلون النقود .

يبدأ المعلم بربط ثلاث كربات على جسم المتعلم اثنتان منها على ظهره ، والثالثة على بطنه . ثم يطلب منه النزول الى الماء بعد ان علّمه وهو على اليابسة كيفية تحريك يديه ورجليـه . والمعلم يسبح بجانبه في الكَيش (المنطقة القريبة من الجرف) . وللصبيان هوسة يطلقونها عند لعبهم في الشط فهم عندما يكتشفون منطقة ضحلة يقفون عليها وينادون (هذا الكَيش حلاّوي) .

وبعد ان يتعلم الصبي مبادىء السباحة (ويكُوم ْ اِيطُوف ْ) أي يعوم جيداً يبدأ المعلم بانقاص عدد الكربات فيرفع أولاً الكربة التي كانت مربوطة على بطنه . وبعد ان يسبح مدة بالكربتين المربوطتين على ظهره ويطمئن المعلم الى مهارة تلميذه يرفع عندئذ احداهما مكتفياً بكربة واحدة على ظهره . وبعد مدة قصيرة يتخلص نهائياً من الكرب ويبدأ في السباحة بدونه تحت اشراف المعلم ، ثم يمارس بعد ذلك (المَدَّه) أي السباحة لمسافة طويلة تزداد تدريجِيا أيضاً وفق قابلية الطلاب المشاركين بالمدّة ، وهنا يكون المعلم في وسط طلاّبه الذين شكّلوا قوساً حوله ومعه (چُوب) يعين به من شعَرَ بالتعب من طلابه منادياً بأعلى صوته (يا ولاد بلبُو ل) فيرد الطلاب جميعاً (بَلي) أي نعم

ما شفتوا عَصفور — بلي

يُنكُرْ بطّاسَه — بلي

حمّام ياسَه ْ (اسم امرأة) بَلي

كُلّه ْ ..... بَلي

وبعد ان يضمن المعلم نجاح طالبه في السباحة نجاحاً يعصمه من الغرق يخبر أهله ليحددوا موعد الامسيّة التي يحتفلون خلالها بعبور ابنهم الشط ... وعندئذ يقف ذوو الولد في جهة من النهر الخالد يشاهدون نزول ابنهم ومعلمه الى النهر من الجهة الثانية وقد ربط المعلم ملابس تلميذه فوق رأسه ، ثم يبدأ الطالب (النَشْمي ، ابن أبوه ْ) بالسباحة ، وامه والحبَيْبَات يزغردن . وعند اقترابه من الجرف تعزف الموسيقى الشعبيّة التي استقدمها أبو الولد ألحانها البديعة ، ثم يخرج من الماء جذلاً مسروراً ، فيقبله أبوه وتطش (ترمي) امه (خُطّار واهليه[1]) على رأسه ، ثم تقدم بعدئذ الهدية الى المعلم ومن وصايا معلمي السباحة لتلاميذهم عدم الاستخفاف بأبي الشِرگيط (وهو تشنج عَضَلي يصيب ساق السابح وربما كلا ساقيه) وانما يجب على السابح حين يصاب به ان يعود مسرعاً الى الجرف أو يستنجد بمن هو قريب منه اذا تعذرت عليه العودة ، فلطالما أدى (أبو الشرگيط) الى غرق عدد ممن يعرفون السباحة ويجهلون معالجة هذا التشنج .

---

(١) خطّار واهلية : من النذور البغدادية وهو مجموعة من الشكرات المخلّطَة يستعملها البغداديون في الافراح ولها نداء خاص تقوله المرأة التي بيدها (صُرّة الواهلية) حيث تقف وحولها الصبيان وغيرهم وتقول (خطّا...رواهلْيّه عَرَبْ واه...ليه راية الله بِيضه ومبنيه) ثم تَطُش ما عندها من شكرات على رأس المَنذور له والحاضرون يجمعونه من الأرض ويأكلونه فرحين مسرورين .

الزورخانة

الزورخانة كلمة فارسية تتألف من مقطعين : زور بمعنى قوة ، وخانه بمعنى محل ، وعلى ذلك فهي نادي القوة ٠

وكانت الزورخانة بمثابة الاندية الرياضية الحديثة الا انها اقتصرت على تمارين والعاب خاصة بتهيئة أجسام الرياضيين (الزورخنچية) وتأهيلهم للمصارعة ٠ ومن تلك التمارين :

١ ـ الشناو : وله تختَة خاصة طولها حوالي متر تستند على الارض بقاعدتين ويمسك الرياضي تلك التختة بيديه مادّاً جسمه الى الخلف على ان تكون ذراعاه ممدودتين ، ثم يبدأ بثني ومد ذراعيه عدة مرات تنفيذاً لأمر الاستاذ ٠ ومما يجدر بالتنويه ان الحاج عباس الديك قد وصل الى ألف شناو[(١)] ٠ ويقوي الشناو عضلات الكتفين والذراعين بالدرجة الاولى كما يقوي عضلات البطن والساقين ٠

٢ ـ الميـال : اداة تصنع من الخشب في نهايتهـا مقبض مَجروُخ يستعملها الرياضيون لتقوية الكتفين والذراعين اذ يمسك الرياضي كل ميل بيد ، ويشرع في اجراء التمارين اليومية على (حِس الدنبُك) الذي سأتكلم عليه لاحقاً ٠

وتختلف الاميال في الثقل ولذلك يتدرج الرياضي في استعمالها مبتدئاً

---

(١) راجع : مجلة بغداد (اصدار وزارة الثقافة والارشاد ـ بغداد) العدد ١٨ لسنة ١٩٦٥ ، ص ٣٠ ٠

بالخفيفة ، وباشراف الاستاذ يقوم بتمارين منها الگَبَرگهْ والمقَصْ ورمي الميل الى الاعلى ثم مَسْكَهْ ، وغير ذلك •

٣ ـ هناك أدوات وتمارين أخرى كالسلاسل الحديدية الثقيلة وتمارين القفز وغيرها مما يؤدي الى تقوية جسم الرياضي واعداده للمصارعة •

٤ ـ تخصص كل زورخانة يومين من أيام الاسبوع للتمرين على المصارعة بين منتسبيها وحسب رأي الاستاذ الذي يعين فلاناً مع فلان اما بقية أيام الاسبوع فيمارس فيها الرياضيون التمارين التي اشرت اليها سابقاً •

تأسيس الجفرة :

في وسط كل زورخانة توجد حفرة دائرية أو مضلعة يتراوح قطرها بين ٤ و ٥ أمتار ، يمارس عليها الرياضيون تمارينهم اليومية ، وتهيأ الجفرة على النحو التالي حتى لا يصاب الرياضيون بأذى[١] :

تحفر أرض الجفرة بعمق يتراوح بين ٤ ـ ٥م ، ويوضع فيها كمية كبيرة من قشور الحنطة أو قشور الرز ، وتسمى بـ (السبُوسْ) ثم يوضع فوقه عدة باقات من الشوك اليابس بشكل يجعل كل حزمة تعاكس الاخرى أي رأساً لعقب • ثم تغطى باقات الشوك بحصران جوازري تدفن بكمية من تراب النهر الممزوج بالطين والرمل ثم يُسَوَّى[١] تسوية جيدة بعد رشه بالماء عدة مرات •

تقاليد الزورخانه : هناك تقاليد ثابتة خاصة بالزورخانات منها :

١ ـ ان يكون الزورخنچي نظيفاً (غير مجنب) وان يكون (عَلَ وضو) فاذا أصيب احد الرياضيين باذى ونزف منه الدم فيعزى ذلك الى

وجود مجنب بين الرياضيين وعندئذ يأمر الاستاذ بايقاف اللعب ٠ ومن هنا أصبح مألوفا ما يردده الاستاذ بين حين وآخر بصوته العالي ، فهو عندما يقول (تارك الصلاة نَعلَتْ) يجيبه الشواغيل (الرياضيون) بقولهم (هزَارْ دَفْعَتْ) أي ألف مرة ٠ والملاحظ هنا ان جميع الاسماء والتعابير فارسية ظلت مستعملة في العراق كما هو شأن بقية الاسماء في عالم الرياضة ففي لعبة كرة القدم ما نزال نردد ما اصطلح عليه الانكليز من ألفاظ كفاول و اوف سايد و آوت وغيرها ٠ أما في عالم الصناعة فان جميع أسماء الادوات ظلت كما هي دون تبديل ، فمن أدوات السيارات مثلاً البندل والسويچ والپاتري واللايت وعندي مجموعة خاصة بالالفاظ الاعجمية المستعملة في حياتنا اليومية الراهنة ، ولست أدري متى ستزول أو يستعاض عنها بكلمات عربية ؟

٢ ـ قراءة الفاتحة على روح مؤسس الجفرة عند دخولها وذلك بلمس أرض الجفرة وتقبيل اليد التي لمستها ثم الشروع بقراءة سورة الفاتحة ٠ وقد اشتهر (بورياي ولي) بأنه مؤسس الجفرة في ايران ٠

٣ ـ ارتداء (الچسْوَه) في المصارعة ، وهي سروال سميك يغطي الجسم من المحزَمْ حتى أسفل الركبة بقليل وتخاط فوق الركبة قطع جلدية ٠

٤ ـ اجراء التمارين على ايقاع (المرشد) الذي يجلس على دكة عالية كي يشرف على الرياضيين ، ويضرب على الدنبك بكلتا يديه (ويسمى « زرب » بمعنى ضرب وهي كلمة عربية صرفة رسم الضاد فيها زاياً خضوعاً

للنطق الاعجمي) كما يغني غناء خاصاً يستحث به همة الرياضيين ويزيد من نشاطهم ٠

٥ ـ تبادل الزيارات الدورية بين رياضيي الزورخانات حسب اتفاق المسؤولين ٠ ومن تقاليد الزورخانة في هذا الصدد اعداد الطعام لكافة الرياضيين الزائرين على نفقة منتسبيها ، وهذا التقليد المستحب مما يقوي وشائج الصداقة والاخوة التي زرعتها الرياضة في قلوبهم ٠

الحشّاشة

الحشّاش اسم يطلق على من يتعاطى الحشيشة في بغداد . والحشيشة تسمى في مصر (حشيش) وفي لبنان (كيف) وهي نوع من زرع (القنب) مشهور في العراق منذ قديم الزمان ثم انحدر الى الشام ومصر .

وللحشيشة أنواع منها ما يبلغه المدمنون ومنها ما يدخن في النركيلة أو السكارة . وتدخينها في السكارة هو الشائع في بغداد بل في العراق . وقال أحد مجربي الحشيش « شعرت كأن جدران الكون انبسطت حولي وصدرت منه أصوات فطرية أزالت ما في نفسي من وهم وخوف ، وفتح أمامي فردوس النعيم ، وخضت في بحر من البهجة والسرور ، وطفح الحب على نفسي ، وبعد ساعات قليلة أخذت هذه المناظر تتلاشى ، وشعرت بجوع شديد ، فدخلت مطعماً أكلت فيه ما قدم لي من طعام واحسبه الذ ما ذقته ثم عدت الى مخدعي ونمت نوما عميقا ، ولم يبق من تأثير الحشيش سوى اصفرار وجهي وتعب جسمي »(١) .

وهذا الانطباع هو ما يشعر به كل حشّاش ولذلك فهم دائماً قابعون في مقاهي صغيرة تشبه الدهاليز يستمعون الى اسطوانات أغاني الصفطي ورشيد القندرجي (بالزير) وغيرهما ، وهي تصدر من الفنغراف أبو البوري (الحاكي) ، ويكثرون من شرب الشاي السنگين وأكل التمر باعتبار الحشيشة (اِتحبّ الحلاَه) كما يقولون . ان معظم الحشّاشة بل جميعهم

---

(١) قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، ص ١٧٠

جبنـاء (واحـدهم إِيخَافْ من خَيالَـهْ) وذلك لتأثير الحشيشـة على أعصابهم ٠

وللحشاش خَيّال بارع ، ولهم نكات لطيفة ، ويجودون بالحلول الصحيحة لقضايا عَوِيصَة كثيرة وساورد هنا نكتة واحدة وحلاً لمشكلة عويصة على سبيل المثال ٠

جلس احـدهم يدخن الخشيشة (ويضرب خَيال) على الدخـان المتصاعد من سكارته وقد وضع احدى قدميه تحته بعد ان خلع نعلها ، وظلت قدمه الاخرى على الارض ، ولما هَم بالانصراف التفت نحو الأرض فشاهد احدى قَدَميه عليها تنتعل نَعْلَها بينما وجد فردة النعل الثانية خالية ، فصاح مخاطباً القهواتي :

« تعال يابه تعال لعد رجلي اللّخْ (الاخرى) وين ؟ » فقال حشاش آخر كان يجلس وزميله في مقابل الحشاش الأول مخاطباً زميله (گوم يابَـه گوم لَيروح يبلينَـه) أي يتهمنا ويحل علينا البلاء ٠

أما في صدد المشكلة فيقال ان احدهم نذر ان يذبح ذبيحةً لوجه الله عرض اليتها خمسة أشبار اذا رزق بمولود ذكر ٠

ونذور البغاددة كثيرة ، ومناسباتها عديدة ، فمنهم من ينذر (خطّار واهليه) أو كَرْبَه [٢] عليهـا شموع للخضر أبو محمد (يسيّسْها)

---

(٢) كرية نخل فيها ثقوب عديدة تحمل عددا من الشموع الموقدة وهي (تْسَيَّسْ) مع النهر مساء الخميس ٠

بالشط ، أو خبز العباس[3] وغير ذلك من النذور الكثيرة • وجاء في أمثالهم (الوَلَدْ العَايِشْ بالنَذُورْ هَمْ مَينْرَادْ) • وقد ولدت زوجة الرجل الناذر غلاماً ، فاطلقت الهلاهل ، واقيمت الافراح ، وقصد زوجها « الجوبَهْ »[4] مفتشاً عن الخروف المنذور ، فوجد أكبر الية لأكبر كبش لا تفي بالقياس الذي نَذَرَهُ فعاد مهموماً شاعراً بعجزه عن الوفاء بالنذر ، خائفاً أن يموت ابنه الذي انتظره بفارغ الصبر •

فأشار عليه أحدهم ان يقصد چايخانة الحشّاشة ليعرض عليهم مشكلته ، وعندئذ سيجد الحل الصحيح • فذهب الرجل الى الچايخانه المشهورة في محلة الميدان ببغداد وجَلَس على أول مقعد ، فسأله صاحب المقهى : أعَمّرْلك ؟ (أي : هل اقدم لك سكارة حشيشة ؟) فأجابه : لا •

ـ اجيبلك چاي تازه ؟

ـ لا ، آني عندي مشكلة •

ثم قص حكايته على مسمع من الحشاشة الموجودين ، فأجابه حشاش كان جالساً بقربه « يابه دُخذَهْ للمحروس وروح للجوبَه أُو گَدِّرْ إِبشبرَه يا لِيَّهْ التريدها » وهنا انفرجت اسارير صاحب النذر وعمل بما قال الحشاش ، وكان انجح حل • والحشيشة في بغداد بل في العراق في طريقها الى الزوال لتأثيرها السيء على الصحة •

---

(٣) لهذا الخبز نوعان : نوع يوضع في وسطه قليل من الدهن والسكر والثاني يوضع فيه خضروات (كراث ورشاد وكرفس) • ويوزع عدد من هذه الرغفان على الجوارين •

(٤) محل بالقرب من جامع الشيخ عمر السهروردي تباع فيه الاغنام •

السالوفة

من مسليات ابناء العائلة خلال (التعلولة) في ليالي الشتاء الطويلة سماع السواليف (جمع سالوفة وهي القصة) • وقد اعتاد الجميع أن يجتمعوا حول (الجدَة أو البيبي) وهي أم الاب أو أم الوالدة وهذه تجلس عادة في وسط الطرار أو الليوان وامامها المنقلة وهي تربش نارها بين حين وآخر بالماشة التي لا تفارق يدها وفي أثناء ذلك تقص عليهم قصصاً خيالية عن بنت السلطان والسعلوة أو فريج الاكرع وغير ذلك •

يتناول البغادة أثناء التعلولة لب جوز وتمر اشرسي ، أو تين مجفف أو بلوط مشوي على المنقلة أو كَستَانَه وغيرها • ولشيوع دور السينما والتلفزيون أخذت السالوفة تنقرض رويداً رويداً وستزول تماماً بزوال (نسوان گبل) • واليكم احدى تلك القصص وهي ذات مغزى عميق وقد كتبتها بسلاسة بغدادية بالرغم من انها تروى ولا تزال باللغة العامية •

كانت السالوفة تستغرق ليالي عديدة وحين ينام بعض الصغار تتوقف (البيبي) عن الحديث لتستأنف حكايتها في الليلة القادمة وهكذا •••

(أكو ماكو فَدْ اِتلَثْ بنات فقيرات اِيعيشنْ من وَرَهْ الغزل وچانَوا عايشين اِبْفَد خَرابه قريبة من الشارع العام) وهن يعلمن بان ابن السلطان يتجول يومياً بعد منتصف الليل في انحاء المدينة لينقل لابيه حالة السكان •• فلما شعَرن بوقع اقدام تقترب نحو دارهم الخربة قالت الكبيرة :

(لو يتزوجني ابن السلطان چان حكتْ لَهْ فَدْ زولية اِتكَفيه وتكفي عَسْكَرَه) وقالت الاخت الوسطى (والله آني لو ياخذني ابن السلطان چان خبزت له ارغيف خبز ايكفيه ويكفي عسكره) اما الصغرى فقالت (لو يتزوّجني چان جبتلَهْ ولد كعكوله ذهب وكعكوله فضة •)

سمع ابن السلطان جميع اقوالهن فارسل صباح اليوم التالي رسولاً بطلب البنت الكبرى وكانت (كُلِش حلوه) فخطبها ثم تزوجها على (سِنَّة الله ونبيّه ألف الصلاة والسلام عَليهْ) وفي اليوم السابع طلب منها الشروع بحياكة الزولية ، فضحكت وقالت :ـ هذه مبالغة ولا يمكن لأنسان ان يقوم بها ولكنني ذكرتها لرغبتي في الاقتران بك وهذا اقصى ما تتمناه الفتاة •

فزعل عليها وأمر بانزالها في دار الوصايف ، وبعد فترة وجيزة خطب الأخت الوسطى وتزوجها وطلب منها بعد اليوم السابع أيضاً تحقيق رغيف الخبز ، وكان جوابها لا يختلف عن جواب اختها ، فانزلها في دار الوصايف أيضاً ثم خطب الاخت الصغرى وكانت رائعة الجمال فتزوجها ، وحملت منه وانتظر ولادتها بفارغ الصبر لأن زوجته الاولى التي تزوجها قبل اخواتها كانت عاگر (عقيم) ، فحضّر لابنه المنتظر أحسن الملابس وافخر الثياب بينما دبرت (الضَرَّه) لها مكيدة لانها حملت منه وستلد له مولوداً يقطع أملها في العودة الى احضانه ، فاغرت القابلة بالمال والمجوهرات ، وطلبت منها ان تضع تحتها (جرواً) يوم الولادة ، وان تأخذ المولود وتسلمه اليها أي الى (الضَرَّه) • وقد جرى كل ذلك والمسكينة لا تدري ، ولذلك طلبت اختيها لحضور ولادتها فأبت القابلة مدعية بانها لا تتمكن من القيام بواجبها اذا حَضَرَ شخص ثالث ، فسلمت البنت الحامل أمرها الى الله وهي غافلة

(يا غافلين اِلكم الله) لا تعلم عن مُكر الضراير شيئاً ، وبقدرة الله ولدت توأمين ذكراً وانثى (كعكولة ذهب وكعكولة فضة) فوضعت القابلة اللعينة الجرو مع الجارة واعطت التوأمين الى الضرة • ولما سمع ابن السلطان بان زوجته قد ولدت جرواً غضب عليها واعادها الى خَربتها التي كانت تسكنها قبل الزواج واجرى لها راتباً ، وظلت المسكينة تندب خطها ولا تدري ما خبأ لها القدر وما جنت من اِثم حتى يجازيها الله بمثل هذا الجزاء ، وظلت تصلي وتستغفر الله ليل نهار

(وين تجي السالفه ؟ فيجيبها الجميع : عالولد) أما الضرة التي دبرت المكيدة فقد أحضرت صندوقاً خشبياً كبيراً وملأته بالقطن وعدد من مميّات الحليب ووضعت الطفلين البريئين داخل الصندوق (وذبّته بالشط) فيصيح الجميع والألم باد على وجوههم : (خَطيه ••)

ومن غريب الصدف أن ينزل فارس في تلك المنطقة على شاطيء النهر ليسقي فرسه العطشى ويتوضأ تمهيداً لاداء الصلاة وبينما هو جالس هناك اذا بعينيه تلمحان جسماً داكن اللون يقترب من الشاطيء (وهنا يصيح احد الصغار متلهفاً لمعرفة النتيجة :ــ وتالي بيبي طَلّعهُم ؟ فتقول الجدة لا تستعجل تجيك السالْفَه) فخلع الرجل ملابسه ونزل الى الصندوق ليسحبه الى الجرف وفي تلك الاثناء ظهر فارس آخر يمتهن التجارة وقد وقف عن كثب يراقب عملية اخراج الصندوق التي تعهدها الفارس الاول ، ثم اقترب منه وقال « أنا شريك » وأنا تاجر غني فان كان محتوى الصندوق مالاً أو ذهباً أو تجارة فهو لك وان كان فيه مولود فهو لي اتبناه وأقوم بتربيته لوجه الله وادفع اليك مقابل ذلك مبلغاً من المال لانني محروم من

الذرية . واتفقا على ذلك متوكلين عليه عزوجل وفتحا الصندوق باسم الله وشاهدا الطفلين فدفع التاجر ما كان معه من مال وأخذ نصيبه « الطفلين » وعاد الى داره فرحاً ليبشر زوجته . فسهرا عليهما واعتنيا بتربيتهما كأنهما من فلذات اكبادهما .

كبر التوأمان فمر ابن السلطان يتفقد تلك المنطقة فشاهدهما في مدخل الدار مع والدهما فرق لهما قلبه واضطره شعور داخلي على الوقوف بجانبهما ومحادثة والدهما ومداعَبتهما . ثم أخذ يكرر زيارته لتلك المنطقة وكشف للتاجر والد التوأمين هويته وتصادقا وتبادلا الهدايا والزيارات . وكان ابن السلطان معجباً بتربية وجمال التوأمين وكان يكثر لهما الهدايا كلما زارهم . وذات يوم اخبر امه بزيارته للتاجر ووصف لها التوأمين وشدة تعلقه بهما ، وكم تمنى لو رزقه الله بمثلهما فأجابته امه « سأخطب لك ابنة السلطان فلان عسى ان تلد لك باذن الله مولودا تقر به عينك » وكان ابن السلطان يجيب امه بقوله (هيهات هيهات) لانه اصيب برد فعل من الزواج بعد ان ولدت زوجته الاخيرة جرواً

اما زوجة السلطان فقد عقدت مجلسها وحضرته زوجاته زوجاته السابقات وزوجات الوزراء والاصدقاء ، وظهرت على غير عادتها مهمومة ، محزونة ، ثم قَصّت على الحاضرات ما شاهده ابنها من جمال « ابن وبنت » التاجر وبدأت تصفهما لهن ، ولما قالت « وشعر كل منهما كعكوله ذهب وكعكوله فضة ، امتقع وجه زوجته العقيم الاولى وتركت المجلس فوراً مدعية بانها اصيبت بمغص في امعائها (الاطفال يقولون حَيل انشالله اتموت) و (البيبي تربش بنار المنقلة وترد عليهم : لا تستعجلون تجيكم السالفه) ثم ذهبت

الى الجدة مذعورة خائفة وقصت عليها ما سمعت ، وطلبت منها ان تتدبر الامر والا انكشفت « مؤامرتهن » ونلن العقاب فقالت لها القابلة « لا تخافين عليّ هسَّه أغدِره للولد وأحرك گلب اختَه) فقصدت في اليوم التالي دار التاجر والد التوأمين وشاهدت البنت وكانت قد بلغت الخامسة عشرة من العمر وهي مكتملة الانوثة رائعة الجمال ، وشعرها العجيب (كعكوله ذهب وكعكوله فضه) قد ضاعف فتنتها وجاذبيتها ، ثم شاهدت الاثاث والرياش الذي تنعم به وحسبت ان ابن السلطان نفسه يعجز عن توفيره ، وبعد ان باركت لها ونَشَّرَت قالت بخبث « كُلّه بالعافية حلو ـ لكن ليش ابوچ ما جايب لچ رمانه التغني وتفاحة التر گص ؟ » لتأنسي بهما في في وحشة الوحدانية ، ثم انصرفت . وبعد ذلك عاد اخوها وهو صبي صلب العود جميل الطلعة معسول الكلام فشاهد اخته مكتئبة ، ولما سألها عن السبب ، قالت له « لا انت ولا والدي تريدان لي التسلية وانني اقضي معظم اوقاتي وحيدة عندما تكون والدتي مشغولة وانت وابي في خارج البيت »

فقال لها : وماذا تريدين ؟ واي شيء يسليكِ ؟

فأجابته : اخبرتني فلانة القابلة عند زيارتها أمس ، وارشدتني الى انكما انت ووالدي ان كنتما تحبانني فاحضرا لي « رمانة التغني وتفاحة التر گص ». وعلى الأثر صمم أخوها على السفر وحاول والده واصدقاؤه ان يثنياه عن عزمه فلم يفلحوا ، فشد الرحال بعد ان هيىء له المتاع اللازم وسأل عن الطريق ومكان البستان المقصود ثم ودع امه واباه واخته وتوكل على الله

قاصداً البستان الكائن خلف (البحار السبعة) وفي طريقه شاهد (سعلوة)[1] جالسة في منتصف الطريق ، فنزل عن فرسه ورضع من ثدييها واكل من طعامها ثم حيّاها وجلس بجانبها ..

ونظرت اليه السعلوه فأحبته لجمال خلقته ورشاقة جسمه واستفسرت منه عن أسباب تجشمه هذه الصعاب ولماذا وصل هذا المكان ؟ فاخبرها بانه ركب الصعاب مضطراً لتوفير الراحة والانس لاخته فاعتذرت عن عدم تمكنها من ابداء اية مساعدة لان البستان لم يكن في منطقتها . وأخيراً وبعد التوسل والرجاء حَمَلَته الى منطقة اختها حيث يقع البستان المقصود واوصته ان يتمالح مع اختها كما فعل معها . ولما نزل من فرسه داهم ثديي السعلوة الاخت ورضع من لبانها ، واكل من طعامها ، وجلس بقربها ، وأنبأها بما يريد وقص عليها كيف انه تجشم الصعاب معتمداً على مساعدتها . فلم تر السعلوة بداً من مساعدته لانه اصبح ابنها بعد أن رضع لبانها . فقالت له « ساوصلك الى قرب باب البستان وسترى هناك بابين احدها مسدود والآخر مفتوح ، وما عليك الا ان تفتح الباب المسدود وتغلق الباب المفتوح

---

(١) جاء في ص٤٨ من الجزء السادس من كتاب الحيوان للجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ عن السعلوة قوله « والسعلاة اسم لواحدة من نساء الجن تتغول لتفتن السفار . قالوا وانما هذا من العبث او لعلها تفزع انسانا فيتغير عقله من اجله عند ذلك لانهم لم يسلطوا على الصحيح العقل والخ .. » وفي ص ٤٩ من نفس الكتاب قوله (وهم اذا رأوا الفتاة حديدة الطرف والذهن سريعة الحركة ممشوقة محصنة قالوا سعلاة وقال الاعشى :

ورجال قتلى بجنبي أريك
ونساء كأنهن السعالى

السعالى ـ جمع سعلاة وهي السعلوة .

وسترى أيضا كلباً امامه حشيش ، وحصاناً امامه عظام ولحوم ، فانقل طعام كل منهما الى الآخر ثم اقطف (رمانة وتفاحة) وعد مسرعاً واوصته بأن يكون رابط الجأش اذا حدث اهتزاز شديد أو تجاوبت البستان مع صوت مخيف ، كما اوصته بالحزم والسرعة في العمل • فنفذ وصايا السعلوة وعاد مرتجفاً يحمل في (عبه) التفاحة والرمانة فاركبته على ظهرها وعبرت به البحار السبعة ، وفي الطريق قص عليها ما سمع من اصوات تنادي « يا باب امسكيه » فكان جواب الباب كيف امسكه وقد اراحني بعمله • يا حصان امسكه •• يا كلب امسكه •• فكان جواب الكلب والحصان رفضاً لانه تفضل بالسماح لهما بالاكل بعد ان صبرا على الجوع مدة طويلة • ولما اوصلته الى منطقة اختها ودعها شاكراً فضلها حامداً جميل صنعها حين انقذت حياته • ثم اوصلته السعلوة الاخت الاولى الى حدود مدينته فعاد الى اخته مسروراً بانتصاره فرحاً لانه تمكن من توفير الانس لاخته العزيزة فعلق الثمرتين وعندئذ بدأت (الرمانة تغني والتفاحة ترقص) ، فطغى على البيت جو من الفرح والحبور لا يمكن وصفه •

جاء ابن السلطان لزيارة صديقه التاجر (والد التوأمين) فعجب مما شاهده من فن رفيع لا يستطيع الانسان ان يصدقه (لأن التفاحة والرمانة كانتا من بنات الجان وقد تقمصتا هيأة أثمار) فلما عاد الى اهله قص عليهم دهشته مما شاهد في بيت صديقه التاجر •

فوصلت الاخبار الى زوجته العقيم فجن جنونها فأرسلت بطلب القابلة الخبيثة وقصت عليها ما سمعت وطلبت منها ان تعمل على القضاء على التوأمين والا انكشف كيدهما ونالتا اشد العقاب فقالت القابلة الخبيثة : اطمأني

فسأرسله هذه المرة الى درب الصد ما رد) .

ذهبت القابلة المجرمة لزيارة الفتاة مرة ثانية لتقديم التهاني بمناسبة حصولها على التفاحة والرمانة فدخلت الدار متهللة متظاهرة بالفرح وقد شاهدت الفتاة فرحة (بالتفاحة والرمانة) أشد الفرح ثم قالت لها بخبث : طالما عرف اخوك الطريق ويظهر انه شاب شجاع فلماذا لا يجلب لك « بلبل هزار » فانه يفوق التفاحة والرمانة شدواً وانساً وطرباً . ثم ودعتها وانصرفت .

وعند المساء عاد اخوها الى البيت فشاهدها واجمة وعلى وجهها علامات الحزن والكآبة ، فتألم لألم اخته واستفسر منها عن سبب ذلك فاخبرته بما قالت لها القابلة العجوز المجرمة .

وفي صباح اليوم التالي خرج اخوها بد ان اقنع والده التاجر بضرورة ذهابه للوقوف على كيفية الحصول على « بلبل هزار » فلم يجد أحداً يشجعه على الذهاب بل كل من سأله من الناس كان يحذره أشد الحذر ويأسف على شبابه الغض مؤكداً له ان طريق الحصول على « بل هزار » انما هو (درب الصد ما رد) ومعناه واضح جلي فقد هلك فيه شباب تحيطهم جنود مجندة . ولكنه رغم ذلك أصَرّ على الذهاب للحصول على تسلية اخته . ولما لم يدله احد على الطريق فانه قرر الذهاب الى السعلوة التي تمالح معها فاشترى لها قطيعاً من الغنم وكمية كبيرة من العلج (اللبان) وهدايا اخرى ، وقصد السعلوة فرحبت به أجمل ترحيب ، وشكرت له هديته الغالية ثم قص عليها سبب قدومه هذه المرة فحزنت حزناً شديداً ، وبكت أسفاً على شبابه ، وحاولت عبثاً ان تثنيه عن عزمه الا انه فضل الموت على اخفاقه في

تسلية اخته وادخال البهجة والفرح الى قلبها • فلم تر السعلوة بُداً من حمله الى اختها عبر البحار السبعة وقد رحبت به السعلوة الاخت الثانية وبذلت جهوداً كبيرة في سبيل اقناعه بالعودة الا انه أصر على العودة ببلبل هزار والا فانه يموت وهو معذور •

فأخذته مضطرة بعد الحاح شديد ، وانزلتـه قريبـا من هنـاك وهو ممتط صهوة جواده ، فشعر بوحشة شديدة عندما شاهد جميع معالم المدينة وقد مسخ حيوانها ونباتها صخوراً ولم ير فيها سوى مقبرة واسعة ولكنه شاهد منارة عليها طير كبير عرفه من الاوصاف التي وصفوهـا لـه بانـه (بلبل هزار) فناداه الولد بعد ان ادى الصلاة لوجه الله تعالى ــ وهـو يرتعش خائفاً : « بلبل هزار » فرد عليه البلبل (قُزل قُرْط) بدون ان يلتفت اليه واذا به يجد نفسه راكباً على حصان من صخر وهو حصانـه المسوخ ، ففكر ملياً ماذا يفعل فانه اذا رجع سيموت في الطـريق تعباً ، أو عطشاً فلا بد من الاستمرار في المناداة والاعمار بيد الله • فنادى مرة اخرى بلبل هزار ، فاذا بنصف جسمه يصبح صخراً ثم نادى ثالثة فاذا بجسمه كله عدا الرقبة والرأس قد استحال حجراً وعند ذاك نادى النداء الاخير ، فالتفت البلبل (وهو من أبناء الجن) ليرى من هذا المعاند ؟ فلمـا شاهد وجه الشباب الصبوح وشعره الذهبي الفضي نزل عليه يسأله عمن ارسله الى هنا بقصد القضاء عليه ؟ فقص عليه القصة منذ زيارة القابلـه الاولى • فقال له البلبل لولا رغبتي في انقاذك وانقاذ اختك من مؤامرة كبيرة حاكتها لكما تلك الخبيثة لمسختك حجراً كما ترى حولك ، ثم طار ووقف على رأسه فاذا به يعود كما أتى ممتطيا حصانه • وطلب منه ان يقصد المحل

الفلاني وأشار اليه ، وأمره باحضار القفص الذهبي المرصع بالمجوهرات والاحجار الكريمة وعاهده على الذهاب معه وحين يكشف له خيوط المؤامرة سيعود الى هنا تاركاً له هذا القفص هدية للذكرى .

كاد الولد يجن من فرط الفرح ، ووافق على شروط « بلبل هزار » ثم عاد الى المدينة مرفوع الرأس مكللا بالنصر المؤزر لانه عاد من « درب الصدمارد » سالماً باذن الله ، فدقت الطبول وعلت الهتافات والهلاهل استقبالا للولد الشجاع . فسمع ابن السلطان بذلك وجاء لزيارة صديقه التاجر ومشاهدة ولديه التوأمين والتفرج على « بلبل هزار » .

واقترح البلبل هزار ان يدعو ابن السلطان وعسكره في أي محل يراه مناسباً وأن يدبر دعوة لم يشاهدها ابن السلطان ولا السلطان نفسه طيلة حياته فاخبر الولد والده التاجر بذلك ، وعندما قدم ابن السلطان اندهش لمشاهدة البلبل في قفصه النادر كما اعجب بشدوه الذي لا يوصف ، وعندما هم بالخروج وجه له التاجر الدعوة فقبلها شاكراً رغم تمنعه بادىء الامر عن استصحاب جيشه كي لا يكلف صديقه التاجر واخيراً وافق بعد الحاح صديقه التاجر وابنه وابنته أصحاب الشعر الذهبي الفضي .

وحل موعد الدعوة فحضر الجيش بكامله في ساحة كبيرة جدا خارج المدينة حيث اقيمت الموائد العامرة ، ثم شرف موكب ابن السلطان وحاشيته الذين انبهروا مما شاهدوه من استعدادات منقطعة النظير وبعد ان تناول الجميع طعامهم الشهي غنى البلبل اعذب الالحان ثم غنت الرمانة ورقصت التفاحة وبعد ذلك شكر الجميع صاحب الدعوة وانصرفوا . وعندما عاد التاجر وابنه الى البيت قال البلبل لابن التاجر (وهو الشخص الوحيد الذي

يفهم منطق الطير) :

« سيدعوكم ابن السلطان فارجو ان لا تقبلوا الدعوة الا اذا انحصرت فيكم (أي التاجر وزوجته والتوأمان الذهبيان وقطتهما) على أن يحضر من الجانب الآخر السلطان الكبير وابنه فقط ، كما ارجو ان لاتبدأو بالطعام بل اتركوا القطة تأكل أولا . » وجه ابن السلطان الدعوة ووافق على شروط التاجر وحدد موعدها وحضر التاجر وعائلته الى بيت السلطان بالموعد المحدد ومعهم بلبل هزار والرمانة والتفاحة .

وفي موعد الغذاء ذهبوا الى غرفة الطعام حيث الاواني والملاعق والشوكات كلها من الذهب .. وقبل الشروع بالطعام أطلق التاجر قطته وبدأت بالاكل من جميع أنواع الطعام الموجود على المائدة ، فغضب السلطان الكبير أشد الغضب على هذا التصرف الذي يعتبر اهانة له فاعتذرت عائلة التاجر من هذا التصرف واذا بالبزونة اتطگ واتموت (وهنا يسأل الصغار ليش بيبي ماتت البزونة ؟ تقول لهم هسة تجيكم السالفة) متأثرة بالسم الذي دسته زوجة ابن السلطان العقيم ، فوجم السلطان وابنه بينما أخذ البلبل يتكلم كلاماً يفهمه الجميع قال « سيدي السلطان ان فلانة ساكنة الخربة زوجة ابنكم لم تلد جرواً بل ولدت توأمين خلقهما الله كما تمنت المسكينة يوم كانت فقيرة تعتاش من بيع الغزل ، ولكن زوجته الاولى العقيم قد دبرت للمسكينة مكيدة بالاتفاق مع القابلة المجرمة هذه التي ابدلت التوأمين بجرو وتخلصت منهما بعد ان وضعتهما في صندوق خشبي ألقته في النهر ، وهي أيضاً وضعت السم في هذا الطعام ، فأرجو من سيدي التاجر ان يقص علينا كيف وجد التوأمين وتبناهما .

وهنا نهض ابن السلطان وهو يبكي فعانق ولديه التوأمين والجميع لا يدرون كيف يعللون قساوة قلب الضرة التي أقدمت على ذلك العمل والتي ارادت ان تختتمه بمأساة اعظم لا يقرها العرف ولا الانسانية فقص عليهم التاجر القصة (كما أنزلت) فأمر السلطان بقطع رأسي الضرة الحقود والقابلة الخبيثة المجرمة واعاد زوجة ابنه المسكينة من خربتها الى قصره المنيف وتنازل عن السلطنة لابنه على أن يكون حفيده نائبا للسلطان وان يكون التاجر الذي تبنى التوأمين رئيساً للوزراء . وهنا كشف البلبل عن هويته فاذا به فتاة كاعب من اجمل ما خلق الله فلما شاهدها الولد نائب السلطان وولي العهد قال لوالده ارجو ان تخطبها لي لانها انقذتنا واعادتنا الى بعضنا فوافقت هي (بنت الجان) لانه شجاع وفي ، فاستمرت الافراح سبعة أيام (وغمر الاطفال سرور طافح لهذه النهاية السعيدة وقالت البيبي : لو بيتنه گريب چان جبت الكم طبك حمص وطبك زبيب) .

العاب الصبيان وأغانيهم

كان بودي لو افرد باباً خاصاً للالعاب والتسليات التي كانت توفر لصبيان وصبيات بغداد اسباب لهوهم ومرحهم الا ان الاستاذ المرحوم عبدالستار القرغولي قد سجلها في كتابه (الالعاب الشعبية لفتيان العراق) الذي نشره سنة ١٩٣٥ ، ولذلك سامر عليها مرورا عابرا مكتفيا بذكر اسم كل لعبة مع شرح الالعاب التي لم يتطرق اليها المرحوم وعسى ان اوفق لاعادة طبع الكتاب المذكور لانه تحفة شعبية احتوت الالعاب التالية : ارم الترمي ، طُره لو كتبه ، تَكْ منا جفت ، ركيبَّه لو نزّيله ، صندوگنا العالي ، التْوكي ، طُفيرك ياگمر ، سُنبيلَة السُنبيلَة ، الختيبَة ، تسعة والبيضة ، ازعيرگنْ طار الگلگ ، ملعون طَشَر خرزي ، ابريسَمْ ابريسَمْ أيشْ ، قَرَه جاك ، دِير فنجانك حَبج لبج ، تنور خَراب ، أبه حايط ، الملاوآه ، المصارعة ، المختبي بطال ، الزيتون ، الطوز ، اللعاب ، القايات ، الطمة ، المُصرع ، الحمّام ، الدُعبل ، عُودة وبلبل ، البوتاس .

المراهنات :

وقد عرف منها لدى (ولِد الطرف) في موسم الشتاء لعبة أكل البرتقال أو النومي الحلو وتتلخص فيما يلي :

يتراهن اثنان من أولاد المحلة على أكل البرتقالة الفلانية فيقول

احدهما (ابچم نوايه تاكُلْها ؟) فيقول زميله (بعشر نوايات) مثلا فيقول الاول (عليّ بخمُصطعش) فيقول الثاني (عوافي) • ثم يبدأ من رَست عليه نتيجة الرهان بأكل البرتقالة مخرجاً النوه (جمع نواة) من فمه وتسليمها الى غريمه الذي يقوم بدوره بعدّ النوايات ، فاذا ظهر في البرتقالة أو النومية المأكولة نفس العدد الذي تراهن عليه أو أكثر فهو الرابح وعلى زميله ان يدفع ثمن البرتقالة الى البائع وبالعكس ، وهذه لعبة لطيفة تعلمهم التخمين الصحيح كما أن أكل النومي أو البرتقال مفيد للصحة • وهناك رهان آخر حول أكل الرمانة باستعمال يد واحدة ومن يسقط اقل الحبات على الارض يكن هو الرابح •

وهناك رهان آخر يبدأ بمسك المتراهنين كل منهما بطرف عظم صدر الدجاجة وبعد الاتفاق على ما يؤديه الخاسر يسحب كل منهما العظم الى جهته حتى ينكسر ، فيكون الرهان نافذ المفعول وتتلخص اللعبة بان يذكر كل من يتسلم شيئاً من مراهنه كلمة (عَله بالي) واذا نسي ذلك قال صاحبه (يادَستْ) ومعناها ربح الرهان •

وهناك رهان آخر يجري غالبا في موسم الصيف اذ يكثر تجوال باعة (النامليت أبو الدُعبلة) فيتراهن زميلان على فتح البطل وذلك بانزال الدعبلة بواسطة ضرب فوهة البُطُل باليد • وبعد ان يتفق الزميلان يرسو الرهان على احدهما بفتح البطل بثلاث ضربات مثلا ، فيأخذ اللاعب بُطل النامليت ويجلسه على (گاع عَدله) ، ويضع فوق الدعبُله (شوية مَيْ) ثم يبدأ بضرب فوهته بألية كفه ، فاذا نزلت الدعبلة بالعدد الذي تراهن عليه فانه يكون الرابح وعندئذ يشرب النامليت ويدفع زميله الثمن ،

ومنهم من يوزع ارباحه من الناmليت على زملائه من ابنـــاء الطرف لكي يشجعوه على مراهنات أخرى .

الاغاني والاناشيد :

للصبيان عدة اغاني واناشيد يرتلونها في أوقات خاصة ، ومنها نشيد (طلعت الشُميّسة) الذي يرتلونه وقت شروق الشمس أو يستعطفون بـه المعلمة (الملّة) عند غروبها قبل انصرافهم من الكتاتيب ، وله لحن خاص .

طِلَعتْ الشُميسـه   على گَبُر عيشـه
عيشه بنت الباشـه   تلعَب بالخرخاشَه
صاح الديج بالبستان   الله ينصر السلطانْ
يا مُلتنه صرفينه   راح الوگتْ عَلينهْ
وشموسنه غابَت   ورواحِنَه ذابتْ
طِلعنَـه ليبَره   شفنه حبيب الله
بيده قَلَمْ فُضّه   يكتب كتـاب الله
يا فاطمه بنت النبي   أخذي كتاب المنزلِ
على صدر مُحمد العَلي

وفي مقال ارسله اليّ مشكوراً الاستاذ الكبير عبدالقادر عياش المحامي تحت عنوان الكتاتيب في دير الزور يقول (وعندما يطول بقاء الصبيان في الكتاب الى ما بعد العصر ينشدون هذا النشيد الحلو يستعطفون به المـلا ليصرفهم مبينين الاسباب :

يا ملا اصرفنا اصرفنا   تا نعلق مصاحفنا
وشموسنا غابت   وقلوبنا ذابت

ويقصدون بقلوبهم معدهم •) وهي مقاربة للنشيد أعلاه باستعطاف الملا او المعلمة عند غروب الشمس •

وهناك قول آخر للصبيان يرددونه في الكتاب وهو : سبت سبوت أحد عنكبوت ، ثنين بابين ، ثلاثاء منارة ، اربعاء زيارة ، الخميس (باعتبار دوامهم حتى الظهر) قالوا لعبتنه والجمعة عطلتنة • ومنهم من يلفظها (والجمعة دكَ اعجول على عِلبتنة) • والعلبة هي قفا الرقبة •

وفي موسم الربيع تكثر الاوراد فتباع شدّاتها (باقاتها) في مختلف انحاء بغداد ، ومن البغادة من يقطع ورقة من اوراق الوردة ويضعها فوق الحلقة المتشكلة من سبابة وابهام اليد اليسرى ، ويقول (فلانة طلعت ليبرة ـ واخدودها محمرة ـ حلوة لو مُره) ويضرب براحة يده اليمنى على ورقة الورد فانها تخرج صوتا (طِقْ) فاذا طقت صاحوا (حلوة) وبعكسه •
ومنهم من يقولها كما يلي :

فلانة طلعت ليبرة   واخدودها مُحمَّره
لاگوها سته سبعه   گجبه لو حره

ويضربون ورقة الوردة فاذا (طقت) وهذا ما يحدث غالباً فانها (حُرة) •

وعند تساقط رذاذ المطر يخرج أولاد المحلة يلعبون فرحين وهم ينشدون :

مطر مطر عاصي طول شعر راسي
راسي بالمدينه ياكل حَبه وتينَه
يا ربي مطرّهه على عناد العلوچي
علوچي بيده فاسه يمشي وينگر راسه

والذي اعتقده تفسيراً لهذا النشيد ان الصبيان حين دعوا الله بقولهم (يا ربي مطرّها ..) كانوا يريدون هطول المطر الذي انقطع مدة طويلة نكاية بالعلوچية الذين احتكروا الاطعمة وكانوا سببا في ارتفاع اسعارها .. (علوچي بيده فاسه ..) أي أن ذلك المحتكر سيخسر عند هطول المطر اذ سيكثر الزرع وتهبط اسعار الحبوب التي احتكرها وقولهم :

علوچي بيده ليرة يمشي ويحك ابـ ...

أي أن هذا العلوچي قد باع ما احتكر وقبض الثمن (ليرات حمر) قبل نزول المطر ، لذا تراه (مستهزئا) يمشي ويحك ..

وهناك اهزوجة لا تدل على ذوق ولست ادري لِمَ يرددها الصبيان آنذاك وهي :

امي راحت للسوگ جابت چَلب مَسلوگ
چلَكْچگته بالابرة طَلعت دم وجراحة
كلمن يبچي ياكله

(واغلب الظن أنها تهديد لمن يبكي من الصغار خلف امهم والا فكيف يباع الكلب مسلوقاً ؟!)

وتكثر اللقالق على سطوح بغداد في موسم الصيف اذ تترك اعشاشها امانة لدى البغادة الذين يحافظون عليها كما هي حتى عودة اللقلق في الموسم القادم • وللصغار والصبيان نداء للقلق وهو هذا :

لگلك لگلك امك تطلك
بوّاك الصابونه من فوگ الرازونه

وهناك ترجمة بارعة لهديل الحمامة المطوقة التي يسميها البغادة (فختيه) اطلقتها حناجر الاطفال مع اول الصباح وعلى نغم الفختية :

كوكوختْي وين اختي ؟ بالحله
واشتاكل ؟ باجله
وشتشرب ؟ ماي اللّه •

وهذه انشودة اخرى ينشدها الصبيان اثناء لعبهم بنغم خاص بها :

فوطه على فوطه والعين مجلوطه
يحية اللكلك تدبي على رجلي
رجلي محنايه وديتها للخان
الخان ميريدها ايريد بلوطه
فوطه على فوطه والعين مجلوطه

وهذه انشودة أخرى ينشدها الصبيان يداعبون بها سكان الكرادة (وهي من ضواحي بغداد آنذاك) :

كرادي كرادي يابو بيتنجانه
خلي الجلب نايم ومعنتر إيذانه

خشيت للساحة ، ولگيت تفاحه

والله ما آكُـلها ، علما يجي خالي

خالي يبو بَحريّه وعمامتَه حُوريّه

شالهَا ومُطلها بالگاع ، طلعت منها بُنَيّة

بُنَيّه اسمهَا بطه ، تلعب بگريش الحنطه

يا ربِ لتساعدها ، ساعد بنات الجنْجِلْ

والجنْجلْ بيدَه ريشه ، ويطارد عالكديشَه

كديشة عمي سالم ، أكّالةِ الأوادم

خرَا بروح جِدّيته .

السبيلخانة

السبيل هو الطريق ، وخانه اعجمية الأصل معناها محل ، واصطلح بها على محل توفير الماء لعابري السبيل ، وهناك من يُسميها بسقاخانه ، وكلا المعنيين يشير الى محل خاص يقيمه أهل الخير لتوفير الماء لعابري السبيل تقرباً الى الله العلي القدير ، لأن ارواء الظامي‌ء انساناً كان أم حيواناً عمل جدير بالتنويه • ولقد اعتاد كثير من الموسرين اقامة مثل تلك الاماكن احياء لذكرى عزيز راحل •

وفي بغداد سبيل خانات كثيرة منها سبيل خانة النقيب في محلة السنك وسبيل خانة المنطكة بين الكاظمية وسوق الجديد في الكرخ ، والسبيل خانة التي بناها والدي جاسم الحاج محمد خلف الحجيّه على حافة البَقجه المحاددة لبستان الربع [1] التي ورثها عن والده الحاج محمد الحجيه متعهد أرزاق الجيش العثماني في بغداد أيام حكم الوالي مدحت باشا سنة ١٨٦٩م • وموقع تلك السبيل خانه يقابل اليوم جامع عادلة خاتون ، وان جدارها لا زال قائماً على الرغم من مرور سنين طويلة •

وقد بناها جاسم الحجية في ذلك المحل يوم كان الوصول الى الاعظمية والكاظمية يرهق الناس فقد كان المسافر يمتطي دابة (حماراً أو بغلاً أو حصاناً) وربما سافر جماعة يجمعهم كروان (قافلة) •

---

(١) يقال ان الشقي طه بن الخبازة كان يقضى معظم أوقاته في بستان الربع بالصرافية بعيدا عن انظار الحكومة (راجع : كتاب بغداد القديمة للعلاف ص ١٣٧) •

وكان معظم الموسرين من البغداديين يعتنون بتربية الخيول لركوبها في تنقلاتهم ، ومنهم من يركب الحمير البيضاء (الحساوية) نسبة لمدينة الحسا التي يقترن اسمها بالقطيف (وهما من امارات الخليج العربي الواقعة بين الكويت والبحرين) .

وشيدت تلك السبيل خانه سنة ١٣١٨هـ (١٩٠٤م) على ارض مساحتها ١٥٦ متراً مربعاً وكان بابها وشباك شرب الماء موازيين لشارع الامام الاعظم اليوم . وكان حوض ماء الشرب يلي الشباك مباشرة كما انه مرتبط بمجرى الى حوض مُقَيّر من داخله بطبقة سميكة من القير وهذا الحوض متصل بساقية ماء يصلها الماء من الجَرِد الذي يسقى بستان الربع وفي هذا الحوض يترسب الماء ، وهناك عامل خاص للسبيل خانه يقوم بملء الحوض بالماء من الحوض الكبير ، وتنظيفه وادارة شؤون السبيل خانه مقابل أجور شهرية كان يدفعها جاسم الحجية .

وكان في الجهة المقابلة للمدخل مصلى واسع ، وفي الجهة اليمنى منه حفر بئر لاستعماله عند انقطاع ماء الساقية . وكان المارة وعابرو الطريق يستريحون هناك ويتوضأون ويؤدون الصلاة ان كان وقت وصولهم اليها في أوقاتها وقرر جاسم الحجيه حينذاك نقل رفاة والده المرحوم الحاج محمد خلف الحجيه الى السبيل خانه الا ان جماعة من اقاربه لم يوافقوا على ذلك وظل قبره قائماً حتى اليوم في محله بمقبرة الشيخ عمر السهروردي وقد أرخ ـ المرحوم العلامة عبدالوهاب النائب المتوفى ظهيرة يوم الخميس ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٤٥هـ والمدفون في الروضة المقابلة لروضة الامام محمد الفضل في جامع الفضل تاريخ بناء تلك السبيل خانة بثلاثة أبيات

احفظ منها الاول فقط ، وهو :

جاسم قد بنى وأحسن صنعاً   لابيـه محمـد خير منهَل

وبعد ان انتفت الحاجة اليها بوصول العمران بين الاعظمية وبغداد واستعمال وسائط النقل الآلية .. هدمها جاسم الحجيه سوى جدار واحد كان يحتوي على المدخل ومحل شرب الماء وفوقه المرمرة التي حفرت عليها أبيات العلامة عبدالوهاب النائب ، وظلت حتى سنة ١٩٥٩ حيث باع الورثة بقايا ملك الحاج محمـد خلف الحجيه وبضمنها البيتان اللذان انشئا على انقـاض السبيل خانه فهدم من اشتراهما محل المشرب وادخله في بيته ، وهدم بذلك المرمرة الاثرية بدون علم احد من اولاد جاسم الحجيه وعند مراجعتي من اشترى الدار علني اجد من كتب الابيات على الاقل لم افلح ، وحمدت الله على انني لا زلت احفظ البيت الاول والذي سجلته في أول الحديث تخليداً لذكرى جدي باش قصاب بغداد ومتعهد ارزاق الجيش العثماني المرحوم الحاج محمد خلف الحجيه .



تربية الطيور هواية اتخذها بعض البغداديين ملهاة يأنسون بها ويقتلون بتربيتها أوقات فراغهم ، ومنهم من ولع بها ولعاً شديداً فترك اشغاله بسببها واتخذها سبيلاً للتعيش •

وهاوي تربية الطيور في بغداد يسمى مطيرچي ، وجمعه مطيرچية • ان معظم الناس لا يرتاحون لمجاورة المطيرچي لانه يقضي أكثر أوقاته على السطح العالي ، وهذا ما يمنع المرأة من الظهور فوق سطح بيتها لشر الهدوم أو تگليب معجون الطماطة أو الدبس وغير ذلك ، وشهادة المطيرچي مرفوضة لانه يكثر من الايمان التي يحلفها كاذباً في سبيل تحقيق ملكية طير يدعي انه صاحبه وهو لسواه •

بناء ابراج الطيور :

يبنى المطيرچي قفصاً خاصاً في أعلى سطح بيته بالطابوق والطين أو الجص من جهاته الثلاث ويعمل بابه من جريد النخل الذي يباع جاهزاً ، ويسقفه بالمرَادي القوَغ (السپندار الذي يزرع بكثرة في الشمال) ثم يفرش عليها عدة حُصُر يرشقها بالطين الحُري المخمّر كرشق سطوح المنازل وهذا القفص يسمى برجاً وفق مصطلح المطيرچية • وكانت الابراج عبارة عن قفص تتكون أضلاعه الثلاثة من جريد النخل وضلعه الرابع هو احد جدران سطح البيت ويسقف بألواح خشبية ترشق بالطين • ويغطى

البرج بالكواني صيفاً وشتاء لوقاية الطيور من شدة الحر أو البرد • ويختلف حجم البرج باختلاف عدد الطيور التي يجنيها ذلك المطيرچي •

ومن مصطلحات وتسميات المطيرچية في هذا الباب :

الحَلَّهْ : وهي سلة اسطوانية الشكل مفتوحة من احد جهتيها ، تصنع من القصب ، ويوضع في كل برج عدد منها تأوى اليها الطيور عند وضع البيض والتفريخ •

الطور : إناء خاص مصنوع من الفخار تشرب منه الطيور الماء (وهذا الماء يُبدل عادة يومياً) •

اللُگطْ : كلمة عربية تنظر الى اللقاط وهو الطعام الذي تلتقطه الطيور كالدُخُن والاذرة البيضاء •

الشِگفْ : اداة يستعملها المطيرچية في اصطياد الطيور الغريبة وهو عبارة عن حلقة ذات ذراع تضع من أعواد الرمان أو الصفصاف يحاك حولها شبكة من الخيوط القطنية القوية المسماة خيط هندي وذلك لشَگُفْ الطير واسقاطه في تلك الشبكة •

الحُرُب : وتعني (الحرب) فاذا قال المطيرچي : (انا وفلان حُرُب) فمعنى ذلك انه اذا اصطاد طيراً من هذا الفلان ولا يعيده اليه •

صُلُح : وتعني الوئام والسلام بين مطيرچي وآخر •

فُكَك : اذا علم احد المطيرچية ان طيره المفقود موجود عند فلان فانه يحاول استرجاعه مقابل مبلغ من المال ، وهذا المبلغ يسمى فُكك (أي

ثمن فك الطير) ٠

جَلِدْ : صفة للطير الذي يعرف بُرجَه معرفة تامة ولا يمكن ان ينساه ٠ فاذا خطفه احد المطيرجية باحدى الوسائل وقصّ جناحيه فانه لابد أن يعود الى برجه عند ظهور الريش الجديد واستقامة جناحيه ٠

انوالَهْ : طير عادي يقص المطيرچي جناحيه ويستعين به في أصطياد الطير الغريب الذي يحوم في الجو ٠ وعملية رفع الطير النواله وهو يحرك جناحيه تسمى (دَيْنَوِّلَّهْ) ٠

فراخ : الطيور التي لم يمضِ على تفقيسها شهران ٠

الجوگه (أو الگومَة) : هي مجموعة الطيور أثناء طيرانها في الجو ٠

خرّاعَه : تنكة يضرب بها المطيرچي على الحائط أو صافرة يصفر بها أو خرقة سوداء مربوطة بعصا طويلة يستعملها في تخويف الطير الذي يريد ان يَحُطْ (يقطع طيرانه) ويتيّغ (يوكّرْ) بينما صاحبه يرغب ان يطير مدة أطول ، وقد يصيح المطيرچي (عاع) بين حين وآخر ومنهم من يتخذ جناح صگر أو حديّة أو شاهيناً محنطاً كخراعة ، يرهب بها طيوره لاجبارها على الطيران مدة أطول ٠

الزَق ْ : قيام الأبوين باطعام فراخهما ٠

الحافي : الطير الذي ليس على ارجله ريش ٠

المحجل : الطير الذي يكسو الريش ارجله ٠

المنعّلْ : وجود نقطة بيضاء على ظهر الطير بالقرب من الذيل وغالباً

يطلق هذا الوصف على الحُمُر منها والصفر والكومرلي وغيرها .

تَلَّكْ : يوصف به الطير الذي ينفض ريشه في وقت معين من أوقات السنة ليستبدلها بريش جديد .

فالول : وهو الثؤلول الذي يظهر في رأس الطير .

أنواع الطيور :

وهي عند المطيرجية كثيرة ، منها الفضي والأشعل والأزرق والاحمر والاصفر والبَدْرنك والكومرلي وكورنك والاورفلي الابيض والمكتَّف بالاسود والمكتّف بالاحمر أو بالاصفر واورفلي حَمَام والرمادي والعمبرلي والمسكي والمسكي دكّات والألاج (بتفخيم اللام) وغيرها ..

ومحل بيع وشراء الطيور وجميع لوازمها هو سوق الغزل الكائن بالقرب من جامع الخلفاء ذي المنارة المشهورة بمنارة سوق الغزل ، في شارع الجمهورية بالقرب من الشورجة ببغداد .

الوفاة ومراسيم العزاء

يبالغ أهل بغداد مبالغة فائقة في اظهار الحزن عند وفاة احد ذويهم ، فاذا مات شخص في مكان يُغمّضْ عينيه مَنْ كان في جواره ثم يُسدّ فمه ومنهم من يشد حِناكي (ربطة من تحت الذقن تعقد فوق الرأس) وذلك لسد فم المتوفي ، ثم توضع جثته مغطاة في وسط الحوش (فناء الدار) ويبدأ العياط حيث تمزق النساء ملابسهن وتسمى (شگ الزيگ) وينثرن شعورهم بعد خلع الجرْغد والفوطة أو الكيْش أو البويمه ، وهناك من يضعن كزوجة المتوفى أو بناته السخام على وجوههن والطين أو التراب على رؤسهن ويلطمن الوجوه والصدور بالاكف مع العياط المستمر (يبُوو - يبوو ..) وبعد ذلك تتوافد جموع النسوة من الاقارب والجيران وكل من يدخل يصرخ من باب الحوش (يبوو ...) ثم يشتركن في اللطم والبكاء . ويطلب أحد القراء من الجامع ليصعد فوق السطح العالي (للتمجيد) بينما يذهب أحد أبناء المحلة أو أحد الاقرباء في طلب المغسِّل (وهو الذي يمتهن غسل جثث الموتى) ويذهب احدهم لشراء الزهاب (القطن والخام والكفن والتابوت وماء الورد والبخور والخ) كما يذهب آخر لاشعار الحفّار (وهو الذي يقوم بحفر القبور ويعرف مقبرة كل عائلة) بينما يقوم غيرهم باخبار الاقرباء والاصدقاء بالحادث اذ لم تتيسر التلفونات في ذلك الحين .

ويقوم أفراد العوائل المجاورة باخراج الكرَويتات والكراسي وصَفِّها في الدربونة يمين ويسار دار المتوفى ، ومنهم مَنْ يقدم الماء والسكاير للجنّازَة (وهم الاصدقاء والمعارف الذين اشتركوا في تشييع الجنازة) .

وبعد اتمام مراسيم التغسيل والتكفين ووضع الجثة في الصندوق يستعد القصاب لنحر الخروف في باب الدار عند اخراج الجنازة ويوزع لحمها للفقراء ، ومنهم من يوزع الحنطة مع لحم الذبيحة .

ويساهم عدد من الاقارب والاصدقاء في حمل الجنازة واخراجها من الدار وعندئذ يتعالى العياط ويتضاعف اللطم والبكاء ثم تخفض الجنازة وترفع ثلاث مرات عند مدخل الدار .

ويغطى الصندوق بقماش خاص (طَاقَه)[١] ويوضع في مقدمته لباس راس المتوفى ، كما يغطى صندوق المتوفاة بالعباءة ويوضع في مقدمته الكيشْ أو البويَمَهْ ، وبعد ذلك تحمل الجنازة الى أقرب جامع لاداء صلاة الجنازة ثم تحمل الى مرقدها الأخير مشياً على الاقدام ، واذا مرت الجنازة من أمام مقهى هرع معظم الجالسين فيها للسير خلفها ولو بضعة خطَوات . واذا مرت من أمام دكان فلابد لصاحبه من المشاركة ولو بالمسير خلفها بضع خَطَوات .

وتوقد في دار المتوفى شمعة لمدة ثلاثة أيام ويحرق فيه البخور[٢] .

---

(١) ومنهم من يحتفظ بهذه الطاقة في بيته لاعارتها لمن يطلبها وذلك طلباً للاجر والثواب .

(٢) من عادات البغادة انهم يحرقون البخور ليالي الجمع لاعتقادهم ان رائحة البخور تطرد الجن من البيت لذا فان باعة البخور ينادون (الليلة جمعة والصلاة على النبي) لتذكرة الناس بليلة الجمعة . وأحسن أنواع البخور هو ما يستورد من الهند .

أما الجَنّازه فهم يتبادلون حمل النعَش ، واذا قدم شخص لاستلام جهة النعش قال (واحد الله) فيجيبه من سَلَّمه مكانه (ستّار الله) وهكذا حتى يصل النعش الى الجامع حيث تقام صلاة الجنازة • وبعد انتهاء الصلاة تبدأ مراسيم سقاط البول إذ يهيء القائم بالمصرف كمية من الفلوس الخُردَة في صُرَّه (كفيّه) ويعطيها الى الملـه الذي يجلس قرب راس الصندوق وحوله بقية الفقراء الذين يحيطون الصندوق من جهتيه ويبدأ باعطاء صرة الدراهم الى أقربهم منه قائلاً (قَبَلْتَه وهَبته) وهذا بدوره يكرر العبارة وتستمر الصرة في الانتقال من واحد الى آخر ثلاث مرات ثم يقوم أحد الجنازة ويكون غالباً مختار المحلة بتوزيع محتويات تلك الصُرة من الدراهم وتسمى (سقَاط بول) ثم تنقل الجنازة الى قرب الحفرة التي ستوارى فيها بالتراب •

ويقوم أحد قراء المقابر بتلاوة ما يتيسر من آي الذكر الحكيم وعند الانتهاء من وضع اللحد يقوم شخص آخر (بالتلقين) أي تلقين الميت ، ثم يقول (رحمه الله من واراه التراب وقرأ سورة الفاتحة) عندئذ يهيل كل جَنّاز حفنة التراب التي في يده على حفرة القبر ويقرأ سورة الفاتحة • ثم يقف المقريء وذوو المتوفى في ساحة المقبرة بعد أن يتكامل وقوف الجنّازة على شكل قوس كبير ، فيبدأ بقراءة الدعاء ويختمه بقوله : (يا جَماعة الحاضرين إشتِشْهدون بحقّه ؟ فيجيبه الحاضرون بصوت عال وكلهم آسفون صايم مصلي ، خايف الله ، رَحوم ، آدمي بن أوادم • وغيرها) من العبارات التي يقولها كل منهم ثم يتعاقب الجنّازه على ذوي المتوفي (الذين

يقفون عـــادة متجاورين الأكبر الى اليمين فالأصغر) •• لمصافحتهم واحداً واحداً ذاكرين بعض العبارات التالية (عـَظـَّم الله أجركم ، البقية بحياتكم ، انتو طيبين ، كلنا اِلهـَل دبرب ، الله اِيصـَبركم) مشاركة في الحزن وتهدئة للخواطر •

واذا كان المتوفى شاباً أو شـــابة وفي سن الزواج فان ذوي المتوفى يحضرون صواني شموع وحنة وصواني چرك ، أو حلاوة وخبز • وتغطى الصواني بالبقچ الملونة وتعزف الموسيقى لحناً خاصاً يسمى (حزايني) •

× أما اذا كان المتوفى عسكرياً فللجنازة العسكرية مراسيمها الخاصة اذ تحمل الجنازة على عربة مدفع أو سيارة وذلك حسب الرتب ويلف النعش بالعلم العراقي ويشارك في التشييع عـــدد من الجنود بأسلحتهم • ويتوقف حجم القطعة العسكرية المشيعة على رتبة المتوفى أيضاً ، وعند اخراج الجنازة يبدأ الجنود بتأدية التحية العسكرية بالسلاح ، ثم يسير موكبها على أنغـــام الموسيقى الحزينة • وعند انزال الجنازة في اللحد ، ينفخ المبوقون نغمة خاصة (النوم) يرشق بعدها الجنود ثلاث رشقات بالعتاد الحقيقي • ويكون هـــذا التشييع عـــاماً للمتقاعدين ولمن كان في الخدمة ضباطاً ومراتب • والجدير بالتنويه انه يجب عـــلى كل عسكري تأدية التحية العسكرية لكل جنـــازة يصادفها في طريقه •

× أما من يدفن في النجف الأشـــرف فبعـــد حضور كافة الأقارب والاصدقاء تنقل جثته بالتابوت ثم تجري كافـــة مراسيم الغســـل والتكفين والدفن ، هناك ، وفق قواعد خاصة •

مجلس الفاتحة :

ويقام مجلس الفاتحة عـادة في بيت أقارب المتوفى أو في بيت أحـد الأصدقاء (كما يقام مجلس عزاء النساء في دار المتوفي) وقد يستعير من يقيم الفاتحة عدداً من المقاعد من الجيران ويعد الدار اعداداً جيداً لاستقبال أكبر عدد من المعزين .

وهناك من يقيم مجلس الفاتحة في الحسينيات أو في الجوامع . والمألوف أن يجلس القهواتي خارج الدار وبالقرب من المدخل لاعداد الگهوه العربية (المُره) وتقديمها للمعزين ، كما يجلس ذوو المتوفى متجاورين بالقرب من الباب ، ويخصص محل خاص (للملالي) ، الذين يرتلون آيات القرآن الكريم بالتناوب .

يستمر مجلس الفاتحة ثلاثة أيام متتالية منذ الصباح حتى صلاة العشاء ، وفي أيامنا هذه أخذت بعض العوائل تحدد موعد الفاتحة بالمـدة الواقعة بين الساعة السادسة والثـامنة مساءً أو بمدة اخرى تراها مناسبة . وعند قدوم شخص الى مجلس الفاتحة ، يواجه الحاضرين بالسلام ، وبعد أن يجلس يقول (الفاتحة) ثم يقرأ هو والحاضرون سورة الفاتحة ، ومن ثمة يقدم له أحد (الوگـاّفة) السكاير ويدخل القهواتي وبيده الجوزة ليقدم له القهوة . وفي هذه الأيام اعتاد أحد الوگافة أن يقدم القهوة في صينية صغيرة تحتوي على عدد من الفناجين . واذا همّ أحد الجالسين بالخروج يقول : (رحم الله من أعادَ سورة الفاتحة) ويقرأ هو والحاضرون سورة الفاتحة ، ثم ينهض لمصافحة ذوي المتوفي مشاركاً اياهم حزنهـم داعياً لهم بالصبر والرحمـة للفقيد .

وفي مساء اليوم الثـالث من الفاتحة يدور أحد الوگافة حاملاً بيده كلبـدان (وهو الاناء المستعمل لحفظ ماء الورد) على الجالسين لوضع ماء الورد في أيديهم ليشعرهم بأن هذا اليوم هو الأخير من أيام الفاتحة • كما يعد ذوو المتوفى عشاء للحاضرين في اليوم الثالث •

حلاقة اللحية :

يطلق ذوو المتوفى عادة لحاهم لمدة ثلاثة أيام ومنهم من يطلقها لمدة سبعة أيام يدعوهم بعدها أحد الاصدقاء ومعهم بعض المقربين وعدد من أبناء المحلة الى داره حيث يقوم أحـد الحلاقين بحلاقة رؤوسهم وذقونهم ثم يتناولون طعام الغداء • ومن عادة أهل بغـداد مشاركة للجار في أفراحه وأتراحه أن لا يقيموا أي فرح في الطرف لمدة أقلهـا سبعة أيام وأكثرها أربعون يوماً ومن المغالاة في هذا الصـدد أن نساءهم يرتدين السواد عند ذهابهن الى مجلس العزاء ، و لايضعن مساحيق الزينة في وجوههن طوال تلك المدة • وقد تعطل في هذه الايام الكرامفونات والراديوات مشاركة للجار العزيز في حزنه •

البيض وورد الماوي :

بعد اخراج الجنازة يحاول بعض الاصدقاء تهدئة خواطر أهل المتوفى واجبارهن على الكف عن اللطم والصراخ والعويل بعد أن ينال منهن التعب في الچاينه مناله •

ومن عادات أهل بغداد قيام احدى عوائل الطرف بأخذ صغار عائلـة المتوفى عندهم لاطعامهم والعناية بهم وقيـام عائلة اخرى بارسال كمية من البيض المسلوق وقواري تحتوي على ورد الماوي المخدر مع الاستكانات الى

عائلة المتوفي (وورد الماوي هو عشب بري لونه أزرق ويباع لدى العطاطير) ويعتقد البغادة بأن تعاطي شرب ورد الماوي المخدر يهديء الاعصاب ، كما انهم اختاروا البيض طعـاماً للحزين في يوم المصاب لانه لا يسبب أي أذى لعائلة المتوفى بل يعصمهم من الشوطة (وهي فقـاعات أو بثور جلدية أو حكة يعتقدون بأن ظهورها يحدث من جراء تناول المقهور «ويلفظونه مقحور» شيئاً من السمك، أو الباذنجان أو مرقة العدس.) ولذلك تجبر احدى بنات الطرف عائلة المتوفى على تناول ولو استكان واحد من ورد الماوي .

كما يقدم الاقرباء والاصدقاء والجيران شيئا مما سأذكره أدناه مساهمة منهم في المأتم ويسمى (فضل) وهذه المساهمة تتفاوت بتفاوت العـلاقة أو الفضل السابق الذي بذمة من يرد الفضل ، ومن ذلك : كيس تمن ، أو تنكه دهن أو أكثر ، أو سكاير ، أو قهوه غير مقلاة ، أو خروف أو أكثر ، او قطع قماش أسود ، أو قماش عباءة . ومنهم من يقوم بخياطة (دشداشه) سـوداء في اليوم الأول من وقوع الحادث لـكل امرأة من ذوي المتوفي « لتحزينهن » وتخليصهن من ملابسهن الملونة التي كن يرتدينها عند وقوع الحادث المؤلم .

ومناسبات رد الفضـل كثيرة منها : الزواج أو الولادة أو الوفاة أو شراء دار أو بناؤها أو ختام الولد أو نجاحه في المدرسة أو الطهور (الختان) أو انتهاء مدة محكومية سجين أو قدوم حاج بعد تأدية فريضة الحج أو شفاء مريض أو قدوم مسافر غائب لمدة طويلة وغير ذلك .

عند اخراج الجنازة تجتمع النساء في منتصف الدار وتقوم (العدّادَه) أو (الگوّاله بتفخيم اللام) بتعديد صفات المتوفي وشهامته وكرمه ومواقفـه

الحميدة ، وحالة أهله وأولاده من بعد فقده بنغمات حزينة مبكية مما يزيد أهل المتوفي وأقرباءه بل الحاضرات جميعاً بكاء ولطماً وهن يرددن بيتاً من أقوال العدادة وتسمى (الردَّه) . وهذا النوع من اللطم يسمى « الچاينَه » اذ تلطم النساء وجوههن وجبهاتهن وصدورهن العارية ويمزقن الثياب . ونظراً لوطأة الچاينة الشديدة على القائمات بها وتعرضهن للمرض نتيجة للّطم فهي تقتصر على اليوم الأول بعد اخراج الجنازة ، واليوم الثالث والسابع وفي أدناه انموذج مما تقوله العدادة في الچاينَه :ـ

يا حلوين الشوارب وين هالنيه
لا تُبْطونْ والطلعَهْ اِفراگيّه

★ ★ ★

أنا بنفسِي أزوجَهْ وأنظر اِجهَازه
وأعزملَّهْ النِشَامَهْ تلم شوباشه
أفرشْلَهْ الكُبَّهْ وانظر افراشه
رايح يالسبع ويلاه من ديه
« الردة »

دار أهل الكرم ويلاه حَزنانَهْ
شايل يا السبعِ وُبعَدْ ما جانَهْ
عسىُ بعيد البَلَهْ الدار خليانَه
يَمتَه ، يا سبع اِتبيّن اِعليَّه
« الردة »

واذا كان بين اللاطمات من فقدت ابنتها فان العدادة تقول شيئا عن « البنات » مجاملة لها ، وتكون الردة نفسها ـ اذ تقول :

حبايبنَه مِشنَ ْ ليوين منَواهن

طول اِنهاري أذكر حـَچـَاياهن

بالعيد البِلَه ْ احنه فگدناهن

لا تبطين يمُّه ْ بَيني اِعليّه

« الردة »

عزاء النساء :

ويسمى (عـَزه النسوان) ويقام بعد انتهاء چاينه اليوم الأول ، وعليه تتعاون بعض نساء المحلة من صديقات العائلة بفرش الدار ويُهيئن مجلس العزاء ، فاذا كان الموسم شتاء ، فانهن يفرشن الدار بالزوالي والدواشگ ويغطينها بالحرِم أو الجواجيم ويدفئن الحوش بالمناقل (أو الصوپات) مع تهيئة أدوات الگهوة والسكاير وتكليف احداهن بمسئولية تقديم القهوة ، واخرى بمسئولية تقديم السكاير وثالثة بتقديم الماء للحاضرات في مجلس العزاء ، وغالباً يكن « الوگافات » من أقرباء عائلة المتوفي أو من بنات المحلة . ومن عادات أهل بغداد استعارة ما ينقصهم من زوالي وفراش أو أدوات طبخ أو صواني من بعضهم في المناسبات على اختلافها .

وعند المساء تحضر (المله) والعدادة وبعد أن تتوافد النساء ويزدحم المكان تبدأ احدى أفراد عائلة المتوفي بالبكاء ثم تعقبها بقية الحاضرات و كل واحدة منهن تلف وجهها بالعباءة ثم تبدأ بعدئذ العـَدادة بترديد بعض

« العدودات » التي سأذكر بعضها ، ويستمر البكاء فترة من الوقت ومنهن من تضرب بكفها على فخذها أو على صدرها . ثم يتوقف البكاء ويسمى « فصل » وتبدأ الوگافات بتقديم القهوه المره والسكاير ، وبعد فترة قصيرة يبدأ الفصل الثاني بقيام المله بقراءة المولد النبوي الشريف ، وبعد ذلك ينفض مجلس العزاء على أن ينعقد في اليوم التالي في نفس الموعد ووفق الاسلوب نفسه .. وهكذا لمدة أربعين يوماً . وتتناول المله وجميع الحاضرات طعام الغداء . وتختتم المله قراءة المولد النبوي الشريف يوم الاربعين في مجلس عزاء يعقد صباحاً . ثم يستمر مجلس العزاء مساء كل يوم اثنين وخميس من كل اسبوع خلال سنة . وهذه بعض العدودات :

ما يقال عند وفاة « أبو البيت » :

حوش الچبير وفَنَرْ بي

من وسط العَجَمْ حَطْ الفرِشْ بي

عَلَوّاه يجينَه السَبعْ رَاعِيهْ

واخرى :

اِسْبَاعنه بالچُول نامتْ

ودنيّاتْنَه للنَذِل دَامتْ

حَرِيم المعَزَّه وين هَامتْ ؟

واخرى عند فقدان الوالد أيضاً :

شَگرَه ام الزلِفْ لاذَت وَرَه الباب

وبصُـوتْ عالي اِتصيـح يا باب

وجَاوَ بهه الفَلا راحـوا الاحباب

ما يقال عند فقدان « الابن » :

اِبنـــي ويا محبَس يَميني

يا زَهْـــوة الدنيـــه بعيني

اوغيرك يا يُمَّهْ مِن يجيني ؟

ما يقال عند فقدان « بنت » :

فراك الحبَـايب يا خَلـك نار

شَالَـنْ وخَلَّـنْ بالـگلُبْ نار

وظلّ الـدار ينعـي حَبْيَبْـبَة الـدار

فك الچاينه :

يوضع في اليوم السابع من وقوع الوفاة سيفان من السيوف القديمة على الأرض ، ويقف أهل المتوفي وأقرباؤهم وجميع الحاضرات على شكل دائرة حول السيفين وتبدأ العـدادة بأقوال الچاينـَة ، والنادبات يرددن (الردّه) وبعد أن يظهـر التعب على أهل المتـوفي تدخل امرأتان لتحملا السيفين المذكورين وتجولان عدة مرات وهما تلوحان بهمـا ثم تشهرانهما بوجـه النـادبات طالبتـين منهـن التفرق وتسـمى تلك العمليـة بفك الچاينه وبعض العوائل يخرجن في اليوم السابع ملابس المتوفي وسـلاحه

وصورته ان كانت له صورة وغير ذلك من مخلفاته .

ومن العدادات المشهورات في بغداد حسب قدمهن اشوره السُودَه من صوب الكرخ ، وسميّه زوجة سلمان الاوتچي بالمهدية وبنت شويش وبنت مَحَش في محلة الفضل ـ العَزّه وبنت جاروده أم شاكر النجار في محلة المهدية أيضاً .

تتقاضى العدادات والمله اجوراً من ذوي المتوفي (اِكراميّه) مع هدية قد تكون قطع قماش أو عباية أو تنكه دهن وغير ذلك ..

الحلاوة :

توقد عائلة المتوفي شمعة كافور عند صفار الشمس لمـدة ثلاثة أيام متتالية كما توزع حلاوة (من التمر والدهن والطحين) وذلك بوضع كمية منها في وسط رغيف خبز . وتوزع رغفان الخبز والحلاوة على الفقراء لمدة ثلاثة أيام أيضاً ، وغالباً ترسل رغفـان الخبز والحلاوة الى أحد الجوامع حيث يكثر الفقراء . كما يحرق البخور في بيت المتوفي أيضاً .

الحـداد :

يلبس جميع ذوي المتوفي من النساء الملابس السوداء ولا يتزوقن ولا يحففن وجوههن ، ولا يستعملن الحناء ، وبعض العـوائل تبالغ في اظهار الحزن بحيث تجعل وجوه الدواشك والستائر كلها سوداء لمدة عام كامل أو أكثر .

العِـدّه :

اذا كان المتوفي متزوجاً فلابد لزوجته من (دخول العِدّه) ومعناها

أن تبقى الزوجة مدة مائة يوم (ثلاثة أشهر وعشرة أيام) لا تواجه رجلاً (يَحلّ) عليها الزواج منه ، والغاية من هذه العدة معرفة والد الجنين الذي في بطنها اذ ان بطن الحامل خلال تلك المدة تكون ظاهرة للعيان • وحتى اذا أرادت التزوج (وهذا نادر الوقوع بين البغداديات) فالمعروف ان الطفل الذي في بطنها انما هو ابن المتوفي • ومن تمسك العِدّة عليها أن تقوم بما يلي :

لا تنام على سرير بل تضع فراشها على الأرض ، كما لا تنام تحت النجوم حتى لو كان الموسم صيفاً ، ولا تمسك سكيناً ، ولا تستعمل الابريق في المرحاض باعتباره مذكراً بسبب وجود (البلبوله) وتحتفظ بقلامات أظافرها والشعر المتساقط من رأسها حتى انتهاء مدة العده ، واذا طُرقت بابهم فلا تستفسر عن الطارق ، وتغتسل في فترة العدة كل يوم جمعة مع التمجيد (قبل آذان الظهر) •

فك العِدّة :

بعد انتهاء فترة العدة تذهب الأرملة معصوبة العينين بمصاحبة أحد قريباتها ومعها قلامات أظافرها وشعرها المتساقط التي جمعتها في تلك الفترة الى النهر وهناك تفتح عينيها وتنظر الى الماء المنساب في النهر ثم ترمي (عُگدة) الشعر والأظافر في الماء وتعود الى دارها •

والتي لا تدخل العدة هي المرأة التي لا يعاودها (الحيض) أي التي بلغت سن اليأس • وعلى بعض النساء واجب الدخول في العدة الا ان هناك أسباباً تمنعهن من ذلك اذ لا معين لهن على تربية الاولاد ولابد لها من الخروج من الدار ، ولذلك تمر ثلاث مرات من تحت جنازة زوجها عند

اخراجها من البيت من قبل الجنّازة للتخلص من طوق الحديد الذي تطوّق به الزوجة في يوم القيامة •

توزيع الخيرات على الفقراء :

ذكرت قبل قليل ان عائلة المتوفي توزع حلاوة التمر والخبز لمدة ثلاثة أيام متتالية وفي اليوم الثالث يكون (المله) قارىء القرآن والذي تكلفه عائلة المتوفي بمسك ختمة (أي اختتام قراءة القرآن الكريم لقاء اجور شهرية) قد أكمل الختمة أو كاد ، فيحضر مع جماعته الى دار المتوفي ويقرأ الختمة ثم يتناول معهم طعام العشاء ويوزع باقي الطعام على الفقراء •

مراسيم اخرى :

في اليوم السابع : ختمة وعشاء كما في اليوم الثالث •

يوزع في سبع جمع متتالية نوع من الطعام على الفقراء •

في يوم الاربعين : إقامة (تهليلة وقراءة الذكر) وفي بغداد فرق خاصة لاقامة مثل تلك الشعائر الدينية لقاء اجور تتقاضاها من عائلة المتوفي فور الانتهاء منها • وأشهرها فرقة الحافظ مهدي بمعاونة أحمد شعبان • وتبدأ التهليلة والذكر بعد صلاة العشاء ، وتقدم في منتصف الليل (التمتوعه) للقراء وجميع الحاضرين ، وهناك تقليد لأهل بغداد رسخ على ان التمتوعة تتألف من (الدولمه[٣] وكبة الحلب وحلاوة شكر أو حلويات) •

وفي التهليلة يدور شخص يسمى (المَلَوي) بلباسه الخاص المؤلف

---

(٣) الدولمة تلفظ باللام المفخمة وهي كلمة تركية معناها املاء أو تحشية ، وهي الطبخة المعروفة •

من كلاو چبَن (لباد) ودميري مع ثوب عريض جداً من الأسفل وعندما يدور أثناء قراءة الذكر يشكل ذلك الثوب دائرة كبيرة •

ومن المولوية الذين عرفتهم ببغداد المولوي المعروف السيد خليل السيد ابراهيم السيد راضي الرفاعي وهو من أهل محلة الفضل في بغداد •

ولأهل بغداد حساب خاص يحسبون به ليلة الاربعين حيث ينقصون يوماً واحداً عن كل فرد ذكر في العائلة وتعتبر المدة الباقية أربعين • وعند ذاك تقام التهليلة والذكر ، لاعتقادهم بأنهم اذا أكملوا مدة الاربعين فان من توفي سيجر ذكور العائلة الى الموت واحدا بعد الآخر ولذلك ينقصون يوماً عن كل شخص ليتفادوا ما يتشاءمون منه •

بعد مرور السنة :

لا يمكن أن تكون السنة كاملة وانما ينبغي أن تكون منقوصة ولذلك اعتبر بعضهم مرور تسعة أشهر أو أحد عشر شهراً بعد الوفاة سنة كاملة وذلك لنفس السبب آنف الذكر • ومنهم من يقيم المولد النبوي الشريف مع عشاء يدعو لتناوله الاصدقاء وأبناء الطرف كما يوزع الباقي للفقراء ومنهم من يقيم تهليلة أو ختمه وذلك حسب موقف العائلة المالي •

ويستمر توزيع « الخيرات » على الفقراء بعد مرور العام الأول على الوفاة وفي المناسبات التالية مع ذكر نوعية ما يوزع في كل مناسبة :

ليلة شهر رمضان ــ دولمة أو حلاوة

ليلة نصف رمضان ــ مرقة حامض حلو ــ أو بقلاوة وزلابية

ليلة ٢٧ رمضان ــ اقامة ختمة وعشاء للفقراء

ليلة عيد الفطر ـ قطايف أو بيتَه ْ

العيد الاضحى ـ تنحر الضحية (ثوراً أو كبشاً اذا كان المتوفي ذكراً، وهايشة أو نعجة اذا كانت امرأة) ويأخذ القصاب الجلد والمصارين ويوزع اللحم على الفقراء .

ليلة المولد الشريف ـ يوزع ما هو موفور في الموسم كالخيار والمشمش .

ليلة ١٠ محرم ـ يوزع ما يوزع في ليلة المولد الشريف .

ليلة شهر رجب ـ توزع الكليچه أو الچرك .

ليلة ٢٧ رجب ـ توزع حلاوة راشية .

زيارة المقابر :

عند مصادفة أول عيد بعد الوفاة تذهب عائلة وأقارب المتوفي الى القبر بمصاحبة (عداده) ويقام هناك عزاء قد يطول عدة ساعات ، ويستمر أفراد العائلة بزيارة المقابر صباح كل أول يوم من أيام الأعياد لقراءة القرآن (سورة ياسين وسورة الفاتحة) .

كسر العَزَه ْ :

بعد اجراء مراسيم مرور عام على وقوع الوفاة اذا وقعت وفاة أخرى في المحلة أو عند الاصدقاء فان ذوي المتوفي الذي مضى على وفاته سنة يقصدون عائلة المتوفي ومعهن (عَداده) فيشاركن تلك العائلة بالنواح والبكاء وتسمى تلك العادة (كسر العَزَه ْ) ويسمحون لأنفسهم بعد ذلك (بفك الحزن) أي ترك الملابس السوداء وارتداء الملابس الملونة بالألوان

الطَّواخ كالنيلي أو الجوزي ولا ضير عليهن اذا خرجن بعد ذلك للسوق أو لزيارة الأصدقاء الذين شاركوهم أحزانهم طيلة سنة حزنهم الماضية •

بناء القبر :

لا يبنى القبر بالطابوق الا بعد مضي مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر حتى يجلس (ينزل) التراب ويتماسك كي لا يخسف بناؤه وعندئذ يحضر أهل الميت مرمرة محفور عليها اسم المتوفي وتاريخ الوفاة ويكون مع العمّال في يوم البناء أحد أفراد عائلة المتوفي التي ترسل أيضاً طعام الغداء مطبوخاً بالقدور الى المقبرة مع الاواني والصواني والخواشيق وغيرها كما يكلفون احدى بنات الطرف أو الاقرباء بمرافقة الطعام والقيام بتفريغه وتقديمه لعمال البناء •

المراجع

١ ـ لقاءات متعددة مع شيوخ وعجائز العائلة والمحلة وغيرهم أمد الله في أعمارهم جميعا .

٢ ـ البغداديون أخبارهم ومجالسهم لابراهيم الدروبي

٣ ـ قاموس العادات والتقاليد المصرية لاحمد أمين

٤ ـ الغناء العراقي لحمودي الوردي

٥ ـ الالعاب الشعبية لفتيان العراق لعبدالستار القرغولي

٦ ـ المدخل الى الفولكلور العراقي لعبدالحميد العلوچي ونوري الراوي

٧ ـ مجلة التراث الشعبي لسنة ١٩٦٥

٨ ـ مجلة بغداد لسنة ١٩٦٥ اصدار وزارة الثقافة والارشاد ـ بغداد

٩ ـ المدخل الى علم الفولكلور لعثمان الكعاك

١٠ـ معجم اللغة العامية البغدادية للشيخ جلال الحنفي

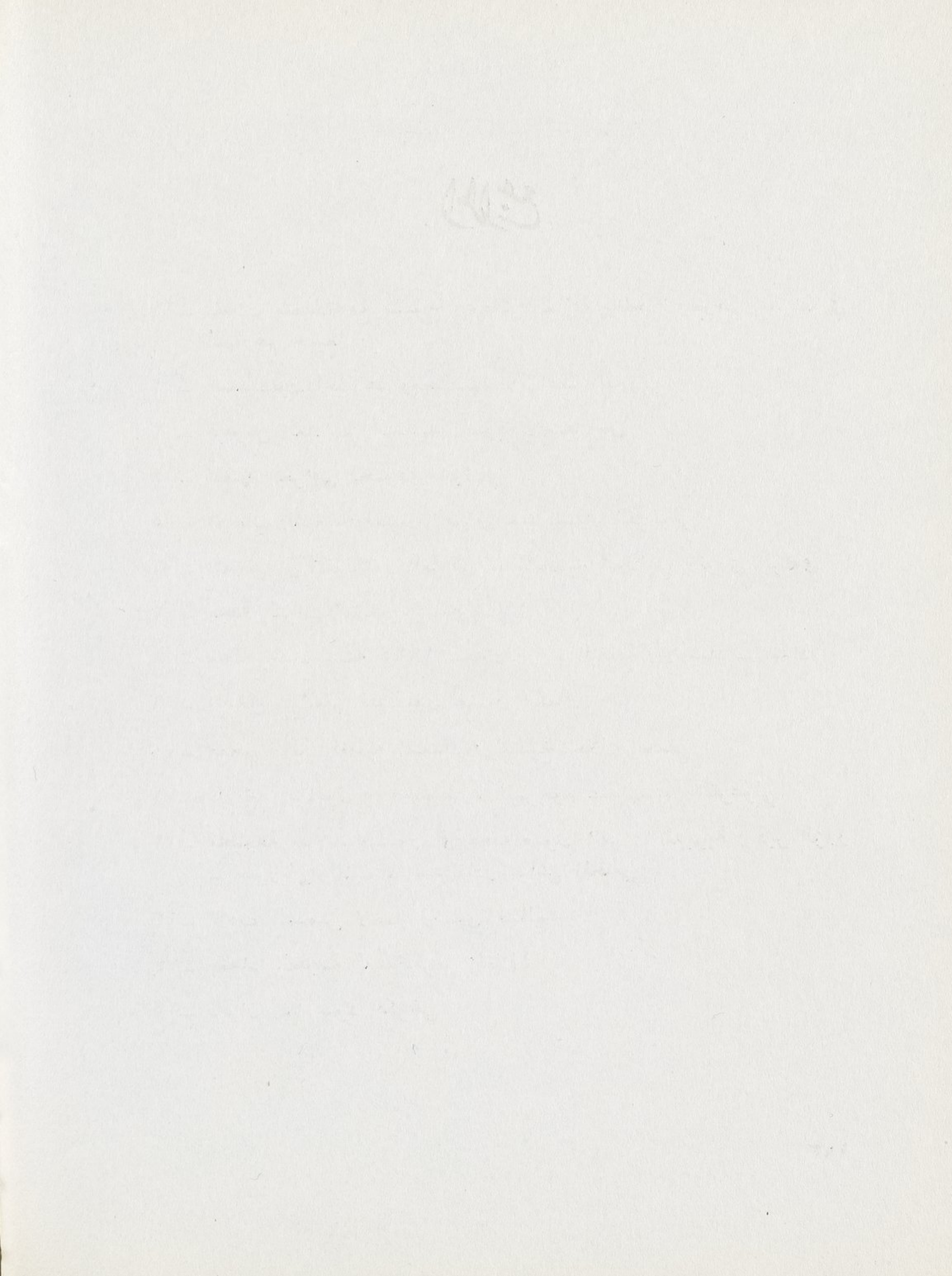
١١ـ تاريخ القراغول « مخطوط » للمرحوم عبدالستار القرغولي

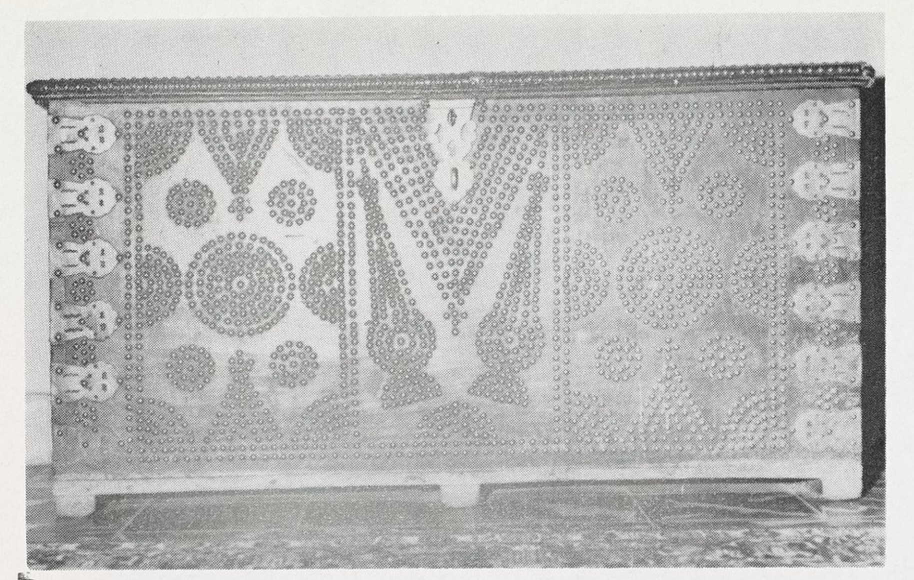
١٢ـ مجموعة مقالات منشورة في مجلة صوت الفرات الديرية (دير الزور ـ سوريا) للاستاذ عبدالقادر عياش المحامي

١٣ـ الادب الشعبي لاحمد رشدي صالح

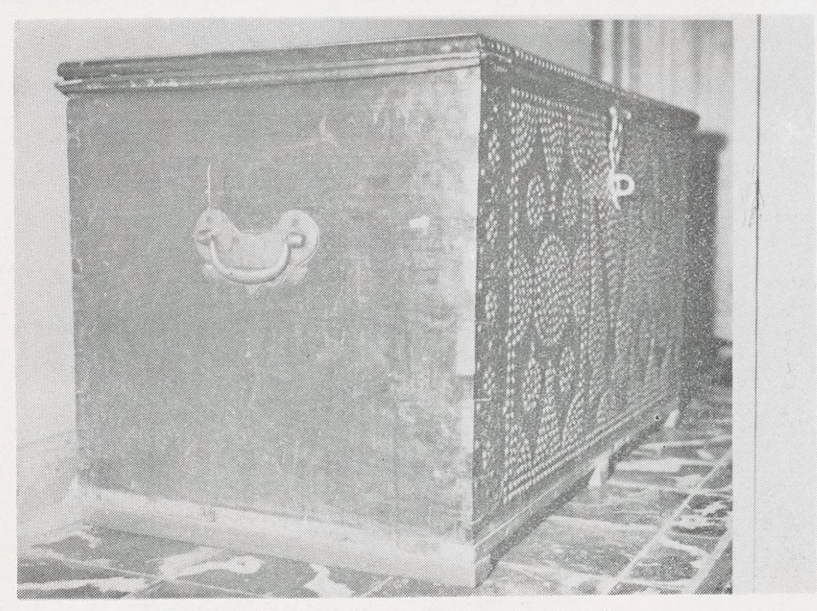
١٤ـ بغداد القديمة لعبدالكريم العلاف

١٥ـ ديوان الملا عبود الكرخي



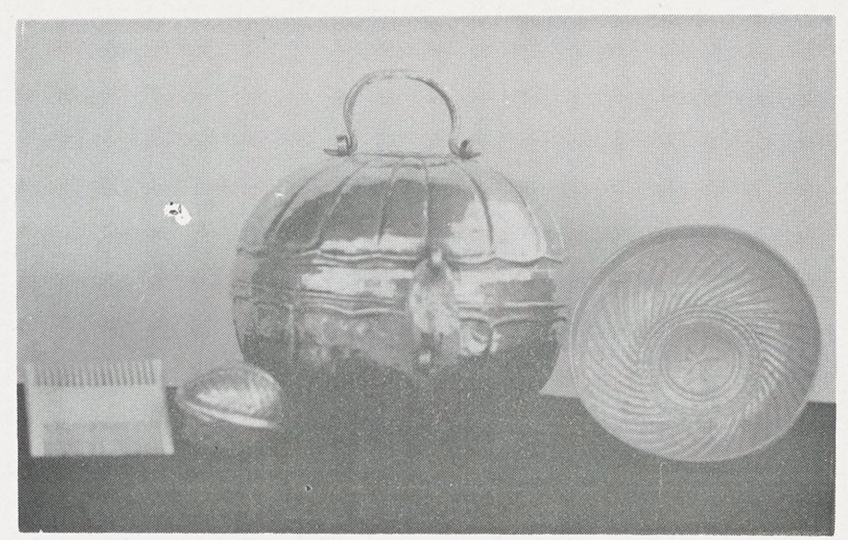


صندوق الهند ـ أنظر ص ١٨

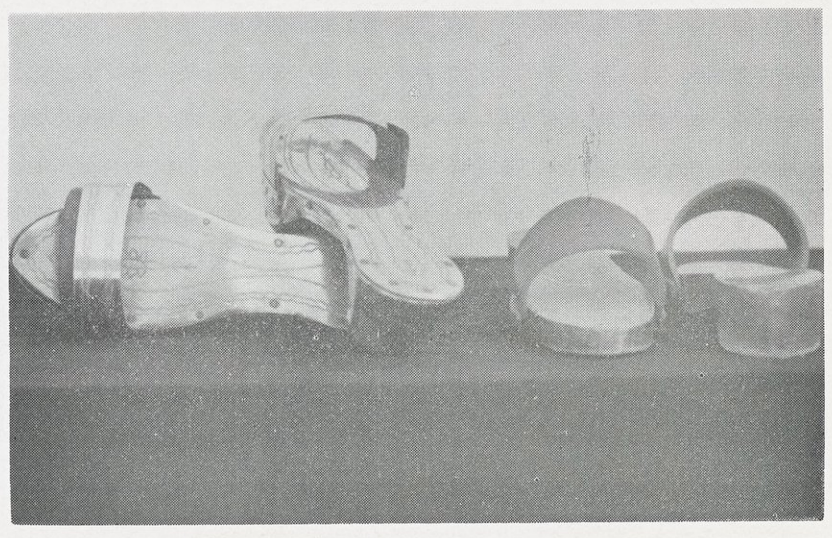


منظر جانبي لصندوق الهند ـ أنظر ص ١٨ أيضا

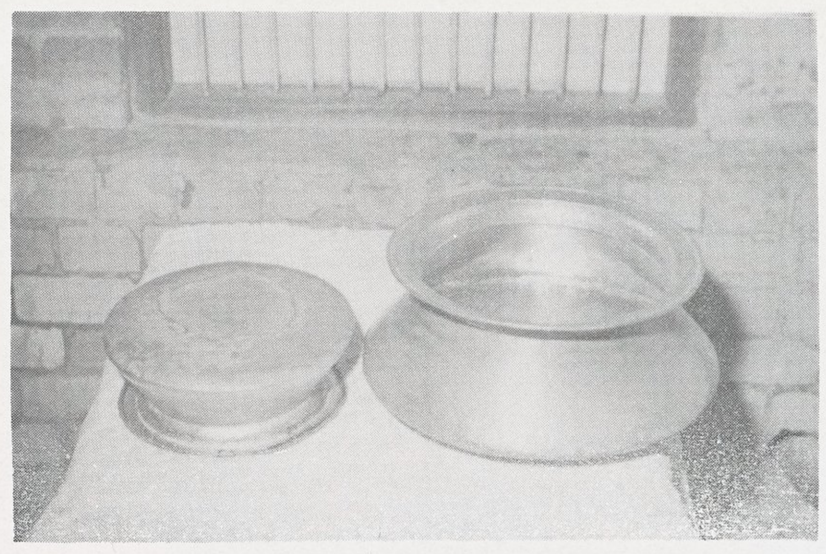
جميع الصور ما عدا المنشورة في الصفحات (١٩٧) و(٢٠٢ـ٢٠٥)
صورها السيد عبدالمنعم محمد صالح



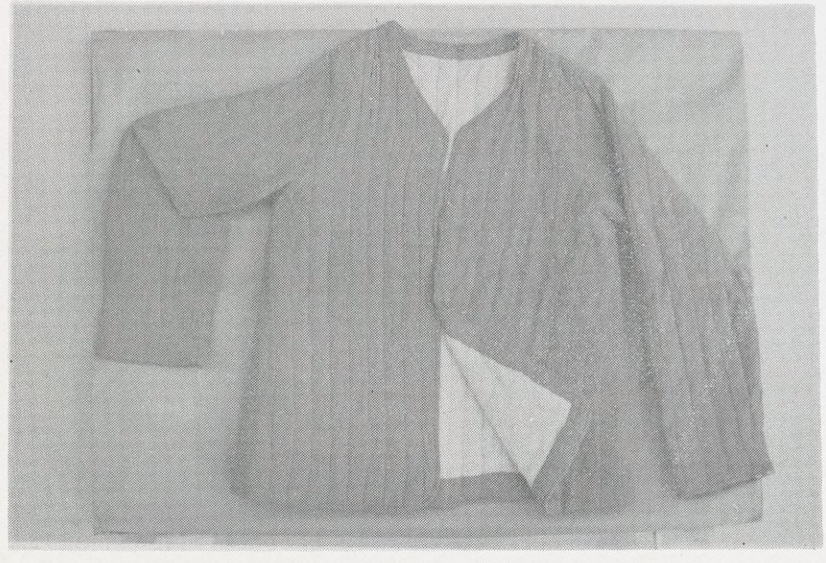
الطاسة والركية ولحجر المكسو بالفضة ومشط الخشب – انظر ص١٩



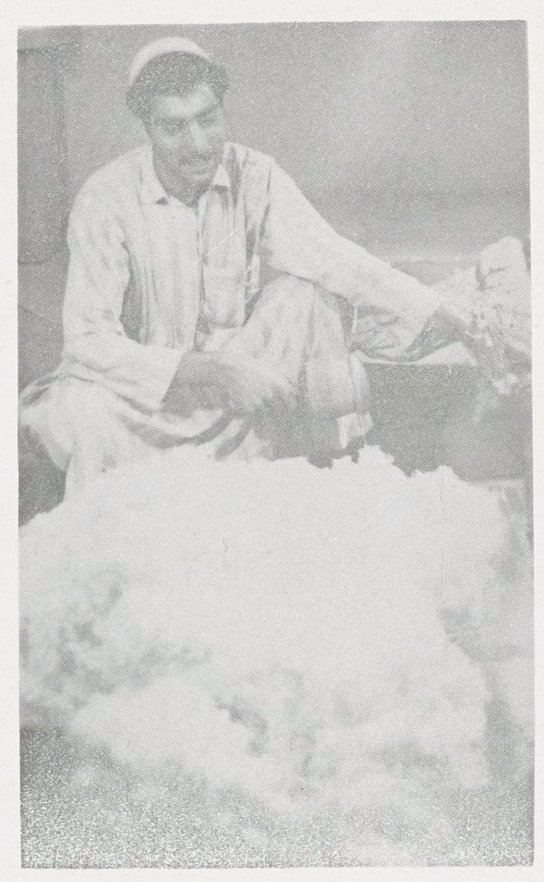
القبقاب الخشبي والقبقاب المكسو بالفضة – أنظر ص ١٩



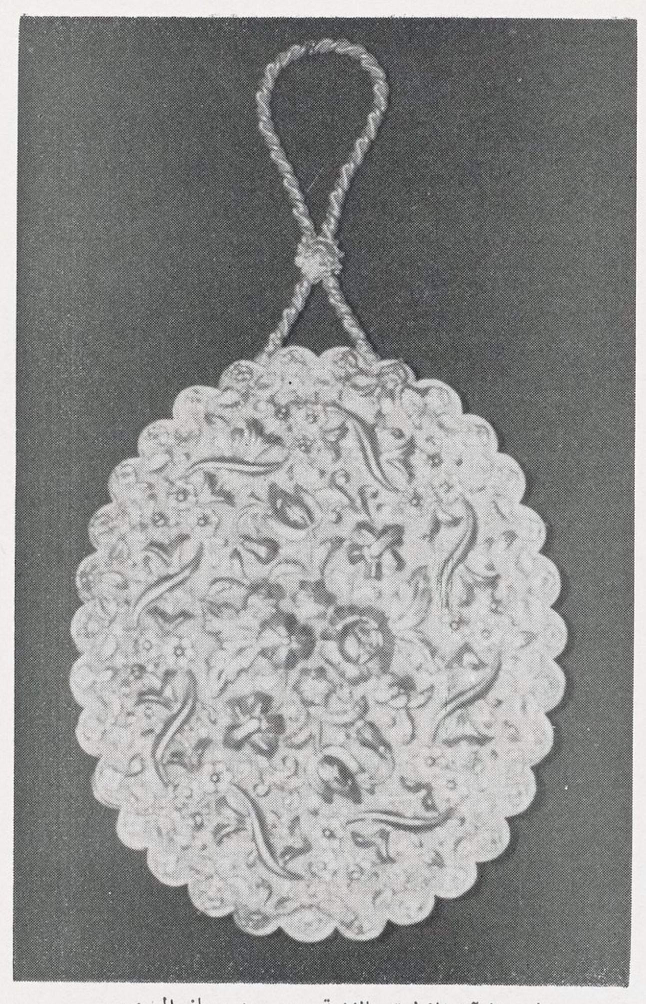
اللگن المتوسط ـ واللگن الصغير ـ أنظر ص ٢٠



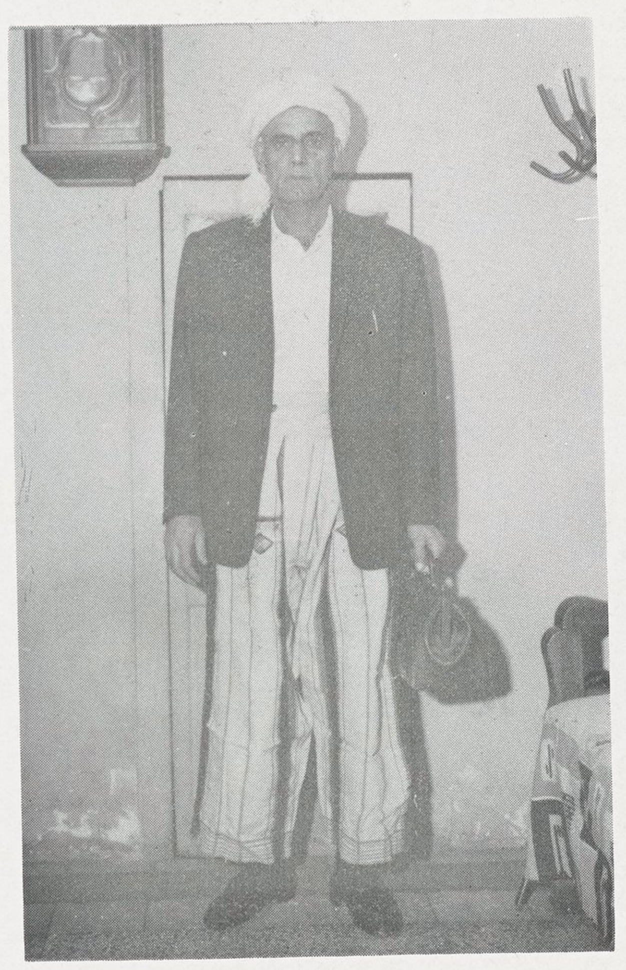
اللبادة ـ أنظر ص ٣٨



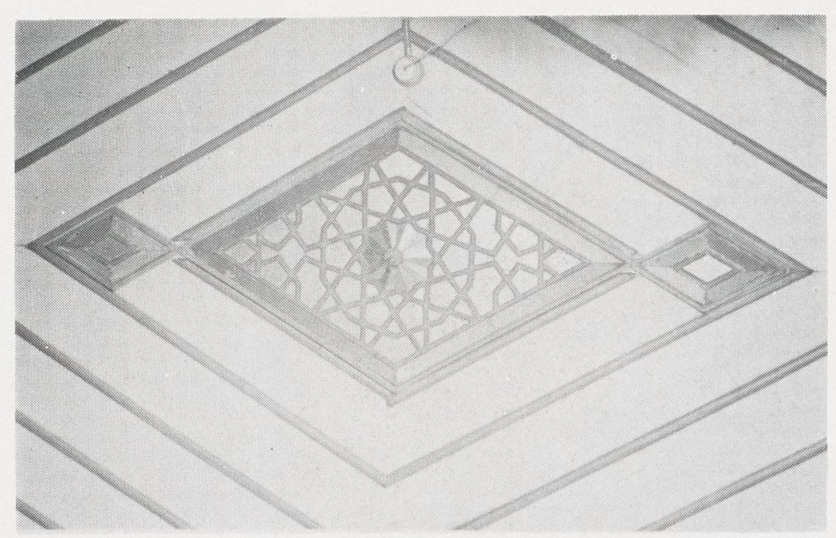
النداف وبيده (الگوز والجك) وامامه القطن وهو في حالة
الندف ـ أنظر ص٢٢



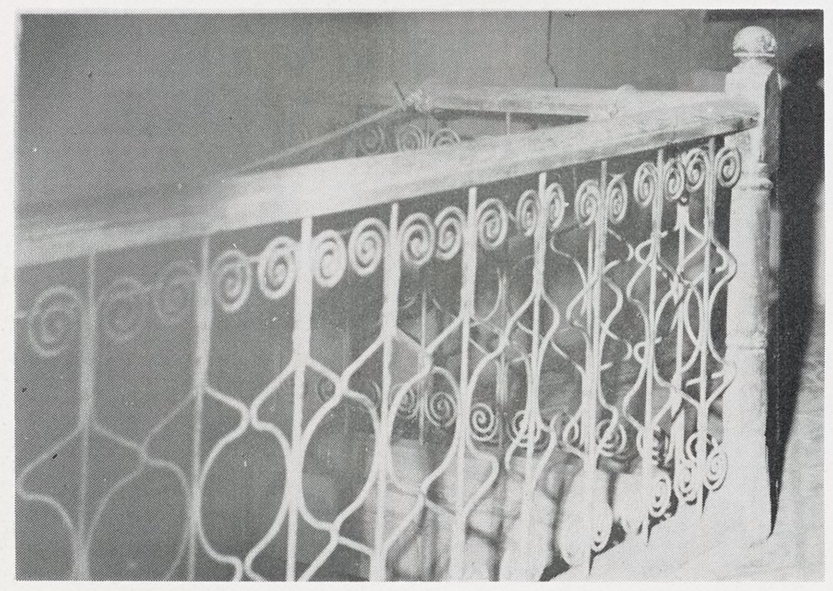
ظهر المرآة المؤطرة بالفضة وهي من جهاز العروس
تحملها امرأة في مواجهة العروس أثناء زفتها ـ أنظر ص ٢٥



الازعرتي ـ أنظر ص ٥١



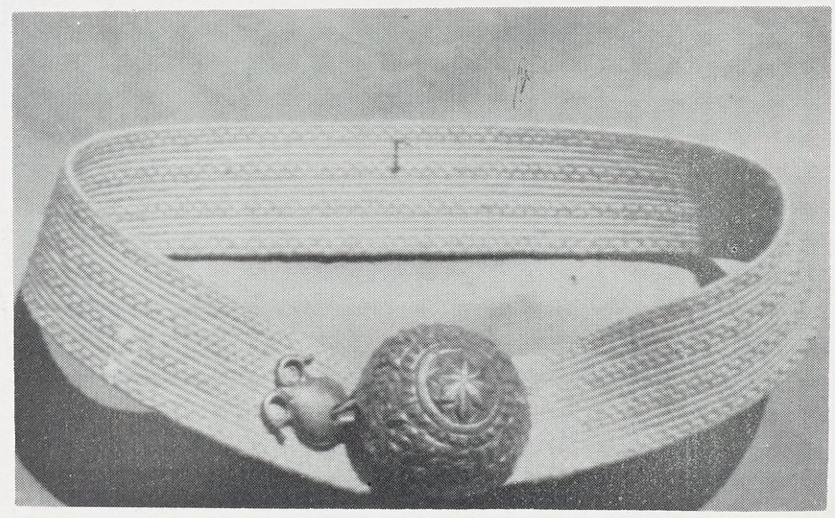
الخنچة ـ أنظر ص ٧٢



المحجر ـ أنظر ص ٧٢



التوتونچي وهو يثرم التتن ـ أنظر ص ٨٥



الحياصة ـ أنظر ص ١٣٧



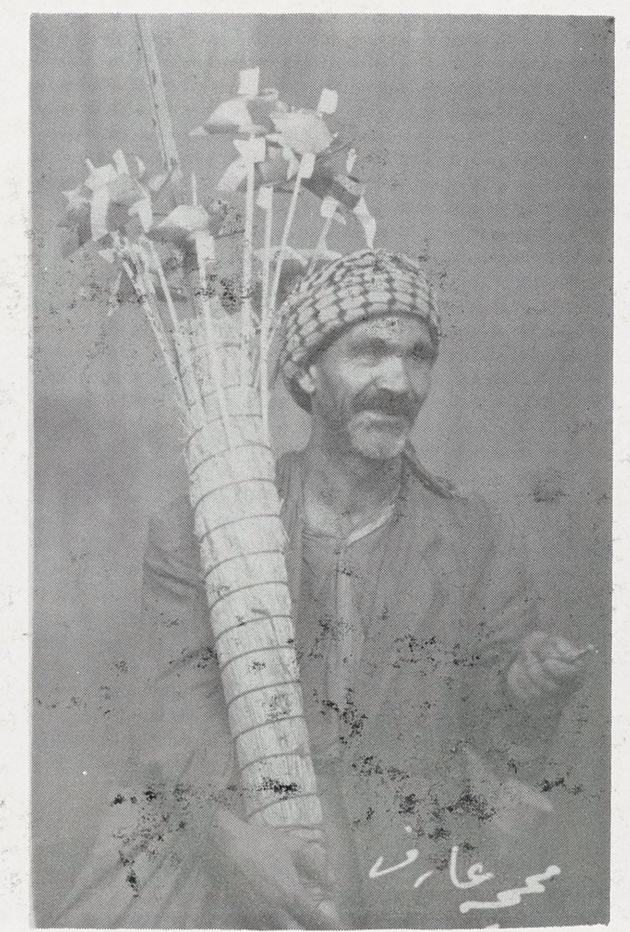
السمك المسكوف ـ أنظر ص ٨٧



دولاب الهـواء ـ أنظر ص ١٠٥



امرأة تغزل ـ أنظر ص ٩١



ابو الفرارات ـ أنظر ص ١٢٥



الاهــداء	٣
المقدمــة	٥ ـ ٦
الـزواج	٧ ـ ٣٨
مراسيم العرس ـ مشاورات	٧ ـ ١٠
الخطبة ـ تقديم الحك	١٠ ـ ١١
مراسيم عقد القران	١١ ـ ١٥
الحفافة ـ عقد قران النساء	١٥ ـ ١٧
الجهاز ـ الحمام	١٨ ـ ٢١
الحنة ـ ندف الفراش وخياطته	٢١ ـ ٢٢
الحملة ـ زفة العروس	٢٢ ـ ٢٨
ليلة الدخلة ـ الصبحية	٢٩ ـ ٣١
الزيارات ـ يوم الستة	٣٢
توزيع الحلويات ـ اليوم السابع	٣٣
دعوة العروس ـ الحمل	٣٣ ـ ٣٦
ولادة البچر ـ جهاز المولود البكر	٣٦ ـ ٣٨
الــولادة	٣٩ ـ ٤٦
الــولادة	٣٩ ـ ٤٢
الهدايا ـ طعام النفسة	٤٢
اغتسال النفسة ومولودها	٤٢ ـ ٤٣
الدلجة ـ غسل الطفل	٤٣ ـ ٤٤
تدميغ الطفل ـ صرة الطفل	٤٤ ـ ٤٥
تنويم الطفل ـ فطام الرضيع	٤٥ ـ ٤٦
تعويد الطفل على المشي	٤٦

الطهـــور ٤٧ ـ٥٣

الزيان ـ زفة الختان ـ اللعابات ٤٧ ـ٤٨

أبو الگطن ـ الشعاعير ٤٨ ـ٤٩

جوقة الدمامات ـ مراسيم الطهور ٥٠ ـ٥١

الحنة ـ عملية الختان ـ مسك الولد ٥١ ـ٥٣

الادوية ومعالجة الامراض ٥٤ ـ٦٥

امراض الطفل الرضيع ومعالجتها ٥٤ ـ٥٩

شلع الاسنان ـ الفشخة ٥٩ ـ٦٠

جرح أحد الاطراف ـ فصخ اليد ٦٠

لدغة العقرب ـ لدغة الزنبور ٦٠ ـ٦١

الصداع ـ التهاب السن المنخور ٦١

الحصف ـ الشره ـ التعرض للبرد ٦١ ـ٦٢

مغص المعدة ـ ابو صفار ـ الفالول ٦٢ ـ٦٣

التهاب الكلية ـ فتحة الحمصة ٦٣

معالجة آلام المفاصل بالدك ٦٣ ـ٦٤

الدمبلة ـ حدگدگه ـ الاخت ٦٤ ـ٦٥

الحجامة ـ آلام الاذن ٦٥

البغداديون في مواجهة الحر والبرد ٦٦ ـ٧٩

الدار البغدادية ـ بيت الحبوب ٦٦ ـ٦٨

الليوان ـ الارسي ـ غرفة الكرر ٦٨ ـ٦٩

غرفة المونة ـ المطبخ ـ السرداب ٦٩ ـ٧٠

التختة بوش ـ تسقيف البيوت ٧٠ ـ٧٢

الصيف ـ سلة العشة ٧٢ ـ٧٤

حفظ الملابس الشتائية والزوالي ٧٤

صناديق الثلج ـ الاستعداد لموسم الشتاء . . ٧٤ ـ٧٥

تيبيس الخضروات ـ جبس الطرشي ٧٥ ـ٧٦

معجون الطماطة ـ المربي ـ الدبس ٧٦ ـ٧٨

عمل الخل ـ مربى النگوع ـ عمل ماء الورد . ٧٨

عصير الرازنج ٧٩

أكلات بغدادية	٨٠ ـ٨٦
الباقلاء المنقوعة ـ مرقة الحامض حلو . . .	٨٠ ـ٨١
اليخني ـ الشجر الاحمر ـ زردة وحليب . .	٨١ ـ٨٢
المحلبي ـ التشريباية ـ مريس	٨٢
بقلاوة الفكر ـ مع بغدادي في وجبة غداء . .	٨٢ ـ٨٣
المصلخ ـ النركيلة	٨٣ ـ٨٦
السمك المسكوف	٨٧ ـ٨٨
غسل وكوي الملابس	٨٨ ـ٩٠
الغزل	٩١ ـ٩٢
حمامات بغداد	٩٣ ـ٩٧
الحمام ولوازمه ـ الدلاك ـ الوقود	٩٣ ـ٩٧
صوم البنات (زكريا)	٩٧ ـ٩٩
رمضان	١٠٠ـ١٠٤
طبخات رمضان ـ وداع رمضان	١٠١ـ١٠٢
سحور اليتيمة ـ الفطرة ـ كليچة العيد . .	١٠٣
تهيئة العجين ـ فك العجين	١٠٤
عيد الفطر (عيد الزغير)	١٠٥ـ١٠٩
دولاب الهواء ـ الفرارة	١٠٥ـ١٠٦
المرحوجة ـ المعايدات ـ عيد الاضحى أو العيد الچبير ـ السي ورق ـ اللكو	١٠٧ـ١٠٩
عقائد بغدادية	١١٠ـ١١٦
الحسد (اصابة العين والتنشير)	١١٠
الخسوف ـ عقائد وعوائد	١١١ـ١١٢
الخيرة (التطلع للمستقبل ـ التفاؤل والتشاؤم)	١١٣ـ١١٦
ملامح من الموروث اللهجوي	١١٧ـ١١٩
التصغير ـ الالوان ـ التشبيه	١١٧ـ١١٩

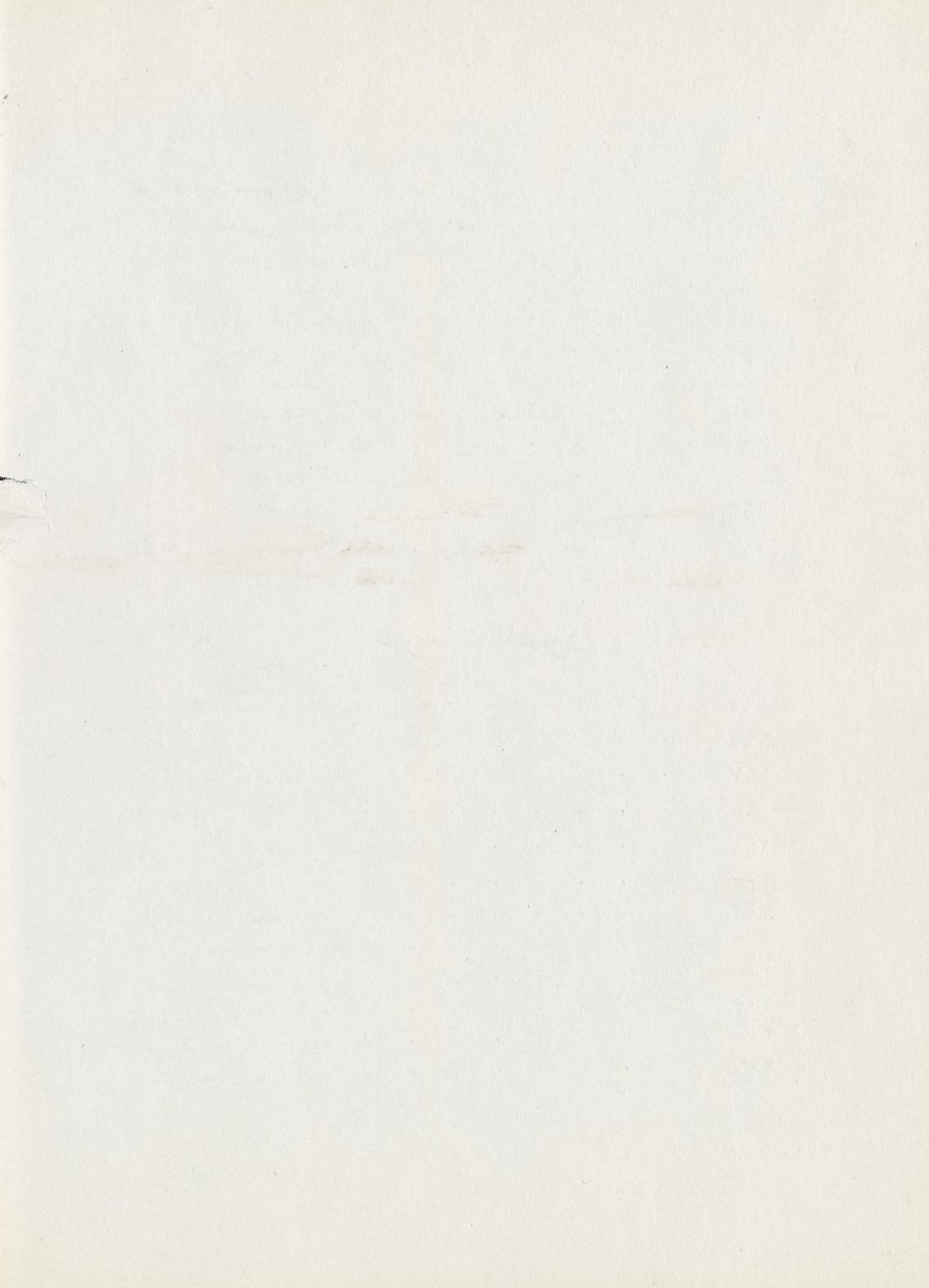
الباعة المتجولون (الدوارين) ١٢٠–١٣٣
بياع الحطب ـ كسار خشب ١٢٠
مبيض القدور ١٢١
بياع النفط (ابو النفط) ـ ابو ايسكي (ابو بيع) ـ
الدلالـــة ١٢٢
ابو الملح ـ خياط فرفوري (فخفوري) ـ چراخ
سچاچين ١٢٣
النزاح (الچشمهچي) ١٢٤
ابو الفرارات ١٢٥
بائع بيض اللكلك ـ ام الكيمر (بائعة القشطة) ١٢٦
بائع الثلج ـ ابو الدوندرمة ـ ابو الناملیت . ١٢٧
أم الشامية ـ بائع الطرشي ـ أبو أبيض وبيض ١٢٨
أبو اللبلبي ـ بائع الگبر ١٢٩
بائع الخضروات ١٣٠–١٣٣

الكتـاتيب ١٣٤–١٣٩
تعليم السباحــة ١٤٠–١٤٢
الزورخانــة ١٤٣–١٤٦
تأسيس الجفرة ـ تقاليد الزورخانة . . . ١٤٤–١٤٦
الحشاشــة ١٤٧–١٤٩
السالوفــة ١٥٠–١٦١
العاب الصبيان واغانيهم ١٦٢–١٦٧
المراهنـات ١٦٢–١٦٣
الاغاني والاناشيد ١٦٤–١٦٨
السبيلخانــة ١٦٩–١٧١
المطيرجية ١٧٢–١٧٥
بناء ابراج الطيور ١٧٢
من مصطلحات وتسميات المطيرچية . . . ١٧٣–١٧٥
انواع الطيور ١٧٥

الوفاة ومراسيم العزاء ١٧٦ـ١٩٢
مجلس الفاتحة ـ حلاقة اللحية ١٨٠
البيض وورد الماوي ١٨١
عزاء النساء ١٨٤
فك الچاينـة ١٨٦
الحلاوة ـ الحداد ـ العدة ١٨٧
فك العـدة ١٨٨
توزيع الخيرات على الفقراء ـ مراسيم اخرى . ١٨٩
بعـد مرور السنة ١٩٠
زيارة المقابر ـ كسر العزه ١٩١
بناء القبر ١٩٢
المراجـــع ١٩٣

فهرست الصور

صندوق الهند ومنظر جانبي له ١٩٥
الطاسة والركية والحجر ومشط الخشب والقبقاب . ١٩٦
اللگن المتوسط والصغير ، واللبادة ١٩٧
النـداف ١٩٨
ظهر المرآة المؤطرة بالفضة ١٩٩
الازعـرتي ٢٠٠
الخنچـة والمحجرّ ٢٠١
التوتونچي ، والحياصة ٢٠٢
السمك المسـگوف ٢٠٣
دولاب الهـواء ٢٠٤
امـرأة تغزل ٢٠٥
ابـو الفرارات ٢٠٦



صدر في هذه السلسلة

- **الديمقراطية الاشتراكية**
  احمد عبدالقادر (ابراهيم الخال)
- **المغنون البغداديون**
  الشيخ جلال الحنفي
- **المدخل الى علم الفولكلور**
  عثمان الكعاك
- **دار السلام في حياة أبي العلاء**
  السيدة بنت الشاطيء
- **من الشعر العامي « المذيل »**
  الحاج هاشم محمد الرجب
- **الاصالة في الشعر الشعبي العراقي**
  جميل الجبوري
- **الخصائص الفنية والاجتماعية لرسوم الواسطي**
  شاكر حسن آل سعيد
- **مباحث في الادب الشعبي**
  عامر رشيد السامرائي
- **الألعاب الشعبية لصبيان سامراء**
  يونس الشيخ ابراهيم السامرائي
- **الالعاب الشعبية في العمارة**
  عبدالحسن المفوعر السوداني
- **الصناعات والحرف البغدادية**
  الشيخ جلال الحنفي
- **تعليم اللغة العربية في نيجريا**
  سليم حكيم
- **من تراثنا الشعبي**
  عبدالحميد العلوچي

طبع بمطابع شركة دار "الجمهورية" للطباعة والنشر - بغداد

هذا الكتاب ..

الحياة البغدادية ، على صعيدها الشعبي ، خصبة ممرعة ..
ضاحكة باكية .. جادّة هازلة .. لاهية في جانب ، وقور
في جانب آخر . وقد حاول المؤلف ، بين دفتي هذا
الكتاب ، أن يسافر بالقاريء مع انسان بغداد .. من
مهده الى لحده ، منطلقاً من طفولة سعيدة ليقرأ ،
في نهاية المطاف ،سورة الفاتحة على الراحل الذي
ابتلعه القبر بين التوجع والأسى .. معرجاً ،
خلال ذلك ، على المباهج التي كابدها ابن
بغداد في حياته العريضة الممدودة ..
والمأساة التي حصدها بعد قدر فاجع ،
وكارثة هادمة .. ولم يذد المؤلف
قارئه عن متعة هانئة خلال
هذه الرحلة المألوفة .
والكتاب ، بعد ذلك ،
حافل بما اندثر من العوائد،
وما رسخ منها حتى اليوم ،
مترع بالمروءة البغدادية الاصيلة
.. ومن هنا جدارته بالاهتمام

الثمن
٢٠٠
فلس